
الفيصل
Alfaisal
مجلة ثقافية شهرية - السنة ٣٩ - المحرم - صفر ١٤٣٦هـ / نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٤م
الوجه الفصامي للعولمة
ALFAISAL Mag
٤٦٣ - ٤٦٤

www.alfaisalmag.com



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- أمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته: يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤١٤١٧٨٤(١٠). فاكس ٤٦٤١٧٨٠(١٠)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣١٩٠٩٥. فاكس ٣٣١٩٠٩٦. ٢٠٢..، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٤٢٢٣٩. ٧١. ٦١٢٠٠، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢٢٤٠٤٠٣١. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٢٠١٩٠١. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٧/٢٠١٩٠٩



www.alfaisalmag.com

السنة ٣٩- المحرم - صفر ١٤٣٦ هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٤م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

الإعلانات

هاتف : ١١٤٦١٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١

ردمد

٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

رقم الإيداع

مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٤٥٠/١٤

مراسلات التحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية

هاتف : ١١٤٦١٥٢٢٥٥ (٩٦٦+) - ١١٤٦١٣٠٢٧ (٩٦٦+)

ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١ (٩٦٦+)

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

برعاية خادم الحرمين الشريفين

توزيع جائزة الملك فيصل العالمية



رعى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفل جائزة الملك فيصل العالمية في دورتها السابعة والثلاثين في قاعة الأمير سلطان الكبرى بمركز الفيصلية في مدينة الرياض، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز آل سعود -ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء- وعدد كبير من المسؤولين.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -الرئيس التنفيذي لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية- كلمةً، قال فيها: «سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان ابن عبدالعزيز -أيّده الله بنصره- حامل مشعل العلم والثقافة في أطهر بقاع العالم كافةً.. أصحاب السمو الأمراء أصحاب المعالي والسعادة.. أيها الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية، الواهبون حياتكم في سبيل إسعاد البشرية.. أهنّئكم بالتكريم الذي أنتم أحقّ الناس به».

وأضاف سموه: «أيها الحفل الكريم، الأمر جلل، في الكون خلل، والصبر ملل، استفحل القتل، واستكبر الجهل، واستسلم العقل، القويّ يَستغلّ، والضعيف يُستغلّ، وتُستثمر حقوق الإنسان فتُفرض هنا، وهناك تُهان. لا مكان اليوم لضعيف، ولا أمان لصديق أو حليف، ولا اعتماد إلا على الله، ثم على الذات، ولا مجال للترف والملذّات. إنه يوم العزم والحزم والثبات؛ فلنشمّر عن السواعد؛ لنبني الوطن الواعد، ونواجه الفكر بالفكر، ونستردّ الإسلام من خاطفيه، ونحمي الوطن من مُخرّبيه، ونحسم الأمر مع خائنيه، ونحوّل الصحراء مصنع قوة، والشباب عقلا وفتوّة، وندرك بالإيمان المستحيل، ونسجد حمداً لله العزيز الجليل أن وهبنا قيادةً تسبقنا بالمبادرة، وحكومةً تدفعنا للمثابرة، ومواطناً يعتزّ دون مكابرة.. عاش سلمان المجد، وولي العهد، وولي ولي العهد، وشعب لا يعرف للمعالي حداً».

وقدّم الدكتور محمد الهدلق -نيابةً عن الدكتور عبدالله العثيمين، الأمين العام للجائزة- الفائزين في فروع الجائزة، متطرّقاً إلى جهودهم وإنجازاتهم التي أهّلتهم لنيل الجائزة. نال جائزة خدمة الإسلام الدكتور ذاكر نايك الهندي الجنسية، وهو مدير مؤسسة البحث الإسلامية بالهند؛ لكونه من أشهر الشخصيات الدعوية الناطقة بغير اللغة العربية في العالم، وتمثلت جهوده في إلقاء مئات المحاضرات والندوات العلمية التي تشرح دين الإسلام، وتدافع عن مبادئه، مُعتمداً القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة أساسيْن لنشر الدعوة. كما يُعدّ مرجعاً في علم المقارنات؛ إذ لم تقتصر معارفه على دين واحد، بل امتدت إلى المسيحية والهندوسية واليهودية والبوذية والسيخية.

والجدير بالذكر أن (ذاكر) قد أنشأ سلسلة من المدارس؛ بدأت في الهند، ثم امتدت إلى عدد من البلدان العربية والإسلامية؛ من أجل إعداد جيل من الدعاة غير العرب المُتضلّعين من اللغة العربية والعقيدة الإسلامية.

ومُنِحت جائزة الدراسات الإسلامية الدكتور المهندس عبدالعزيز كعكي السعودي الجنسية، والمستشار في هيئة تطوير المدينة المنورة؛ تقديراً لجهوده في دراسة التراث الحضاري للمدينة المنورة، ولا سيما كتابه (معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ)، بأجزائه المتعددة، وخصوصاً الجزء



خادم الحرمين الشريفين يسلم عبدالعزيز الكعكي جائزته

السابع، وعنوانه: (النسيج العمراني القديم بالمدينة المنورة: الخصائص والمقومات)؛ إذ اتَّسم عمله بتوظيف التراث والعمل الميداني معاً، وعَزَّز معلوماته بالصُّوَر القديمة والجديدة، والخرائط والأشكال التوضيحية، فأصبحت دراسته مرجعيةً في ميدانها.

وقد قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب حَجْب الجائزة، وموضوعها: (الجهود المبذولة في تعريب الأعمال العلمية والطبية)؛ لعدم وفاء الأعمال العلمية المرشَّحة بمتطلبات الجائزة.

ونال جائزة الطب، وموضوعها: (الميكروبات المعوية وصحة الإنسان)، البروفيسور جيفري إيفان غوردن الأمريكي الجنسية؛ تقديراً لأعماله الرائدة والمميزة في موضوع الميكروبات المعوية وصحة الإنسان، التي مكَّنته من إيضاح الأُسس الأَيْضية والوراثية في العلاقات المفيدة المتبادلة بين الإنسان والأحياء المعوية الدقيقة، والتوصُّل إلى نتائج غير مسبوقة عن تأثير تلك الكائنات في نمو الإنسان بعد الولادة.

ومُنحت جائزة العلوم، وموضوعها (الكيمياء)، مُناصَفةً كلا من: البروفيسور مايكل غراتزل السويسري الجنسية، والبروفيسور عمر ياغي (أمريكي).

وذكر الدكتور عبدالله العثيمين -الأمين العام للجائزة- أن موضوعات الفروع العلمية للجائزة في العام المقبل تشمل الدراسات الإسلامية: التراث الجغرافي عند المسلمين، واللغة العربية والأدب: الجهود التي بُذلت في تحليل النص الشعري العربي، والطب: التطبيقات السريرية للجيل المقبل في علم الجينات (المورثات)، والعلوم: علم الحياة (البيولوجيا).

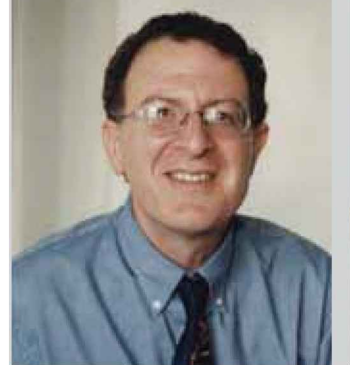


ذاكر نايك

عمر ياغي



مايكل غراتزل



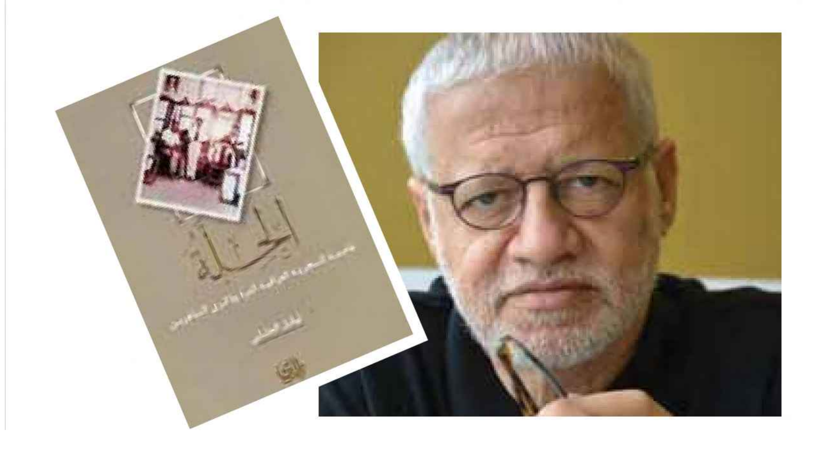
جيفري إيفان

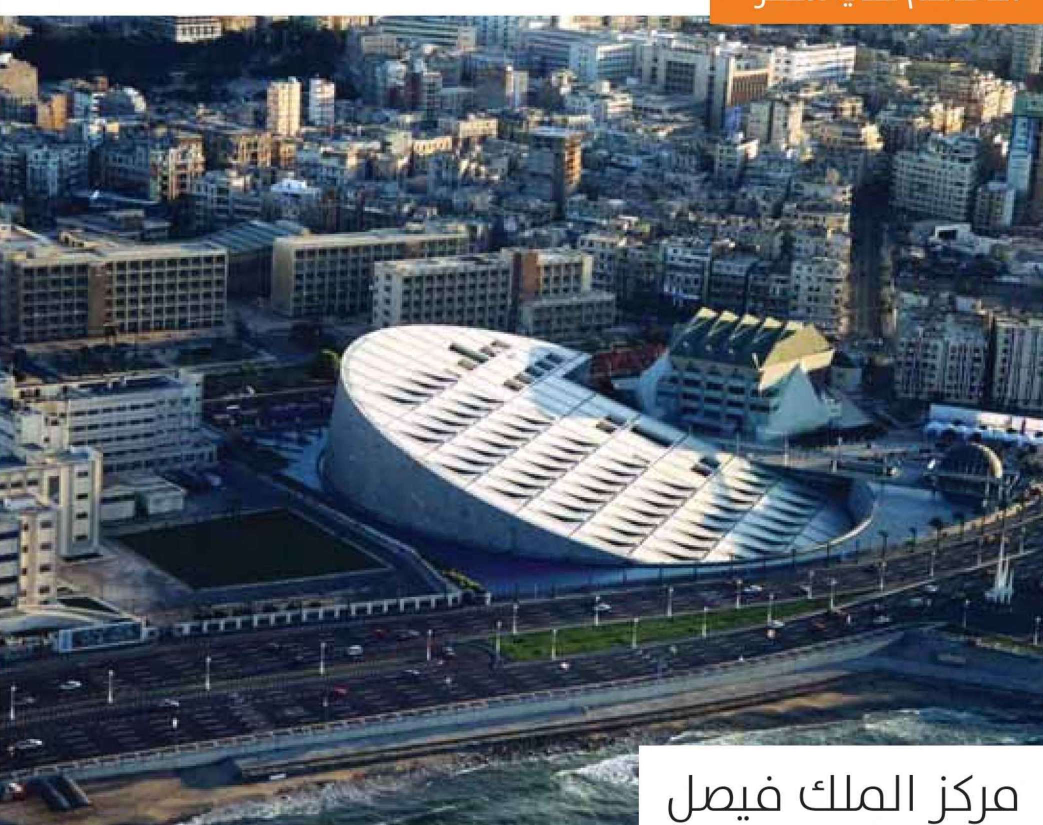
«الحلة» العراقية

تجاوزت العيب وتصدرت

جاء كتاب (الحلة... عاصمة السخرية العراقية المرة وذكرى الساخرين) في المرتبة الأولى بين الكتب الأكثر توزيعاً في العراق في العام الماضي ضمن إحصاء اعتادت دار المدى إصداره في نهاية كل عام.

وأجمعت تعليقات النقاد العراقيين على تصدُّر كتاب نوفل الجنابي القائمة، مشيرين إلى أن من عوامل تصدره هو ما تميَّز به من جرعة عالية من الجرأة التي تجاوزت الحساسيات الطائفية والقومية والسياسية، والتسجيل الدقيق للحوادث ورواتها، وما ورد فيها من كسر حاجز «العيب» السائد.





مركز الملك فيصل
ضيف شرف في معرض مكتبة الإسكندرية

تستضيف مكتبةُ الإسكندرية مركزَ الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في فعاليات معرضها الدولي السنوي للكتاب، الذي سيقام في المدة من ٦- ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٦هـ/ ٢٦ مارس - ٧ إبريل ٢٠١٥م، الذي يُنظم بالاشتراك مع اتحاد الناشرين المصريين ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

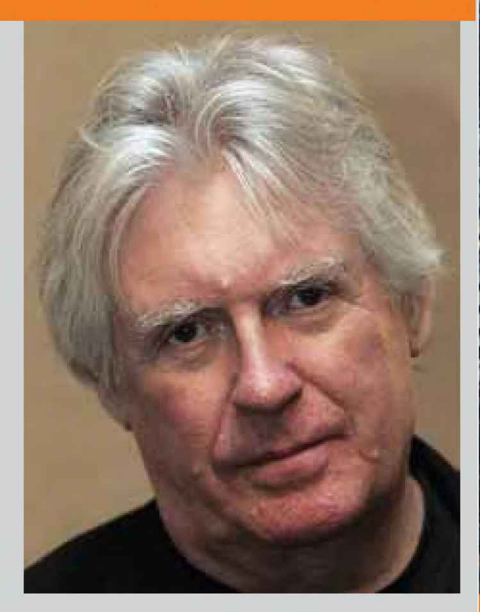
وكان الدكتور يحيى محمود بن جنيد -الأمين العام للمركز- قد استقبل الدكتور خالد عزب -رئيس قطاع المشروعات والخدمات المركزية بمكتبة الإسكندرية- وبحثا الشراكة بين المكتبة والمركز في مجالات البحث العلمي، وخصوصاً بحوث الدراسات الإنسانية، وإقامة ورش عمل ومؤتمرات مشتركة، إلى جانب ترتيبات مشاركة المركز ضيف شرف في فعاليات المعرض، وأهدى الدكتور يحيى مطبوعات المركز إلى مكتبة الإسكندرية.

وأشار الدكتور خالد عزب إلى أنه من المقرر أن يتم إهداء ١٥٠٠ كتاب إلى جمهور المعرض، ستُقدم من مكتبة الإسكندرية، ومركز الملك فيصل، إذ ستجرى مسابقات يومية للجمهور، يتم بعدها إهداء المطبوعات إلى الجمهور، مشيراً إلى أن المكتبة ستتسلم المركز في هذه المناسبة ٦٣٠ عنواناً من إهداءات المكتبة، وأشار إلى أن المطبوعات تضم مجلة ذاكرة مصر، وسلسلة مراصد، وسلسلة أوراق، وسلسلة دراسات في الخطوط والنقوش، وإصدارات مركز الإسكندرية والبحر المتوسط.

واتفق الجانبان على رقمنة مطبوعات مركز الملك فيصل، وإتاحتها على موقع مكتبة الإسكندرية؛ لكي يفيد منها الباحثون والقراء في كل أنحاء العالم.

ومن المنتظر أن يشارك في المعرض كثير من دور النشر العربية؛ من مصر والسعودية ولبنان والكويت، ويأتي على رأس المشاركين في المعرض الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وجامعة الكويت، والمركز القومي للترجمة، ودار الشروق، والمكتبة الأكاديمية.

الشاعر الإنجليزي ديفيد هارسينت
يفوز بجائزة تي إس إليوت



نال الشاعر الإنجليزي ديفيد هارسينت جائزة تي إس إليوت، التي تقدّمها جمعية كِتاب الشعر البريطانية، عن ديوانه الحادي عشر (أغاني النار)، بعد خمس محاولات لنيل الجائزة بدأت في عام ١٩٩٨م.

وقد سبق للشاعر -الذي يعمل أستاذاً في الكتابة الإبداعية بجامعة روهامبتون، وزميلا في الجمعية الملكية للأدب- أن نال جوائز أخرى؛ من بينها جائزة فوروارد عن ديوانه (الفَيْلَق) في عام ٢٠٠٥م، وجائزة جريفين الدولية للشعر عن ديوانه (الليل) في عام ٢٠١١م.

وجائزة تي إس إليوت قد تكون أهم جائزة شعرية في العالم، وانطلقت في عام ١٩٩٣م احتفالا بذكرى إنشاء جمعية كِتاب الشعر الأربعين، وتكريماً للشاعر البريطاني المؤسّس لها. واحتفت الجائزة برموز أدبية؛ كالإنجليزي تيد هيوز، والأسكتلندية آن دافي، والأيرلندي شيموس هيني، ومواطن جزيرة سانت لوسيا ديرك ولكوت، وقد فاز بالجائزة في العام الماضي ديوان (اختلاف المنظر) للشاعرة الأيرلندية شينيد موريسي.

«خضوع»..

رواية عن هيمنة الإسلام على فرنسا تخلق الجدل



أثار الروائي الفرنسي ميشيل هولبيك جدلا واسعاً بعد صدور روايته (خضوع) أو (استسلام) Soumission، التي تدور حول وصول مسلم إلى هرم السلطة في فرنسا، وفَرْض الحِجاب، وتعدُّد الزوجات في البلد، ويتخيل الروائي سعي الرئيس الفرنسي المسلم محمد بن عباس إلى أَسْلَمة أوربا بالتعاون مع تركيا، لإيجاد تكتل شبيه بالإمبراطورية العثمانية.

وتجاوز الجدل حدود فرنسا بعد انطلاق تحذيرات من استغلال المناهضين للإسلام في حركة «بيغيدا» الألمانية الكتاب من أجل الترويج لأفكارهم المعارضة للإسلام، ورأى بعضهم أن هولبيك قدم أفضل هدية لزعيمة الحزب اليميني: مارين لوبين، بمناسبة أعياد الميلاد.

وقد أوضح مدير نشر صحيفة ليبراسيون الفرنسية أن ميشيل هولبيك كتب عملا «يتلاعب بمخاوف الفرنسيين»، في حين شبّه الكاتب إيمانويل كارير الرواية بالأعمال الروائية المشهورة التي تحدّثت عن المستقبل، ووضعها في خانة رواية (١٩٨٤) لجورج أورويل، و(عالم شجاع جديد) لألدوس هاكسلي، وقال الناقد الفرنسي فيليب لانسون: الرواية يمكن قراءتها بوصفها عملا مُعادِياً للإسلام، ونصاً مستفزاً يسمح للقارئ بالتفكير في مخاوفنا بوصفنا فرنسيين، سواء أكانت هذه المخاوف مسوّغة أم لا.

أما الرئيس فرانسوا هولاند، فقال: «إنه سيقرأ الرواية، آخذاً في الحسبان أن الأدب مقرون بالحرية، وأنه سيطلع على مضمون الكتاب قبل أن يعلّق عليه»، وعلقت مارين لوبين -زعيمة اليمين الفرنسي- بقولها: «المثير أن العمل يتحدث عن أمر قد يصبح يوماً ما حقيقة».

ودفع كاتب الرواية عن نفسه تهمة أن عمله الروائي هدية لليمين الفرنسي، وقال: «إنه لن يتحاشى الخوض في الموضوع؛ لأنه مثير للجدل»، وفي الوقت نفسه أقرّ بأنه يلعب على وتر (الخوف)، لكنه نفى وجود أيّ استفزاز موجه ضدّ الإسلام، مؤكّداً أن كتابه مجرد «تسريع للتاريخ».

تبدأ قصة (خضوع) في عام ٢٠٢٢م مع انتهاء الولاية الرئاسية الثانية للرئيس الاشتراكي فرانسوا هولاند في فرنسا، وهي مشرذمة ومنقسمة على نفسها، مع فوز محمد بن عباس -زعيم حزب الأخوة الإسلامية- على مارين لوبن -زعيمة الجبهة الوطنية- في الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية، بعد حصوله على دعم أحزاب يسارية ويمينية على السواء، ويقدّم الرئيس الجديد نفسه على أنه مسلم مدافع عن القيم مثل: المجتمع الأبوي، وتعدّد الزوجات، ووضع الحجاب، ولزوم المرأة المنزل.

وفاة المغني البريطاني جو كوكر



توفي مؤخراً جو كوكر المغني البريطاني الفائز بجائزة غرامي عن ٧٠ عاماً، وكان كوكر المولود في شيفيلد بإنجلترا قد اشتهر بغنائه بصوته الأجشّ في بعض أعمال فرقة البيتلز الشهيرة، وقام بجولات فنية غنائية في سبعينيات القرن الماضي، وسجل ٢٣ ألبوماً غنائياً بالأستوديوهات، وصدر آخر ألبوم له في عام ٢٠١٢م.

وكانت أغنية (بقليل من المساعدة من أصدقائي With A Little Help From My Friends) التي أدتها فرقة (غريس باند) في عام ١٩٦٨م قد احتلت قائمة الأغاني الأكثر مبيعاً، كما حققت أغنيته (كلاب مسعورة ورجال إنجليز Mad Dogs & Englishmen) نجاحاً لافتاً في مطلع سبعينيات القرن الماضي، قبل انتقاله للإقامة في الولايات المتحدة، ومن أجمل أغنياته (أنت جميلة جداً You are so Beautiful)، و(في القمة حيث ننتمي Up where We Belong) في (دويتو) مع جينفر وارنس، واحتلت الأخيرة قائمة الأغاني الأكثر مبيعاً بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٨٢م، وحاز بها جائزتي: غرامي والأوسكار عن أفضل أغنية أصلية.

وتعافى كوكر من إدمان الكحول والمخدرات في السبعينيات، الذي كان يتسبب في نسيانه مقاطع أغانيه، وعلّق على ذلك بقوله: «لو امتلكت الإرادة العقلية لأدرت ظهري لهذه المغريات... لكن حينها لم توجد عيادات التأهيل النفسي، والمخدرات كانت متوافرة... فبمجرد أن تنجذب إلى هذه الدوامة من الصعب جداً الإفلات منها... استغرقت سنوات لأقلع عن الإدمان».

دار نشر لبنانية

تنشر كتاباً عن المفكر السعودي عبدالله القصيمي



تعاقدت دار جداول للنشر والترجمة في بيروت مع المحامي المصري إبراهيم عبدالرحمن لنشر كتابه «خمسون عاماً مع عبدالله القصيمي» وتوزيعه، الذي يتناول فيه علاقته مع القصيمي منذ أن تعرّف إليه في مرحلة دراسته الثانوية.

ولا يزال المفكّر السعودي عبدالله القصيمي يثير الجدل؛ بسبب انقلابه من السلفية إلى الإلحاد، ولمؤلفاته التي هاجم فيها العرب، وأشهرها (العرب ظاهرة صوتية).

ولد القصيمي في عام ١٩٠٧م في خب الحلوة في مدينة بريدة بالقصيم، وهو ينتمي إلى عائلة الرميح المشهورة، وقد التحق بالأزهر الشريف في عام ١٩٢٧م، لكنه فُصل منه؛ بسبب كتابه (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية)، الذي رد به على مقالة العالم الأزهري يوسف الدجوي (التوسل وجهالة الوهابيين) المنشورة في مجلة (نور الإسلام) في عام ١٩٣١م.

كما ألّف القصيمي كُتباً هاجم فيها علماء الأزهر، مثل: شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام، والفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، والثورة الوهابية.

وتغيرت بعد هذه المرحلة قناعات القصيمي، ووصل إلى مرحلة وصفه فيها معارضوه بالملحد. فألّف كتابه (هذي هي الأغلال)، وكتاب (يكذبون كي يروا الله جميلاً)، إلى جانب كتابه الظاهرة (العرب ظاهرة صوتية).

وظل القصيمي مثيراً للجدل إلى بعد وفاته، ففي حين يرى المتابعون له أنه مات على فكره الذي عُرف عنه، تقول آمال عثمان -المسؤولة الإدارية عن قسم كبار السن في مستشفى فلسطين في مصر الجديدة، حيث كان يتعالج إلى وفاته- لصحيفة «إيلاف»، في مقابلة معها نُشرت في ٢ إبريل عام ٢٠٠٤م: «إن القصيمي كان «راجل زي العسل»، طيباً محترماً يخاطبنا بلغة راقية شاعرية، ويكثر المزاح معنا، ويداعبنا بألفاظه الرقيقة، وكان يقول لي: إنكِ إذا تمشين فإن الأرض تدعو لك! قال لنا: إن الله يراقبنا من فوق، فعلينا أن نطهّر قلوبنا من الحقد والحسد»، وأضافت: «كان يقضي وقته في قراءة القرآن الكريم، الذي كان بجانبه طوال فترة إقامته في المستشفى، وإنه في بعض الأحيان كان يقرأ القرآن الكريم بصوت مرتفع ويرتله ترتيلا، وكانت الدكتورة نادية عبدالوهاب -رئيسة القسم- تجلس إلى جانبه وتحاوره في كثير من الأمور الفكرية».

كما قال نجله الدكتور محمد بن عبدالله القصيمي: «إن والده قضى أيامه الأخيرة في مستشفى فلسطين يقرأ القرآن الكريم في أغلب الوقت».

«الشخصية الروائية»..

جديد هيثم حسين



أصدر الكاتب السوري هيثم حسين مؤخراً كتاباً نقدياً جديداً بعنوان (الشخصية الروائية.. مسبار الكشف والانطلاق) عن دار نون للنشر بالإمارات.

ويتناول الكاتب أسرار العملية الإبداعية، وأساليب الروائيين في اختلاقهم شخصيات أبطالهم، ورسمهم الملامح المميزة لها، وهو يوضح أن كل إنسان هو مشروع شخصية روائية، وأن حياته هي مادة خصبة للرواية يمكن الانطلاق منها؛ لكشف بعض الألغاز، وتفكيكها من خلال سبر الأعماق، وإظهار الصور المخبوءة في عتمة الدواخل.

ويحاول حسين الإجابة عن كثير من الأسئلة؛ مثل: كيف يبدع الروائي شخصياته؟ أهي محض خيال، أم أن فيها شيئاً من عالمه؟ وما مشاعره تجاهها؟ أيحبها أم يكرهها أم يخفي مشاعره؟ وما مشاعره تجاه قسوة مصايرها؟

ويشتمل الكتاب على مقدمة بعنوان: (الشخصية الروائية وسلطتها النافذة)، وثلاثة فصول، هي: بعض أطوار الشخصية الروائية، والتداخل بين شخصية الروائي وشخصياته الروائية: مقاربات في السيَر والمذكرات، ومرونة الشخصية وتفاعلها المستمر: التأثير والتأثر في الرواية.

للكاتب هيثم حسين عدة روايات؛ منها: آرام... سليل الأوجاع المكابرة، ورهائن الخطيئة، وإبرة الرعب، وله في النقد الروائي: الرواية بين التلغيم والتلغيز، والرواية والحياة، والروائي يقرع طبول الحرب، وفي الترجمة عن الكردية: من يقتل ممو...؟ أرجوحة الذئاب، وهي مجموعة مسرحيات.

الرواية والسينما

في مؤتمر جائزة الطيب صالح



ناقش المؤتمر العلمي للرواية، المصاحب لجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي الذي عُقد مؤخراً، جدل الرواية والسينما؛ لفهم العلاقة بينهما، وما يميز كل فن من غيره.

وتدارس المؤتمر وضع السينما السودانية، وكيفية إعادة المشاهد إلى دور العرض، وقدّم د. مصطفى الصاوي ورقةً بعنوان: (جدل الرواية والسينما)، عن العلاقة بين الرواية والسينما، بوصفها علاقة مركبة، وأوضح الصاوي أن الرواية بناء لغوي يتضمن حكاية، أما الفلم فهو متوالية صور تنطوي على حكاية، والرواية تقوم على الوصف، بينما يقوم الفلم على الصور. وقال الصاوي: «إن الطيب صالح عندما سئل عن اقتباس روايته (عرس الزين) لعمل سينمائي أكّد أن تحويل النص من القراءة إلى التلفاز أو السينما أو المسرح ليس مسؤوليته، بل مسؤولية من يريد تحويل الكلمة إلى صورة».

وجاءت ورقة الطيب مهدي –المخرج السينمائي السوداني– بعنوان: (تجليات السرد في بنية الفلم السينمائي)، وأوضح فيها اختلاف لغة الفلم عن لغة الرواية، وهذا الاختلاف هو الذي يفرض شرط الحكي في كلا الوسيطين.

وقال البروفيسور محمد المهدي بشرى في ورقته المعنونة: (من النص الروائي للفلم السينمائي): «إن كثيراً من النقاد يذهبون إلى أن المشترك بين الفلم والرواية هو الصور البلاغية؛ مثل الإيجاز، أي: استخدام الجزء ليعني الكل». وأشار بشرى إلى فلم (الجمل) للمخرج السوداني إبراهيم شداد؛ إذ استخدم (الطربوش) مشيراً إلى الحكم التركي.

وأوضح الدكتور محمد مصطفى الأمين –أستاذ مادة السينما بكلية الآداب في جامعة أم درمان الأهلية في ورقته: (أسس النقد الأدبي للرواية وأسس النقد الفني السينمائي) أن تركيز الفلم ينصبّ على الصور المتحركة، ولهذا أصبح من الجوهري فهم طبيعة التعبير، مشيراً إلى أن الخواصّ المرئية للفلم تتكون من عوامل متعددة؛ مثل: خامة الفلم، والعدسات، وزوايا التصوير، ووضع الكاميرا وحركتها، أما المادة الدرامية الروائية فتعتمد على الحدث الدرامي المتصاعِد، والشخوص، والإثارة والتشويق، وتتابع الأحداث.

واقع الكتابين الورقي والإلكتروني

في ندوة بالدوحة

نظم المعرض الدولي للكتاب بالدوحة الذي عقد مؤخراً ندوة بعنوان: (دور الكتب والمكتبات في ظل الصراع الورقي الإلكتروني)، هل سرعة انتشار الكتاب الإلكتروني والإقبال تعنيان انتهاء عصر الكتب المطبوعة والورقية. وأكد خالد عزب –رئيس قطاع المشروعات والخدمات المركزية بمكتبة الإسكندرية– أن المكتبات الرقمية تتيح للقارئ تدفق المعلومات على نحو سلس وسريع، لافتاً إلى أن مستقبل المعرفة سيكون من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة والإنترنت. وأوضح عزب أن مكتبة الإسكندرية تتيح للباحث ٤٠ ألف كتاب مجاناً على الإنترنت، وأن الموقع الإلكتروني للمكتبة يستقبل ملياراً ومئة مليون زائر سنوياً من خلال جهود ١٥ مركزاً بحثياً.

وقدم شريف شاهين –وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة– مؤشرات عالمية تدلّ على الانتشار السريع لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في شتى مجالات الحياة، مسجلا اختلاف المدة الزمنية التي استغرقتها كل وسيلة اتصال للوصول إلى خمسين مليون شخص، فالراديو استغرق ٣٨ عاماً، والتلفاز ١٣ عاماً، والإنترنت استغرق أربعة أعوام، وجهاز الآيبود ثلاثة أعوام، بينما استغرق فيسبوك عامين فقط؛ للوصول إلى هذا العدد من متصفّحي العالم الأزرق.

وعرض شاهين معدلات نشر المعلومات النصية والمسموعة والمرئية واستخداماتها على الإنترنت خلال الدقيقة الواحدة؛ إذ يتم تحميل ثلاثين ساعة فيديو على اليوتيوب مع مشاهدة مليون وثلاثمئة ألف مقطع فيديو في الدقيقة الواحدة، والقيام بأكثر من مليوني عملية بحث على جوجل، ومشاهدة ستة ملايين صفحة على فيسبوك، ودخول ٢٧٧ ألف شخص على الموقع، وتحميل ثلاثة آلاف صورة على موقع فليكر، ومشاهدة عشرين ألف صورة في الدقيقة، إضافة إلى إرسال ٢٠٤ ملايين بريد إلكتروني، وإرسال مئة ألف تغريدة على تويتر في خلال ستين ثانية.

وأعرب أحمد رشاد –المدير التنفيذي للدار المصرية اللبنانية للنشر– عن تخوف الناشرين والمؤلفين من انتشار الكتاب الإلكتروني؛ بسبب عدم توافر حقوق الملكية الفكرية، وحجم القرصنة التي يشهدها العالم العربي. وأبرز رشاد ضعف الارتباط بين القارئ والكتاب الإلكتروني، مشيراً إلى أن هناك دراسات تؤكّد أن ٥ إلى ١٠٪ من الشباب العربي يملكون أجهزة لوحية، مقابل ٥٠٪ من الشباب في أمريكا يملكون أجهزة لوحية قارئة.



سيد الجعفري | هيئة التحرير

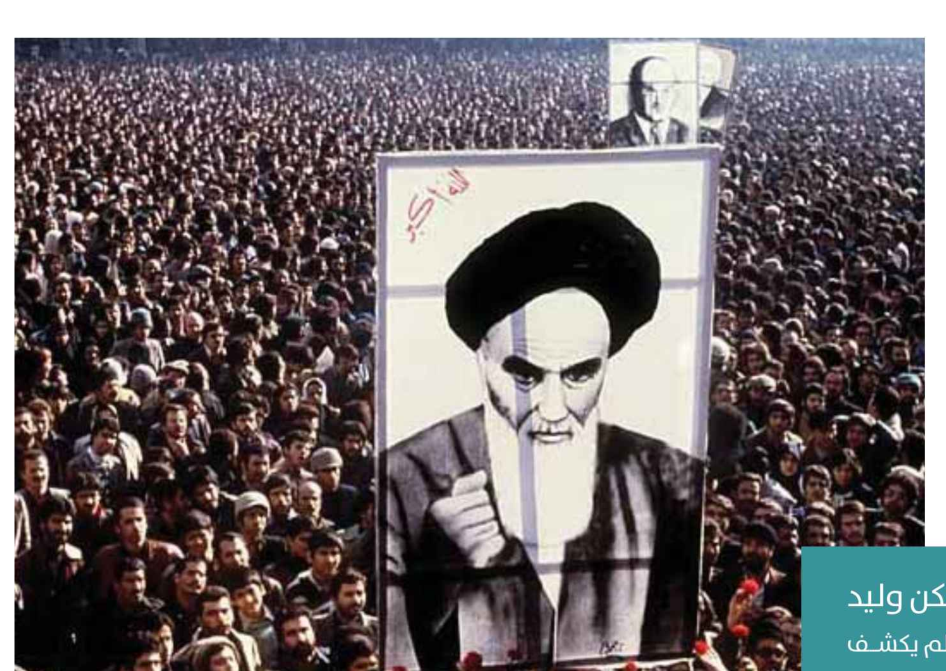
المرشد الأعلى في إيران

من الخميني إلى سيناريوهات المستقبل

أصدر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤخراً دراسةً عن (سيناريوهات مستقبل منصب المرشد الأعلى في إيران)، ضمن إصدار (مسارات) الشهري، الذي تصدره إدارة البحوث بالمركز باللغتين العربية والإنجليزية، ويُعنى بقراءة أهم الأحداث والأفكار السياسية المعاصرة في العالم الإسلامي وتحليلها. وتتناول هذه الدراسة إجراءات تنصيب المرشد الأعلى في الجمهورية الإيرانية الإسلامية، التي تعد من أكثر العناصر إثارةً للجدل والغموض في فنّ إدارة الحكم في إيران ما بعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، بوصفه وضعاً فريداً لا تُمكن مقارنته مع المؤسسات الأخرى العليا في نظم الدولة الحديثة؛ مثل: رئاسة الجمهورية، أو تولّي العرش في النظام الملكي؛ لأن المرشد الأعلى في إيران يمثّل المرجعية التي لا يمكن الاستغناء عنها، حتى إن وفاة آية الله الخميني -أول مَن شغل هذا المنصب- عام ١٩٨٩م أجبرت خلفاءه على القيام بمراجعةٍ جوهريةٍ للدستور من أجل تسهيل صعود علي خامنئي إلى سدة الحكم خلفاً له، وإيجاد مؤسسة جديدة فاعلة يتمتّع بمعظم صلاحياتها التي كان الخميني ينفرد بها.

المنصب وعلاقته بالثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م

تناولت الدراسة هذه القضية من خلال أربعة عناصر، هي: المراحل الأولى (١٩٧٩-١٩٨٤م)، واختيار خامنئي عام ١٩٨٩م، ومسألة الخلافة منذ عام ١٩٨٩م إلى الوقت الراهن، والسيناريوهات المحتملة على المديين القصير والمتوسط، إضافةً إلى خاتمةٍ توضّح الآثار المترتّبة على خلافة خامنئي على نطاق أوسع. في العنصر الأول (المراحل الأولى: ١٩٧٩- ١٩٨٤م)، أكّدت الدراسة أن منصب المرشد الأعلى، الذي يُنظر إليه في إيران على أنه يجسّد ولاية الفقيه، لم يكن وليد ثورة عام ١٩٧٩م مباشرةً؛ إذ لم يُمطِ الخميني اللثام من فَوْره عن آرائه حيال مكانته ووضعه ضمن نظام الدولة الوليدة التي جاءت على أنقاض نظام الشاه، الذي انهار في فبراير عام ١٩٧٩م، مفضّلا مراقبة الوضع والشدّ والجذب بين المؤيدين والمعارضين، الذين انقسموا حول تعريف نظام الدولة الجديد. وقد دخل الخميني غمار المعركة الانتخابية بصورة تدريجية بدءاً من يونيو عام ١٩٧٩م، عندما بدأ بانتقاد النسخة النهائية من الدستور التي أعلنتها حكومة مهدي بازركان الثورية المؤقتة. وكان أتباع الخميني قد أعلنوا عشيّة انتخابات الجمعية التأسيسية في يوليو عام ١٩٧٩م عن مقترحات مهمة ومؤثرة، داعين إلى الإعلان عن منصب جديد يحمل اسم (الفقيه)، أو ضمان أن يكون هو أرفع شخصية على الدوام؛ أي: رئيس الجمهورية، وأن يكون من علماء الدين الشيعة البارزين حسبما ينصّ عليه دستور الحكومة الثورية المؤقتة. وعجّل فوز حلفاء الخميني في انتخابات الجمعية التأسيسية من سير عملية إنشاء مؤسسة مستقلة للوليّ الفقيه، طغت على البنية الهيكلية للنظام الجمهوري، وأصبحت أهم مؤسسة في الدولة. وأشارت الدراسة إلى أن جذور فكرة تلك المؤسسة تمتد من سلسلة محاضرات الخميني، التي كان يلقيها في النجف في أواخر الستينيات، والتي ضمّنها في كتاب له بعنوان: (الحكومة الإسلامية)؛ لأن كثيراً من السلطات الفعلية التي منحها الدستور الإيراني عام ١٩٧٩م المرشد الأعلى لم تكن موجودةً في برنامج الخميني، ولم تكن حاضرةً ضمن مبادئ فنّ الحكم الحديث، إضافةً إلى أن المواد المتعلقة بإسناد السلطات العليا؛ كالقيادة العليا للقوات



منصب المرشد الأعلى في إيران لم يكن وليد ثورة عام ١٩٧٩م مباشرةً؛ فالخميني لم يكشف سريعاً عن آرائه حول مكانته في نظام الدولة الوليدة



كاريزما الخميني قهرت تحدّيات الحكم

كانت شخصية الخميني الكاريزمية الطاغية، وقدرة أتباعه على قمع جميع التحديات الكبرى لحكمه في المدة من (١٩٨٢- ١٩٨٣م)، تعني أنه كان قادراً على السيطرة التامة على مفاصل الدولة الإيرانية في غضون خمسة أعوام من عودته إلى إيران في أوائل عام ١٩٧٩م. ومع ذلك فقد أبقى الخميني على آرائه الغامضة والمبهمة تجاه مشاركته المباشرة في السياسة؛ فهو لم يعدّ نفسه في يوم من الأيام قائداً عاماً للقوات المسلحة، مع أن الدستور يخوّله هذه المهمة بشكل مباشر، بل فضّل تفويض الرئيس بني صدر تلك المسؤولية خلال المدة من (١٩٨٠- ١٩٨١م)، وتفويضها هاشمي رفسنجاني الذي كان رئيساً لمجلس الشورى الإسلامي مدةً طويلةً في أثناء الحرب مع العراق. لكن بحلول عام ١٩٨٤م كانت المخاوف تزداد بشأن تقدّم سنّ الخميني، وتدهور حالته الصحية؛ إذ كان يبلغ الثمانين من عمره عندما عاد إلى إيران قبل خمسة أعوام، وهو ما حدا بالنخبة السياسية إلى وضع الترتيبات اللازمة لاختيار خليفةٍ له في حال رحيله المفاجئ.

المسلحة، أو الإشراف على أجهزة الدولة الثلاث: التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، مستمدة من المرجعية التي حدّدها آية الله محمد باقر الصدر، أحد علماء النجف، رداً على استفسار من مجموعة من علماء الدين الشيعة اللبنانيين، الذين طلبوا منه بياناً حول شكل النظام الإيراني الجديد. وكان ردّ الصدر هو تقديم شخصية تحمل اسم (المرجع القائد)، تُعهد إليه السلطة في وقت لاحق عن طريق الدستور الإيراني الصادر عام ١٩٧٩م، الذي تمّت المصادقة عليه ودخل حيّز التنفيذ بصورة قانونية بعد استفتاء نوفمبر عام ١٩٧٩م. وتمّ نشر بيان الصدر باللغة الفارسية فوراً بعد ذلك، ويبدو أنه حظي بالإعجاب والقبول داخل الأوساط السياسية الإيرانية في المدة بين فصلي الربيع والصيف من عام ١٩٧٩م، وكان على الأرجح مصدر إلهام لصياغة المادة الخامسة من دستور عام ١٩٧٩م. وترى الدراسة أن ضرورة كون المرشد الأعلى مرجعاً معترفاً به عالمياً، الذي كان منصوصاً عليه في الدستور الإيراني، أدّى إلى تقويض آلية خلافة المرشد الأعلى بشكل واضح، وأن ازدياد المخاوف عام ١٩٨٤م بشأن تقدّم سنّ الخميني، وتدهور حالته الصحية، حدا بالنخبة السياسية إلى وضع الترتيبات اللازمة لاختيار خليفةٍ له في حال رحيله المفاجئ؛ فتمّ تأسيس مجلس للخبراء، مهمّته اختيار مرشد جديد، وكان هذا المجلس هو الهيئة الوحيدة في إيران المؤلّفة بالكامل من علماء الدين؛ إذ يضمّ ٨٦ عضواً يتم انتخابهم كلّ ثماني سنوات.

خامنئي مرشداً عاماً

تحدّثت الدراسة في العنصر الثاني (اختيار خامنئي عام ١٩٨٩م) عن امتناع مجلس الخبراء، الذي كان دوره هامشياً في أول عملية اختيار للمرشد الأعلى عام ١٩٨٤م، عن الاضطلاع بدور فاعل في جهود البحث عن خليفة جديد بطريقة سلسة، وظلّت المسألة معلّقةً من دون حلّ إلى وفاة الخميني في يونيو عام ١٩٨٩م. وأشارت الدراسة إلى أن الخميني أصدر قبل وفاته مرسوماً كان له أثر حاسم في ترقية خامنئي ليكون خلفاً له؛ فقد بعث رسالةً إلى علماء الدين، أشار فيها إلى أن شرط (المرجعية) الوارد في الدستور يعدّ مُلغًى فيما يتعلّق باختيار المرشد الأعلى الجديد، الذي يجب أن يتمتّع بخصائص وميزات معينة؛ كأن يمتلك بصيرةً سياسيةً واقتصاديةً واجتماعيةً نافذةً لا يتمتّع بها كبار السنّ وكبار علماء الدين البعيدون عادةً من المشهد السياسي، وخلص الخميني إلى أن مصالح الجمهورية الإيرانية الإسلامية تقتضي أن تتصدّر لها شخصية دينية معتدلة، ذات مكانة رفيعة، ولها باع طويل في الميدان السياسي داخل النظام؛ لتكون قادرةً على تعزيز أهداف النظام، وتحقيق طموحاته. وأكدت الدراسة أن وفاة الخميني في الثالث من يونيو عام ١٩٨٩م جاءت في لحظة غير مناسبة؛ إذ كان مجلس مراجعة الدستور قد عقد حينها ١٦ جلسةً، لم يكن أيّ منها قد بحث مسألة إصلاح مؤسسة القيادة، ولم يكن الخميني قد أعطى أيّ إشارة إلى خليفته، تاركاً خلفاءه في مأزق كبير بخصوص اختيار بديل له. وكانت الخطوة الأولى للجنة المرتجلة التي كانت تعالج شؤون الدولة في أعقاب وفاة الخميني هي إصرارها على دعوة مجلس الخبراء إلى الانعقاد في أقرب وقت. وفي الرابع من يونيو عام ١٩٨٩م انعقد المجلس لاختيار خلفٍ للخميني من دون التوصّل إلى اقتراح شخص بعينه يعتلي سدة الحكم، وتمّ طرح عدة مقترحات مختلفة ومتفاوتة في مضامينها إلى حدّ كبير، تطالب كلّها باختيار خامنئي. كان الاقتراح الأول يدعو إلى الاستفادة من المادة الدستورية، التي تسمح بتأسيس مجلس قيادة من ثلاثة أشخاص، ويتألّف من: الرئيس، ورئيس السلطة القضائية، ورئيس مجلس

الخميني أصدر قبل وفاته مرسوماً بإلغاء شرط «المرجعية» الوارد في الدستور كان له أثر حاسم في ترقية خامنئي خلفاً له

لن يُسمِّي خامنئي خليفةً له؛ لأنه يحذر من تفويض أيّ شخص أياً من صلاحياته الواسعة التي منحها له الدستور

الرئيس الإيراني حسن روحاني

الخبراء، وهم على الترتيب: حجة الإسلام علي خامنئي، وآية الله موسوي أردبيلي، وآية الله علي مشكيني، في حال عدم وجود مرشّح واحد مناسب. ولم ينجح هذا المقترح في حشد الدعم الكافي داخل المجلس، الذي كان يميل إلى الإبقاء على نموذج القائد الأوحد. وأصرّ المجلس في المحاولة الثانية على تسمية آية الله قلبيجاني، العضو الباقي على قيد الحياة من ثلاثي علماء قم: الخميني، وشريعة مداري، وقلبيجاني، لكن داء الشيخوخة كان قد أصاب قلبيجاني، فاعتزل السياسة تماماً في ظروف أدّت إلى رفض اختياره. وهنا تدخّل رفسنجاني -رئيس مجلس الخبراء حينها- فشرع في سرد رواية عن محتوى اجتماع عقده مع الخميني قبل وفاته، قال فيه الخميني: إن خامنئي قد يكون الزعيم الأنسب، فتمّت مصادقة مجلس الخبراء على اختيار خامنئي سريعاً؛ ليُسدل بذلك الستار على قضية اختيار خليفة الخميني.



محمد جواد ظريف

سيطرة خامنئي وتهميش مجلس الخبراء

ناقشت الدراسة في عنصرها الثالث (مسألة الخلافة منذ عام ١٩٨٩م إلى الوقت الراهن)، وأكدت أن خامنئي ظلّ مهيمناً على منصب المرشد الأعلى أكثر من عقدين من الزمن، وأن قدرته على السيطرة على زمام الأمور، وقدرته على المناورة وتحويل مسار الجناح اليساري الوليد المعارض لحكمه في المراحل المبكرة من وجوده في سدة الحكم، يدلاّن على أن مسألة الخلافة ظلّت معلقةً تماماً منذ صعوده إلى السلطة، ويبدو أن خامنئي كان يقود هذا الوضع بنفسه؛ فلم يكن يثق قطّ بالبيئة السياسية المحيطة به، وظلّ دائماً على حذر من مكايد منافسيه ومعارضيه السياسيين، بل عمد خامنئي إلى إضعاف أهم مؤسسة كان يمكنها اختيار خليفة له، أو حتى إنهاء ولايته، وهو مجلس الخبراء؛ فوفقاً لدستور عام ١٩٨٩م المعدّل، يحتفظ مجلس الخبراء بدوره الأصلي لاختيار المرشد الأعلى في المستقبل خلفاً لسلفه الراحل، كما يمتلك المجلس الحقّ والقدرة على مراقبة أداء المرشد الحالي، وحقّ خلعه إذا قرّر المجلس عدم كفايته وافتقاره إلى المقوّمات الضرورية التي تحول دون قيامه بمسؤولياته. وهذا الأمر يعني أن المجلس قد يقف في وجه المرشد، ويخلعه من منصبه؛ لذلك عمد خامنئي ورفسنجاني عام ١٩٩١م إلى تغيير القواعد واللوائح التي تنظّم انتخابات مجلس الخبراء، ففرضا امتحانات تحريرية لتقويم مدى ملاءمة المرشّحين للمجلس، وهو شرط أبطل الاعتماد السابق الذي كان أيسر وأكثر بساطةً، وهو الاكتفاء بالحصول على (خطاب إحالة) من أحد كبار المراجع. وأدى هذا التطور إلى وجود مجلس خبراء يسيطر عليه بإحكام المرشد، وإلى فقدان المجلس قدراً كبيراً من الاستقلال السياسي. لكن فرضت بعض الأحداث عام ٢٠١٤م، أهمها مرض خامنئي، ضرورة عودة مجلس الخبراء إلى سابق عهده، وربما كان



آية الله حسن مدرس

خامنئي وراء ذلك أيضاً؛ بسبب رغبته في غرس الوعي فيما يتعلّق بتقدّم سنّه، وترسيخ الحاجة إلى البدء بوضع خطط كفيلة باستمرار مؤسسة القيادة في حال رحيله، مع أنه من غير المرجّح أن يُسمّي خامنئي خليفةً له على المديين القصير أو المتوسط، كما أنه يُبدي دائماً حذراً شديداً من تفويض أيّ شخص أياً من صلاحياته الواسعة الممنوحة له بموجب الدستور الحالي.



علي لاريجاني

خمسة سيناريوهات لخلافة خامنئي

قدّمت الدراسة في عنصرها الرابع والأخير (السيناريوهات المحتملة على المديين القصير والمتوسط) قراءةً واعيةً لمدى قلق مجلس الخبراء واهتمامه بقضية منصب المرشد الأعلى، بوصف المجلس سيكون محطّ التطورات المستقبلية فيما يخصّ القيادة، وأن المجلس سيكون له رئيس جديد يحلّ محلّ

خامنئي.. عالم ديني متوسط المرتبة

كان خامنئـي -قبل تولّيه منصب المرشـد الأعلى- عالم دين من المراتب المتوسـطة؛ فقد توقّف فعلياً عن الدراسـة والبحث في الحوزة لمواصلة مشـواره السياسـي، وهو الزعيم الجديد الذي تنقصه الكفاءة العلمية، والذي كلّف الصحافة الرسمية التابعة للنظام ضرورة رفع درجته من رتبة (حجـة الإسـلام) غيـر الرفيعة، التـي كان يُلقَّب بها إلى آخـر ثلاثة أو أربعة أيـام قُبيل خلع مجلس الخبراء عليه لقب (آية الله)، وهو اللقب الذي صار يُلقَّب به منذ ذلك الحين. وكانت رسـائل التهنئة التي بعث بها كبار علماء الدين في قم إلى خامنئي تتضمّن عدداً من الرسـائل مجردةً من اللقب الجديد، وممهورةً باللقب القديم، وهو مؤشّـر آخر على عدم كفاءته العلمية، وهي من الأمور التي واجهت خاتمي وتجاوزها فور تسلّمه زمام الأمور.

خامنئي هيمن على منصب المرشد الأعلى، وأضعف مجلس الخبراء الذي يخوّله دسـتور ١٩٨٩م المعدّل مراقبـة أدائه، وخلعه، واختيار المرشد الجديد

آية الله محمود هاشمي شاهرودي –القائم بتصريف أعماله الحالي– قبل نهاية العام الحالي حسب التقويم الفارسي (مارس عام ٢٠١٥م)، وأن مدة الرئيس الجديد ستكون قصيرةً على أيّ حال؛ لأن المجلس على مشارف انتخابات جديدة في نهاية مارس عام ٢٠١٥م. وتشير الدراسة إلى أن الكفة تميل في نظام الدولة الإيرانية حالياً إلى مصلحة (السبعينيين)، الذين حافظوا على مناصبهم السياسية الرفيعة منذ الأيام الأولى لقيام الجمهورية الإيرانية الإسلامية، وتنظر الدراسة إلى أن عهد أحمدي نجاد كان محاولةً لتغيير الأجيال داخل السلطة التنفيذية، لكنها أخفقت فعاد كبار السنّ مرةً أخرى.

وتقدّم الدراسة تحليلا للنتائج المحتملة لتشكيل القوى إذا تمّت دعوة مجلس الخبراء إلى اختيار القائد الجديد بعد الانتخابات التي ستُجرى في مارس عام ٢٠١٥م، وتضع لذلك خمسة سيناريوهات أساسية للوصول إلى منصب المرشد الأعلى، هي:

- الاختيار التوافقي الأوحد:

فإذا لم يترك خامنئي إشارةً تدلّ على ترشيح خليفة بعينه بعد وفاته فقد يلجأ المجلس إلى المفاضلة بين الخيارات المطروحة، فيتّجه إلى الخيار الانتقالي الأوحد إذا لم يظهر مرشّح قويّ. والاسم الذي يرجّحه هذا السيناريو هو محمود هاشمي شاهرودي، عالم الدين العراقي المولد، الذي استقرّ في إيران عام

١٩٨٠م بصفته الممثّل الشخصي لآية الله باقر الصدر، والذي يتمتّع بسمعة طيّبة بين الإصلاحيين والأحزاب والشخصيات المحافظة على حدٍّ سواء.

- حلول جماعية:

وهي العودة إلى السيناريو الذي تمّ اتّخاذه عام ١٩٨٩م، بإنشاء مجلس للقيادة يتألّف من: الرئيس، ورئيس السلطة القضائية، ورئيس مجلس الخبراء، على أن تستغرق تلك القيادة الجماعية مدةً محدودةً إلى أن تتمكّن القوى السياسية من الوصول إلى تسوية لشكل مؤسسة القيادة من خلال عملية إصلاح دستوري. ومن شأن هذا السيناريو أن يلقى قبولا لدى جيل الشباب من المحافظين والإصلاحيين، وتبرز فيه شخصيتا: الرئيس حسن روحاني، وصادق لاريجاني رئيس السلطة القضائية.

- استعادة أحداث عام ١٩٨٩م في الأذهان (الصعود الجديد للرئيس):

وينظر هذا السيناريو إلى دور السلطة التنفيذية في تعيين منصب المرشد الأعلى كما حدث مع خامنئي نفسه؛ إذ كان رئيساً للدولة عندما تولّى هذا المنصب عقب الخميني. ويدعم هذا السيناريو أن من يتقلّد منصب الرئاسة حالياً هو الشخصية الدينية حسن روحاني، وقد يحاول بعض وسطاء السلطة الضغط من أجل ترقيته لخلافة خامنئي. وتنحصر فرص نجاح هذا السيناريو، الأكثر ميلا إلى السياسة، في مدى نقله إلى حيّز الواقع عبر وجود شخصيات دينية لائقة يمكنها الاحتفاظ بمنصب الرئاسة في المستقبل المنظور. ومن المتوقع وفق هذا السيناريو أن يسعى روحاني إلى إعادة انتخابه مرةً أخرى عام ٢٠١٧م؛ ليمهّد الطريق لنفسه لكي يكون في موقف قوة إذا رحل خامنئي قبل عام ٢٠٢١م.

- تدخّل قويّ من قوى خارجية:

يطرق هذا السيناريو احتمال تدخّل فاعل من أطراف خارجية في عملية البحث عن مرشد؛ بهدف تقديم كلّ طرف رئيساً صُورياً له يكون خلفاً لخامنئي، ويحافظ على مصالحه الاقتصادية الضخمة المكتسبة، وستكون قيادة الحرس الثوري الإيراني أوفر حظاً لاختطاف منصب المرشد الأعلى؛ بسبب ازدهار قوّتها ومصالحها الاقتصادية الضخمة الذائعة الصيت. وسيمثّل هذا السيناريو انحساراً



مجلس الخبراء قد يلجأ إلى الخيار الانتقالي الأوحد إذا لم يظهر مرشّح قويّ.. والمرشّح لذلك هو هاشمي شاهرودي عالم الدين العراقي المولد



لأهمية الطبقة السياسية غير العسكرية وتأثيرها، ولاسيما الأحزاب الإصلاحية. ويرتبط تحقّق هذا السيناريو بحظوظ الحرس الثوري الإيراني في السنوات القليلة المقبلة، وقدرته على الاحتفاظ بامتيازاته الاقتصادية، خصوصاً في حال الوصول إلى اتّفاق نووي بين إيران والغرب، وفتح الاقتصاد الإيراني على مشاركة أجنبية ومحلية أوسع في المشروعات الاقتصادية. ومن الشخصيات المناسبة لتحقيق هذا الدور مصباح يزدي، وبعض الشخصيات الأخرى من الجناح الأشدّ تطرفاً من المحافظين؛ مثل: حامد رسائي، أو أحمد خاتمي، وكلاهما نائب برلماني متشدّد

عن طهران. وقد يكون صادق لاريجاني من الشخصيات الأقرب إلى الجناح المعتدل، مع مراعاته مصالح الحرس الثوري الإيراني.

- مرحلة الكرسيّ الشاغر:

وهو أن تمرّ البلاد بمرحلة (الكرسي الشاغر) ولو مدةً وجيزةً جداً، على غرار ما حدث في الفاتيكان في المدة بين وفاة البابا وانتخاب خليفة له. ومن المرجّح أن تكون هذه المرحلة قصيرةً، وسيتم تجاوزها من خلال إنشاء مجلس قيادة مؤقّت لدرء احتمال اندلاع أنشطة متطرّفة في المناطق المضطربة في البلاد، وهو سيناريو محتمل لا ينبغي تجاهله واستبعاده تماماً، خصوصاً أن خامنئي مازال يحجم إلى الآن عن تسمية خليفة له.

المنصب والأجيال الشابة

تستعرض الدراسة في خاتمتها الآثار المترتبة على خلافة خامنئي على نطاق أوسع، مؤكدةً أن مسألة خلافة خامنئي لا تزال شائكةً ومبهمةً؛ بسبب التطورات السياسية في الجمهورية الإيرانية الإسلامية. وتشير الدراسة إلى أن الظروف الحالية لإيران ستعمل على إنعاش مجلس الخبراء، وبثّ الروح فيه من جديد، بعد أن مرّ بحقبة طويلة من السُّبات العميق، وأن المرحلة مرشّحة لمزيد من المواجهات الحزبية إذا نجح رفسنجاني في السيطرة على المجلس في مارس عام ٢٠١٥م. وخلصت الدراسة إلى أن خامنئي سيكون بحاجة ماسة إلى وضع إستراتيجية لجذب الأجيال الشابة من الأحزاب السياسية التابعة له، وكذلك سيفعل معارضه آية الله مصباح يزدي مع الأجيال الشابة التابعة له، وهو ما يعني أن مرحلة ما بعد خامنئي يمكن أن تُستهلّ بجيل جديد على الفور، لن يتوانى عن إعلان مطالبه بوصفه جزءاً من النخبة السياسية في إيران. وترى الدراسة أنه من الآن إلى موت خامنئي ستكون مختلف الأحزاب في سباق مع الزمن للوصول إلى حلّ دائم لمعضلة منصب المرشد الأعلى؛ تلك المؤسسة التي ستظلّ هي أقوى مؤسسة وأكثر أهميةً في الجمهورية الإيرانية الإسلامية.



إيران قد تشهد ترقية رئيس الجمهورية إلى منصب المرشد الأعلى على غرار ما حدث مع خامنئي نفسه.. ويدعم ذلك أن من يتقلّد منصب الرئاسة حالياً هو الشخصية الدينية حسن روحاني



فضل بن عمار العماري | السعودية



تجربة ذي الرمة الشعرية

قال ذو الرمة:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنها من كُلى مَفريّة سَـرِبُ

ولـم يصـف ذو الرمـة الأطلال ابتداءً، بل اتّخـذ الموقف الثاني، ألا وهـو البكاء فيها، وربط مباشـرةً بين انهمار الدمع والتشبيه بمثيله، وهي القِربة المملوءة ماءً فانفتحت، وذهب يصف كيف فسَد صُنعها.

ويركّز ذو الرمة بعد ذلك في فيضان الماء منها كدمعه هو:

وفـراء غَرفـيّةٌ أثأى خـــوارزهــا مُشلشِـل ضَيَّعتـه بينهـا الكُتَـبُ

ثم انتقل إلى موقف أصحابه معه، فقال:

أستحدَثَ الركب من أشياعهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طربُ؟!

غير أن ذا الرمة عاد فأتى بذكر الأطلال:

أم دِمنة نَسَفت عنها الصَّبا سُفعاً كمـا تُنشَّـر بعـدَ الطِّيـة الكُتَـبُ

سيلاً من الدِّعص أَغشته مَعارفَها نَكبـاءُ تَسـحب أعـلاه فيَنسـحبُ

لا بل هو الشـوق مـن دار تَخوّنها ضـربُ السـحاب ومَـرٌّ بـارح تَـربُ

إلى لـوائح مــن أطــلال أَحــوِية كأنهـا خِلـل مَوشِـيَّة قُشُـبُ

بجانب الزُّرق لم تَطمِس معالمَها دوارج المُور والأمطار والحِقَبُ[1]

تخطيط مقدّر

ومضى بعد ذلك في وصف طويل إلى وصف صاحبته (مية)؛ حتى خلص إلى وصف رحلته، مشبِّهاً راحلته بالحمار الوحشي مع إناثه، وتربّص الصيّاد به، وكذلك بالثور الوحشي وكلاب الصيد تطارده. ولم يكتفِ بذلك، بل شبّه ناقته بذكَر النعام، مشبِّهاً له بعدة تشبيهات، ويوصل هذا بأنثى الظليم، ويذكر أفراخهما.

إن هذا التخطيط هو تخطيط مقدَّر عند العلماء والرواة في القرن الثاني الهجري وما بعده؛ فلماذا لم يحظَ ذو الرمة بما حظي به الأخطل، أو عديّ بن الرّقاع، أو الراعي النميري، ممّن سلك هذا المنهج، وسار طريقه؟!. هل لأن ذا الرمة -كما قيل- انصرف إلى وصف أبعار الإبل، مع أنهم كلّهم يفعلون ذلك؟! وقد مدح ذو الرمة كما مدحوا، وعُرف كما عُرفوا بأنهم جميعاً شعراء إسلاميون، لا يخلو شعر أحدهم من تأثّر بالإسلام؛ فلماذا اختُصَّ ذو الرمة بالإفراد، وهم كلّهم من فصحاء الأعراب ممّن يقول الشعر شفوياً لا كتابة، وهم كلّهم لديهم -على قدْر- جوانب من التجديد والإطراف في الصورة؟!. أسئلة محيّرة حقاً؛ فشعره -على أقلّ تقدير- نمط قديم، والإيقاع الشعري لديه هو عين الإيقاع الشعري لدى أيّ شاعر جاهليّ (النموذج الأمثل)، ومثلما هو لدى أولئك الشعراء البدو المذكورين في عصره، ولغته في مستوى لغة أولئك. ومع صعوبة الإجابة عن أيّ من الأسئلة الماضية فلنحاول الوقوف على بعض الأسرار إن أمكن ذلك.

ذو الرمة شـاعر كلمـة منتقاة، وتخطيط مرسـوم في الذهن والذاكرة معاً؛ فشـعره على هذا ذو طابع واحد

يكشف هذا البناء للقصيدة بذلك التسلسل الدقيق، وهذه الاستفاضة المتعاقبة، عن أمرين: الأول: سيطرة التقليد سيطرةً تامةً، والثاني أن الذهنية التي تصوغ هذا الترتيب ذهنية حاضرة واعية في أثناء العملية الإبداعية. وينبثق من هذه الأسئلة السؤال عن مكانة العاطفة في شعر ذي الرمة؛ فنحن أمام رؤية جاهزة للشعر، حقاً ذكَر أنه يبكي، لكن هذا البكاء لم يُتِح له المجال للتعبير؛ فهي مجرّد صورة تنقل الحدث، ولا تفجّره. والكلمات محسوبة لدية بعناية شديدة، ودقة بالغة: عين تفيض بالدمع، وقربة يتسرّب منها الماء. ويأتي وصف الأطلال كالمعهود في هذا الشأن: بقايا مساكن، وآثار تعرية. وأهم من كلّ ذلك أن الصوت غير مشحون بالتوتر والانفعال والمعاناة. وهذا الأمر هو الذي قاد تلقائياً إلى لوحات ثلاث مرسومة رسماً بيدِ فنّان ينقل المشاهد، ولا يتفاعل معها، مع أن فيها ما يثير ويدهش.

وعلى هذه الوتيرة، وفي ظلّ هذه السياقات، وضمن هذه الأنساق، يسير شعر ذي الرمة، مع تعديلات هنا أو هناك، إلا أن ما يميّز هذا الشعر هو الإيقاع الذي كثيراً ما جاء في البسيط والطويل، نجد هذا في قصيدته الأخرى:

خليليّ عـوجا الـيوم حـتى تسلّما على دار ميّ من صدور الركائبِ[2]

وقصيدته:

تصابيتُ في أطلال مية بعدمـا نَبـا نبوةً بالعين منهـا دُثورها[3]

وقصيدته:

أألن ترسّـمـتَ مـن خـرقاء مـنزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجومُ[4]

نحن نبحث عن التمازج في شعر ذي الرمة بينه وبين الأحياء والكائنات



والجماد؛ فهل قدّم ذو الرمة من ذلك شيئاً؟. إن قراءة شعره قراءةً إيقاعيةً تنغيميةً تشدّنا، وتؤثّر فينا، وهذا ما يحدُث عند قراءة الشعر العربي الغنائي عادةً. وكذلك، إذا نظرنا إلى الصورة المشاهدة فسوف نقبلها، ونقف معها في ألوانها وخطوطها، غير أن الشعر أبعد تأثيراً من الرسم، ونجاح عدد قليل من الرسومات العالمية جاء من قوة إيحائها، وهذا ما لم يحدثه شعر ذي الرمة حتى في خطابه العاطفي (الحب). ولننظر في قوله، بعد ذكره الأطلال وما بها من وحش، في قصيدته البائية السابقة:

وعـيـنٍ أرشَّتها بأكـناف مـشـرِف   من الزُّرق في سفك ديار الحبائبِ

وعند هذا الحد ينتهي ليبدأ قوله:

ألا طـرقت مـيٌّ هَـيوماً بذكـرها   وأيدي الثريا جُنَّـح في المغاربِ

إنه في عجلة من أمره، جعل ذلك مدخلاً لهذا، وهذا مدخلاً لقوله:

أخا شُــقّــة زَولاً كأن قـميصـه   على نَصل هنـديٍّ جُراز المضاربِ

أناخ فأغـفى وقـعـةً عـند ضامر   قَطيـة رحّـال كثيـر المذاهـبِ

بريح الخـزامى هـيّجتها وخـبطةٌ   مـن الطلّ أنفاس الرياح اللواغبِ

شتّان بين الحالتين المتزامنتين: (وعين أرشّتها ...)، فـ(أناخ ... بريح الخزامى هيّجتها وخبطة ... من الطلّ...)، أليس هذا هو ما يهفو إليه قلب ذو الرمة ويسعى؟!. ومع تداخل عناصر أخرى بعد ذلك فإنه لا يلبث أن يصل إلى هدفه الحقيقي:

ومـاءٍ صَـرًى عـافي الثنايا كأنه   من الأرض أبوال المَخاض الضواربِ

أي: وقوفه على ماء آجن، في طريق مُمحل قاحل، بصحراء مقفرة:

ودويّةٍ جـرداء جَـدّاء خَـيَّمت   بـها هبوات الصيف من كل جانبِ

يشكّل الانتقال أحد الأسباب اللافتة في استقبال شـعر ذي الرمة؛ فهو لا ينتقل انتقالاً سلساً في نفَس واحد، وإنما يتوقف ويتمهّل

وفي هذه الصحراء بعض الدّوابّ؛ كدويبة الحرباء:

كــأن يدَيْ حِـربائها مـتشمِّساً ... يـدا مجرِم يسـتغفر اللـه تائبِ

وتكون ناقته هي التي في وسط الصورة في صحبة أخريات:

تهـاوى بي الأهـوال وجـناء حُرة ... مقابلـة بيـن الجِـلاس الصلاهبِ

ويتعاقب الرسم؛ ليربط بين هذه المشاهد ومشاهد أخرى لا تنفصل عنها، وهي التشبيه، مستخدماً كلّ خبرته الفنية والمعرفية؛ فهنا تشبيه ناقته بالفحل الهائج:

كـأني إذا انجـابت عـن الركـب ليـلة ... على مُقرَم شاقي السديسين ضاربِ

ومن ذلك التشبيه التشبيه الذي خَلُص فيه إلى ذكر سير النعام:

مـن الـراجعـات الـوَخد رَجـعاً كأنه ... مِراراً تَرامي صُنتُع الرأس خاضبِ

وعلى هذه الشاكلة تسير جميع قصائد ذي الرمة؛ فقصيدته التي يقول فيها:

وكـائن طــوت أنقــاضنا من عَمارة ... لنلقاك لـم نهبط عليها نزورها

وهو البيت الوحيد فيها الذي يُشير إلى الممدوح، والذي يبدو أنه بلال بن أبي بردة في البصرة، وهو ما يكشف عن قيمة المدح لديه؛ فالمدح وسواه ما هما إلا بعض مكوّنات القصيدة المفروضة عليه فرضاً، وإلا فهو يريد أن يتابع لقطاته التصويرية في الصحراء؛ فممّا قال حين وقف على الأطلال في رائيّته السابقة:

عشــية لولا لحيتي لـتـهـتـكـت ... من الوجد عن أسرار نفسي سُتورها

إنه هنا يحسب لسلطة المجتمع حساباً؛ فيكفّ عن البكاء في الأطلال. إذاً، أين أقواله عن عينٍ ينهمر منها الماء كالقربة، أو (عين أرشَّتها ...)؟! أيكفي أن يقول بعده:

فما ثَنيٌ نفـــسي عن هواها فإنه ... طويـل على آثـار مـيّ زفيرها؟

إلا أن ذلك كله سيتلاشى عندما تتقدم الصورة المركزية: وصف الصحراء حيواناً وطبيعةً:

وجـاوزن مــن أرض فــلاة تعـصَّبت ... بأجسـاد أموات البـوارح قورها

ثم قوله في ذكر البقر الوحشي:

إذا مــا رآها راكــب الصيف لـم يزل ... يرى نعجةً فـي مرتع أو يثيرها

وقوله يذكر الطير الصحراوي؛ كالحبارى، والبُوم:

بــأرض تــرى فـيـها الحبارى كأنها ... قلـوص أضلّتهـا بعِكمَين عيرها

ومـن جوف أصداء يصيح بها الصّدى ... لِمَبريَّـة الأخفاف صُفـر غُرورها

إلى غير ذلك مما يتعلّق بهذه المناظر. لكنه طالما فصّل في مظهرين بارزين، هما: الحُمُر الوحشية، والبقر الوحشي:

على عـانة حُقب سمـاحيج عــارضـت ... رياح الصبا حتى طوتها حَرورها

يشكّل الانتقال أحد الأسباب اللافتة في استقبال شعر ذي الرمة؛ فهو لا ينتقل انتقالا سلساً، في نفَس واحد، وإنما يتوقف، ويتمهّل. يتضح هذا من مقارنته بشعر الأخطل الذي يبدو متمكّناً من قوله في كلّ شعره، يقول الأخطل في وصف الصحراء:

وبيـداءَ مِمـحال كــأن نـعـامــهـا ... بأرجائها القصوى أباعر هُمَّل[٥]

ويقول:

خَبسوا المطيَّ على قديـم عـهـده ... طامٍ يَعين ومظلم مسـدوم[٦]

والملحوظة الثانية هي هذا الهدوء والأناة في شعر عديّ بن الرقاع مثلا، مع أن المنحيين في الشكل العام للقصيدة واحد: حديث عن (الحب)، وعن الناقة، ثم تشبيهها بالحمار الوحشي وأتنه، كما في بائيّته:

كان ذو الرمة إذا ترك نفسه على سجيّتها يجيء بشعر يقف فيه في مصافّ شعراء عصره، كما في لاميّته في مدح بلال بن أبي بردة

طابع واحد

ذو الرمة شاعر كلمة منتقاة، وتخطيط مرسوم في الذهن والذاكرة معاً؛ فشعره على هذا ذو طابع واحد. إنه لم يستطع تحرير الكلمة من قاموسها القديم كما فعل جرير أو الفرزدق مثلاً، أو حتى القطامي، ولم يستطع أن ينفلت من الموروث الثقافي الجاهلي؛ فكان صورةً نموذجيةً للقصيدة الجاهلية النموذجية. إننا نقترب كثيراً من الطرماح بن حكيم، لولا أن هذا حضريّ، مقيم، متعلّم، وهذا بدوي، أمّي، مترحّل. حتى إن ذا الرمة، وهو الذي يلهج بميّ ويشدو بها، لم يتأثّر بأجواء عصره وباديته؛ فيأتي شعره على غرار شعر جميل، أو ما يُنسب إلى المجنون، وأبعد منهما كثيّر عزة مثلاً. ولو عقدنا مقارنةً بينه وبين كثيّر عزة لوجدنا كثيّراً منفعلاً في شعره، متفاعلاً معه، بينما يقدّم ذو الرمة نفسه وصّافاً، رسّاماً لمشاهد حيّة، إلا أنها تصوير من بُعد. وواضح أن ذا الرمة يتّخذ مقدمات النسيب (وصف الأطلال، والوقوف عليها، ووصف المرأة، ووصف الظعائن، وكذلك المدح، بل حتى رحلته هو) لتحقيق هدف واحد فقط، وهو موضوعه المتخصّص فيه، والأثير لديه: وصف الطبيعة الصحراوية والحيوانية؛ لذلك راح يكرّر نفسه بطريقة أو بأخرى.

نحن أمام شاعر مثقّف ثقافةً شفويةً واسعةً، خطا بالفنّ خطوةً متقدمةً عن المعهود السابق؛ كاتّكائه على التشبيه كثيراً



لـمن الـدار كعـنوان الـكـتاب   هاجت الشوق وعَيَّت بالجواب[7]

وهي قطعة فنية خالصة، وليست مديحاً أو هجاءً. ومثلها بائيّته الأخرى:

لـمـن الـدار مثل خـطّ الـكتاب   بالمراقيـد أو (بذكـر) العُقـاب[8]

أثر للحفظ والرواية

ففي شعر ابن الرقاع ثقة كاملة بالنفس، وشعور برسوخ قدم الشاعر في الشعر. حتى إذا ما وصلنا إلى الراعي النميري، الذي يحتذيه ذو الرمة؛ فهو راويته وقدوته[9] – وهو أمر لا يبدو صحيحاً؛ لعدم وجود مسوّغات له– وجدنا البون شاسعاً جداً بين الشاعرين، ولعلنا نلتفت قبل كلّ شيء إلى أن لغة الشاعرين بعيدة إحداهما من الأخرى؛ فلغة الراعي لغة جيله وعصره، وجوانب كثيرة من غريب ذي الرمة لغة مكتسبة بفعل الرواية والتلقي. أما الراعي، فتجاوز مرحلة التمثّل والاستظهار إلى مرحلة الإبداع والمشاركة **الوجدانية، بينما ينعكس على لغة ذي الرمة أثر الحفظ والرواية؛ إذ ليس من المعقول أبداً أن يكون ذو الرمة بدوياً مولعاً بالغريب، فيختلف عن معاصريه وأمثاله وأبناء قومه وبيئته؛ فليس هو كجرير، ولا هو كالفرزدق، ولا هو** كابن لجأ، ولا هو كالراعي النميري نفسه.

كان ذو الرمة إذا ترك نفسه على سجيّتها يجيء بشعر يقف **فيه في مصافّ شعراء عصره، كما في لاميّته في مدح بلال بن أبي بردة، التي يبدو جلياً فيها أثر الراعي وجرير وابن لجأ، ولاسيما الفرزدق في لاميته المشابهة[10]:**

أول شاعر بدوي شفوي

سواء قبلنا بالاتجاه العام في إعادة قراءة ذي الرمة، أو وافقنا على وجهة النظر هنا على تعامل ذي الرمة تعاملاً سطحياً مع فنّه، كما هو رأي القدماء أيضاً، فربما نسف أيَّ حديث عن جِدِّيَّة ذي الرمة في (الحب والصحراء) اهتمامُهُ بالأحاجي والألغاز، حتى وصل به الأمر إلى نظم قصائد -وليس رجزاً- على شاكلة القصائد المعروفة لديه: تبدأ بـ(الحب)، فالأطلال، فـ(الغزل)، ثم الإلغاز بوصف الصحراء؛ فيقدّم لنا نموذجاً تحرّر من الرجز، إلا أنه لا يختلف عن معاصِرَيْه: رؤبة، والعجّاج، في الصناعة اللغوية إلا بقدر ذلك التحرّر(*). ولعلنا بهذا نقول: إن ذا الرمة أول شاعر بدويّ شفويّ حوّل قول القصيد إلى نظم، ساعفه في ذلك -بالتأكيد- موهبة شعرية كبح جماحها، ففتح الباب للمُحدَثين.

(*) الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص٣١١، ٣١٣.

ذو الرمة خضع للتقليد، ولم ينجح في الخيال، بيد أنه أصاب في التخييل بالإكثار من استعمال (كأن)، والتنويع في لغة صوره الثابتة

أراح فريق جـيرتك الجِمالا   كأنهمُ يريدون احتمالا(١١)

أما واقعه، فهو أنه -وهو البدوي الأميّ- شاعر مقلّد، مع أنه يعيش التجربة، ويحيا العمل الفني. كان غزير الرواية، متأثّراً جدّ التأثّر بالطابع الفني للقصيدة الجاهلية؛ فلنقرأ قصيدته اللامية:

قِف العَنس في أطلال مية فاسألِ   رسوماً كأخلاق الرداء المسلسلِ
أظنّ الذي يجدي عليك سؤالها   دموعاً كتبذير الجُمان المفصَّلِ(١٢)

هكذا وقف يبكي الدِّمن، وكان عليه أن يمضي في القول، كما قال ابن لجأ:

لـمن مـنزل بالمستراح كأنما   تجلّلَ بعد الحول والحول مُذهبا
به ذرفت عيناك لما عرفتَهُ   وكيف طِبابَي عيِّن قد تسرَّبا(١٣)

لكنّ ذا الرمة في خضوعه للموروث الشعري يقول:

وما يوم حُزوى إن بكيت صبابة   لعرفان ربع أو لعرفان منزلِ
بأول ما هاجت لك الشوق دمنة   بأجرَع مِرباعٍ مَرَبٍّ محلَّلِ

عفت غير آريٍّ وأعضاد مسجد   وسُفع مناخات رواحلِ مِرجَلِ
تَجُرّ بها الدَّفعاء هَيف كأنما   تَسُحّ التراب من خُصاصات مُنخُلِ

بينما ينطلق ابن لجأ مُحكِماً الصياغة كإحكام ذي الرمة إلا أنه يأتي بها متدرِّجةً لا نشاز فيها، فيقول:

فلم أر منها غير سُفع مواثل   وغير رماد كالحمامة أكهبا
تهادى به هُوج الرياح تهادياً   ويهدين جَولان التراب المهذَّبا

وهذه مقارنة يسيرة تكشف عن أن ذا الرمة، وهو ككلّ الشعراء الشفويين التقليديين لهم نهجهم المعروف والمتوارث، تدخّل في الصنعة الشعرية؛ فتشعر أنك تقرأ شاعراً يُعمِل ذهنه، ويبلو خاطره؛ ليوفّق بين الأجزاء. هذه ناحية، وناحية أخرى هي أن ذا الرمة في كدّه قريحتَهُ لم يكتفِ بالإشارة إلى وجود الحيوان الوحشي في الديار، بل نقل صورةً ثابتةً عنها، فجاء بصورة الثور الوحشي مع البقرة، وفصّل فيها، وبعد ذلك بدأ في وصف ميّة وصواحباتها، ثم إنه يقطع ذلك ليبدأ في وصف الرحلة: الناقة والصحراء، ويبدو تأثر ذي الرمة بلامية امرئ القيس (المطوّلة) واضحاً. كان ذو الرمة يستعرض ثقافته الشعرية، ويعرض مقدرته اللغوية، بل معلوماته البيئية؛ كقوله عن أبوال الإبل:

كأن على أنسائهن فريقةً   إذا ارتعن من ترجيع آدم سَحبَل

ولم يستطع ذو الرمة أن يرتدّ إلى العصور الشفوية الأولى، ولم يتمكن من الانخراط في تيار عصره، فعاش بين بين، مشدوداً إلى الواقع، مستثمراً كلّ طاقاته الفكرية في تطوير الفن القديم في حدود الذاكرة وتثبيت الصورة، فهاهو ذا يقول:

كأنّا تغنّى بيننا كلّ ليلة   جداجدُ صيف من صرير المآخر
على رعلة صُهب الذِّفارى كأنها   قطا باصَ أسرابَ القطا المتواتر
شَججن السُّرى حتى إذا قال صحبتي   وحلّق أرداف النجوم الغوائر
كأن عمود الصبح جيدٌ ولَبَّة   وراء الدجا من حُرّة اللون حاسر(١٤)

الحضور القوي

خضع ذو الرمة للتقليد، ولم ينجح في الخيال، بيد أنه أصاب في التخييل بالإكثار من استعمال (كأن)، والتنويع في لغة صوره الثابتة؛ فكان مقبولاً عند شعراء زمانه، وكان الإطار مانعاً له من أن يكون شاعر الفنّ والكلمة، فيكون بذلك -لو تحقّق- ظاهرةً فريدةً عزّ نظيرها. ولم يكن ذو الرمة أيضاً ظاهرةً فريدةً في مكوّنات قصيدته، إلا أنه تخصّص فيه. وكان ظاهرةً جديدةً في تميّزه من أقرانه في استغلال ثقافته، وفي التطبيق العملي للتشبيه، وكانت لوحاته ومشاهده ذات خطوط وألوان متماثلة، بل متداخلة في كثير من ملامحها مع الأعمال الجاهلية، وما كان ذو الرمة منفصلا عن عصره؛ لينسجم في الجاهلية، بل كان متّفقاً معه، فابتعد منها زمنياً، ولم يؤدِّ تبدّيه إلى جفائه، وإن أبعده من الاندماج في المجتمع ومشكلاته السياسية خاصةً، إلا ما لامسه لِماماً. كان ذو الرمة بداية

مرحلة الصناعة الشعرية الشفوية، ومنها وعيه التامّ باستخدام التشبيه، ولو أنه انعتق منها لارتقى به فنّه إلى مستوى الامتياز؛ أي: (الفحولة) في المعيار القديم. ولم يكن ذو الرمة، البدويّ الأمّي، الظاهرة التي خُتمت بها البداوة، وإن كان الشخصية الحاضرة بقوة في المشهد الثقافي في القرن الثاني الهجري.
لكن هذا المعيار الشفوي (الفحولة) لم يحظَ به أبو حية النميري، وهو من مخضرمي الدولتين، وآخر صوت في الشفوية واستعمال اللغة العربية الفصحى على أنها اللغة الأم بين الشعراء الأعراب، لكنه يتّفق مع ذي الرمة في الخريطة الشعرية: الأطلال، ورحلة الظعائن، والرحلة، ووصف الطبيعة، والفرق بينهما أن أبا حية النميري استلهم التراث الشعري، وكان عفوياً في تعبيره، ولم يضع في تصوره أن تكون له طريقة ذي الرمة في الصنعة الشعرية، إلا أن الزمن الذي جاء فيه كان يودّع الشفوية الشعرية البدوية ذات الطريقة التقليدية؛ ليفتح المجال للتعليم والتحضّر، وهو المجال الذي بدأ متزامناً على يد شعراء القرى: مكة، والمدينة، والشام، والبصرتين، ولينتهي أخيراً إلى صناعة شعرية، فتصنُّع. وكي نتبيّن ملامح التطور الذي أصاب القصيدة العربية، والذي يشكّل ذو الرمة حلقةً بارزةً فيه، يمكن أن نوجد مقارنة بينه وبين شاعر بدوي إسلامي، هو الشماخ، وشاعر بدوي أموي يعكس النموذج الشفهي على غرار أبي حية النميري، ألا وهو النابغة الشيباني.

رؤى نقدية

مع الأسف الشديد، فإن المعيار النقدي الذي ينطبق على ذي الرمة كان يلزم أن ينطبق على شعراء عصره؛ فقليله يغني عن كثيره، وتبقى قيمة

بين التكرار والتنويع

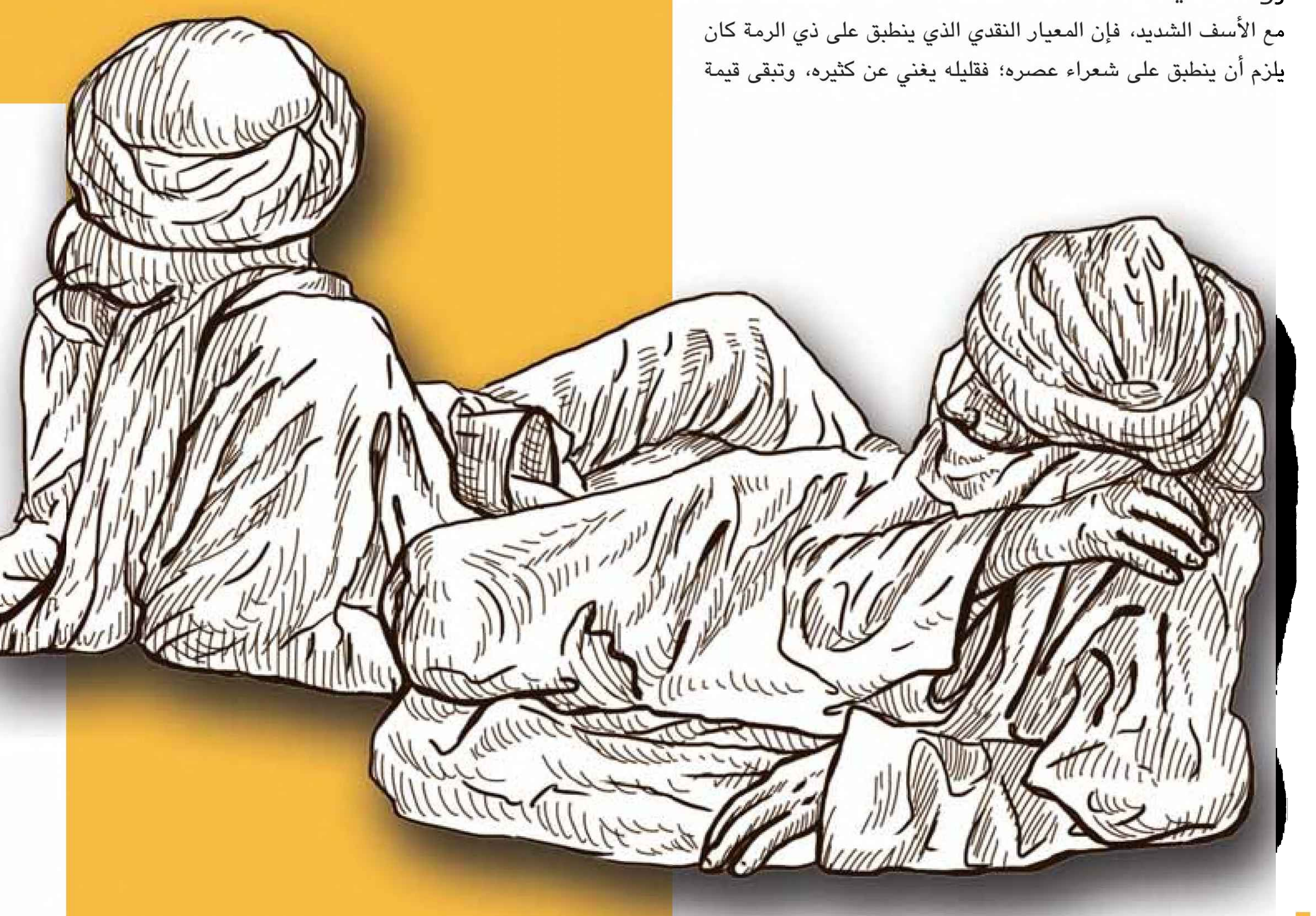
لـم يكـن مفهـوم الإبـداع وارداً فـي التـراث العربي القديـم، وهو المفهـوم الذي يقتضي عـدم إصدار نسـخ متشـابهة أو معدَّلة كمـا في حالـة ذي الرمة مثـلاً؛ لذلـك كان النقاد يطالبـون بالتنويع فـي الأداء، كمـا في حالة جريـر والفـرزدق؛ أي: أنـه أدرك أن نمـاذج محدودة كافية، بـدل التكرار والتـداول؛ فهاهـو ذا يذكـر الثـور الوحشـي وفقما ذكره سـواه في تشبيه ناقتهم:

كـذي رمـل فـرد رمـته عـشـيةٌ   لهـا سَبَل مسـتقبِل وصبير[1]

وهاهو ذا يشبه ناقته بالحمار الوحشي وأتنه وفق الطريقة المألوفة:

كأني ورحلي فـوق جأب خلا لـه   وإلفيـه جنبا صـارة فجُلاجله[2]

(١) شعر أبي حية النميري، تحقيق: يحيى الجبوري، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٥م، ص٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٩.





لم يكن ذو الرمة، البدويّ الأمّي، الظاهرة التي خُتمت بها البداوة، وإن كان الشخصية الحاضرة بقوة في المشهد الثقافي في القرن الثاني الهجري

لم يستطع ذو الرمة أن يرتدّ إلى العصور الشفوية الأولى، ولم يتمكن من الانخراط في تيار عصره، فعاش مشدوداً إلى الواقع، مستثمراً كلّ طاقاته الفكرية في تطوير الفن القديم في حدود الذاكرة وتثبيت الصورة

شعره الجُلّى فيما أمدّ به هذا الشعر أهل اللغة من معارف؛ فهذه اللغة المشحونة بالغريب ليست لغته كلها؛ فمقدار لا بأس به منها تسرّب إليه من حفظه القديم، ومن ثَمَّ ألا يصدق، في ضوء هذه الرؤية، قول الأصمعي: «ذو الرمة حجة؛ لأنه بدويّ، ولكن ليس يُشبه شعرُه شعرَ العرب»؟![١٥]، وهو ما فسّره بقوله: «من أراد الغريب المحدَث ففي أشعار ذي الرمة»[١٦]. ومع أن النقد القديم كان نقداً انطباعياً، قد يصيب ويخطئ، إلا أنه كاد يُجمع على مقولة مؤدّاها: «شعر ذي الرمة ... نقط عروس، وأبعار ظباء ... حُلوٌ أوّل ما تسمعه، فإذا كثر إنشاده ضعف، ولم يكن له حُسن؛ لأن أبعار الظباء أول ما تُشم يوجد لها رائحة ... ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت»[١٧]، حتى ليقول مصطفى الشكعة: «إن هذه الصفات لشعر ذي الرمة صادقة كلّ الصدق»[١٨]، وهو ما لحظه عبدالله الطيب في قوله: «ربما بدا ... أن ذا الرمة لم يصنع شيئاً غير السرقة وتكرار معانٍ جاهلية تعاطاها لبيد وغيره من سائر القدماء ... أو بعبارة أدقّ: ... هذا الفنّ الرجعي، الطريف المخبر، الذي جاء به ذو الرمة»[١٩]. إذاً، علامَ يستثني الأصمعي من ذلك قوله: «والباب دون أبي غسان مسدود»؟![٢٠]، وكيف يرى بلال بن جرير أن (مدينة الشعر) قصيدته الميميّة السابقة، التي منها: «هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم»؟![٢١]، وما بال عبدالله الطيب يقول: «هذه القصيدة القافية من أجود ما نظمه ذو الرمة، وقد نبّه على ذلك محمد بن يزيد المبرد في كامله، وفيها من براعة الوصف ما يعزّ نظيره»؟![٢٢]، أو قوله عنها أيضاً، متجاوزاً في ذلك رأي القدماء في البائية والميمية: «القصيدة القافية خير ما قاله ذو الرمة، وهي أجود من بائيته وميميته»؟![٢٣]، حتى إنه يقول: «لا أحسب أن ذا الرمة أراد إلى مجرّد النعت لمظاهر الصحراء، كما هو شائع بين كثير من أساتذة الأدب المعاصرين، ولكني أحسب أنه أراد إلى نوع طريف من القول، أعدّه له مزاجه وذكاؤه ودقة إحساسه وعلمه، نوع من القول يستوحي الإلهام فيه من الحب والشعر معاً، ويمزج بين الانفعالات النفسية الخالصة والانفعالات الجمالية الفكرية المهذبة ... كان ذو الرمة ... أصيلا في فنه»، حتى يصل إلى القول: «إن ذا الرمة لم يكن الثائر الوحيد على ما اتلأبّ عليه الشعر من الأساليب»[٢٤]. وهذا قول بعيد من المصداقية والتحليل الدقيق للشعر، ومصداقيته نجدها في جزئها الأول: «أن ذا الرمة لم يصنع شيئاً غير السرقة وتكرار معانٍ جاهلية»، وقوله الآخر: «هذا الفنّ الرجعي»، وقوله: «أن ذا الرمة أراد إلى مجرّد النعت لمظاهر



ذو الرمة يتّخذ مقدمات النسيب لتحقيق هدف واحد فقط، وهو موضوعه المتخصّص فيه، والأثير لديه: وصف الطبيعة الصحراوية والحيوانية

الصحراء». أما عبدالله الطيب، فقد بيّنّا تناقضه، وهو في كتابه شارح للشعر على طريقة القدماء، حتى إن حكمه على القافية لم يأتِ إلا بتأثير من المبرد، كما ذكر:

أداراً بحُزوى هِجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق

أشعر الناس

ولسائل أن يسأل: ما الذي يميّز القافيّة عن البائيّة والميميّة حتى تفضُلَهما؟! فكلها ذات بناء متشابه. وعبدالله الطيب كنز علمي متنقّل، لكنه ليس ناقداً، وليس له إسهام متقدّم، إنه انطباعي كما يعكسه نقده هنا، وإشارته إلى كتابه الآخر (المرشد إلى أشعار العرب). ألسنا مع جرير حين قال: «لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: (ما بال عينك منها الماء ينسكب)، كان أشعر الناس»؟![٢٥]، أو قول الأصمعي: «لو أدركتُ ذا الرمة لأشرتُ عليه أن يَدَعَ كثيراً من شعره؛ فكان ذلك خيراً له»؟![٢٦]. لقد بدأ ذو الرمة راجزاً؛ فكان للرجز تأثيره البالغ في صناعته الشعرية، ومن هنا ندرك التشابه في طريقة الأداء، وهذا واضح ممّا بقي من أراجيزه[٢٧]. يقول ذو الرمة نفسه في مقارنة بينه وبين العجاج وابنه رؤبة:

«إني رأيتني لا أقع من هذين الرجلين موقعاً، فعوَّلت على الشعر»[٢٨]. وما عرفناه من صناعته الشعرية تلك هو ما فطن له الأصمعي عندما جعله يستكرِه الشعر؛ أي: يصنعه. ومع ذلك، فهذه الصناعة صناعة شفوية، في لغة هي لغته الأمّ، مع رواسب قديمة، ولم تكن صناعة حضريّ متعلّم أو لغته المكتسبة كالكميت، كما حدّث الأصمعي[٢٩].

إن ضيق أفق تجربة ذي الرمة وواقعيته غير محصورين في الأُطر، وفي الذخيرة اللغوية العتيقة (الغريب)، بل تجاوزهما إلى عمق التجربة نفسها، التي أخضعت الشاعر لقيودها. وقضية (الحب) التي شغلت النقد الحديث لا تخرج عن الأصداء التي عاشها كلّ الشعراء القدامى، بدءاً من قول امرئ القيس: (ذكرى حبيب)، إلى قول الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر ... وإن كان حيّانا عِدًى آخر الدهر[٣٠]

كما قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر[٣١]

ونجد هذه الحالة النفسية التي لا تخصّ ذا الرمة وحده في مقدماته في قول الأخطل:



ضيق أفق تجربة ذي الرمة وواقعيته غير محصورين في الأطر، وفي الذخيرة اللغوية العتيقة (الغريب)، بل تجاوزهما إلى عمق التجربة نفسها، التي أخضعت الشاعر لقيودها

خَفّ القطين فراحوا منك أو بكروا	وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَر[٣٢]

شاعر الكلمة المنتقاة

لم يكن ذو الرمة شاعر الكلمة الحرة المستوحاة، بل كان شاعر الكلمة المقيّدة المنتقاة؛ أي: أنه، وهو الشاعر الشفوي الأميّ، كان يراجع قصائده، وهذا منحًى آخر من مناحي الصنعة، وليس طريقاً من طرائق التعبير الشفوي، وهو ما لحظ القدماء أثره فيه؛ فقالوا: «إنه لم يَزَلْ يزيد على كلمته التي على الباء حتى مات»[٣٣]. وهذا القول، وإن هدم التجربة الشعرية برمّتها، فإنه غير مقبول، إلا أنه يفسّر شعور أولئك القدماء بما كان ذو الرمة يبذله من مجهود في صياغة القصيدة أول مرة، ثم تكرار المعاودة والنظر، أو حسب تعبير أحد رواته شاكياً من كثرة تعديلاته: «أفسدت عليَّ شعرَك»[٣٤]. يقول ذو الرمة نفسه على طريقة القدماء في التنقيح والانتخاب والمراجعة:

سيأتيكمُ مني ثناء ومِدحة	محبَّرة صَعب غَريضٌ قَريضها
سيبقى لكم ألا تزال قصيدة	إذا اسحنفرت أخرى قَضيبٌ أَروضها
رياضة مخلوج وكلُّ قصيدة	وإن صعبت سهلٌ عليَّ عَروضها[٣٥]

ومع كلّ ذلك، فلم يسلم ذو الرمة من المدّ الحضاري الذي أصاب غيره من الشعراء البدو: «أكل البقول والمملوح في حوانيت البقالين حتى بَشِم»[٣٦].
لقد حاول شوقي ضيف تعميم النظرة في وصف ذي الرمة الصحراءَ على أنه «وصف الشاعر الذي يندمج فيها ويفنى ... الشعراء من قبله كانوا يصفون الصحراء من الخارج ... أما ذو الرمة فيصفها من الداخل»[٣٧].
وبالتأكيد، فقوله: «الشعراء من قبله كانوا يصفون الصحراء من الخارج»، لا يوافقه عليه أحد، بل لا ينطبق حتى على البدو من معاصري ذي الرمة. ولن ندخل في جدل حول اندماج ذي الرمة بالصحراء، ألم يقُلْ شوقي ضيف، بعد أن بيّن استغراقه في حبّ ميّة: «نزعم أن الصحراء في ديوان ذي الرمة

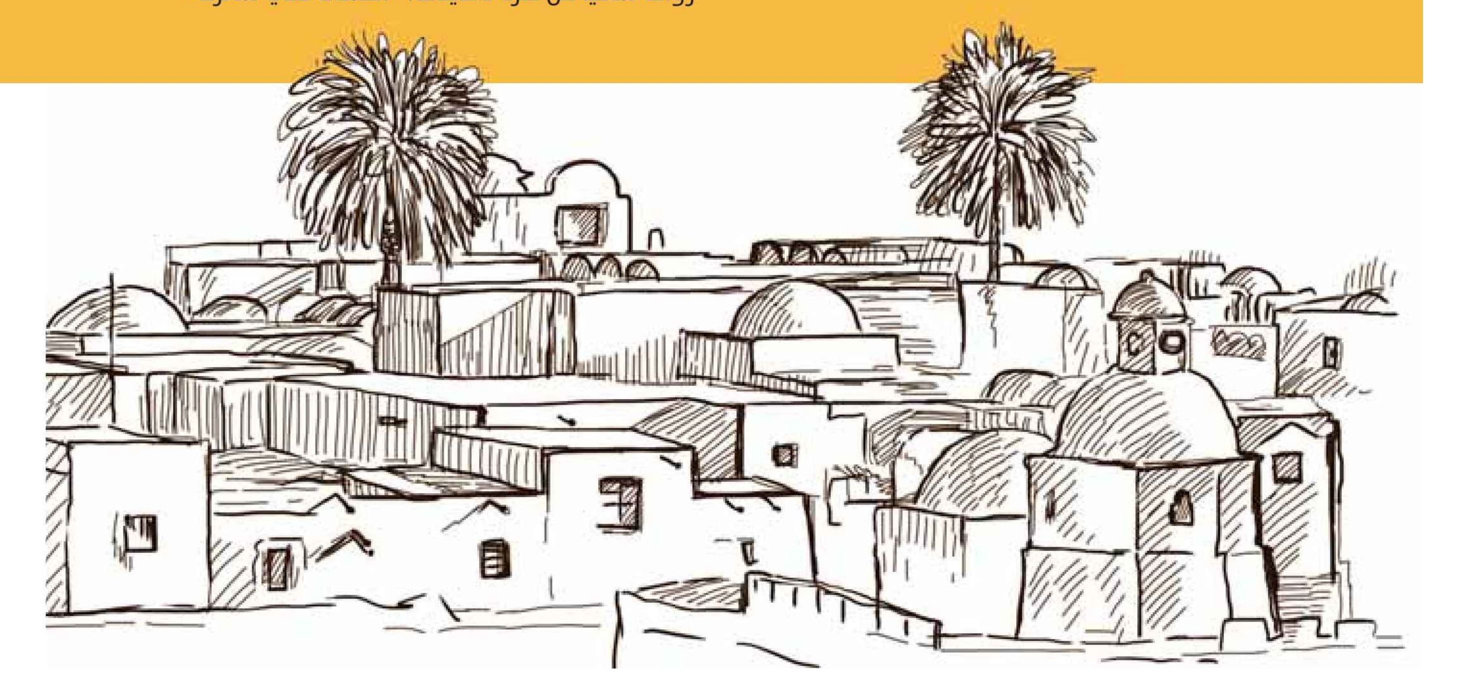


غياب العمق

نحن أمام شاعر مثقّف ثقافةً شفويةً واسعةً، خطا بالفنّ خطوةً متقدمةً عن المعهود السابق؛ كاتّكائه على التشبيه كثيراً، حتى عُرف عنه ذلك[١]. وما هذا التطور الذي أحدثه ذو الرمة إلا انحراف عن جادّة التقليد، لكن هذا الانحراف لم يصحبه عمق في المعاناة، بل كان وصفاً ظاهرياً، حتى الحديث عن (الحب) لا يختلف عمّا عند سواه. كان ذو الرمة يصنع الشعر بذائقة الشاعر الشفوي، يدلّ على هذا قوله: «إذا قلت: كأن، فلم أَجِدْ وأُحسن، فقطع الله لساني»[٢].

(١) المرزباني، الموشّح، ص١٥٥، وانظر: ص١٥٧.
(٢) ديوان ذي الرمة، ج١، ص٩.

كان ذو الرمة يبذل مجهوداً في صياغة القصيدة أول مرة، ثم يكرّر المعاودة والنظر، أو حسب تعبير أحد رواته شاكياً من كثرة تعديلاته: «أفسدت عليَّ شعرَك»



أهمّ من صاحبته»؟!. إذاً، (حب مية) ليس استغراقاً، وإنما تقليد، وكذلك الصحراء. وهذا التسرّع في طرح الأحكام يصادف هوًى عند يوسف خليف في دراسته التي توافق شوقي ضيف، حين يقول: «تجور الصحراء على الحبّ بعض الجور»[٣٨]، حتى إنه يوزّع (حبّ) ذي الرمة بين نسوة مختلفات؛ ليصل إلى القول عنهن: «إن ذا الرمة يقف من صاحبته هنا كأنه مثّال ... وفي كثير من قصائده نراه مشغولا بهذه الصناعة؛ صناعة التماثيل»[٣٩].

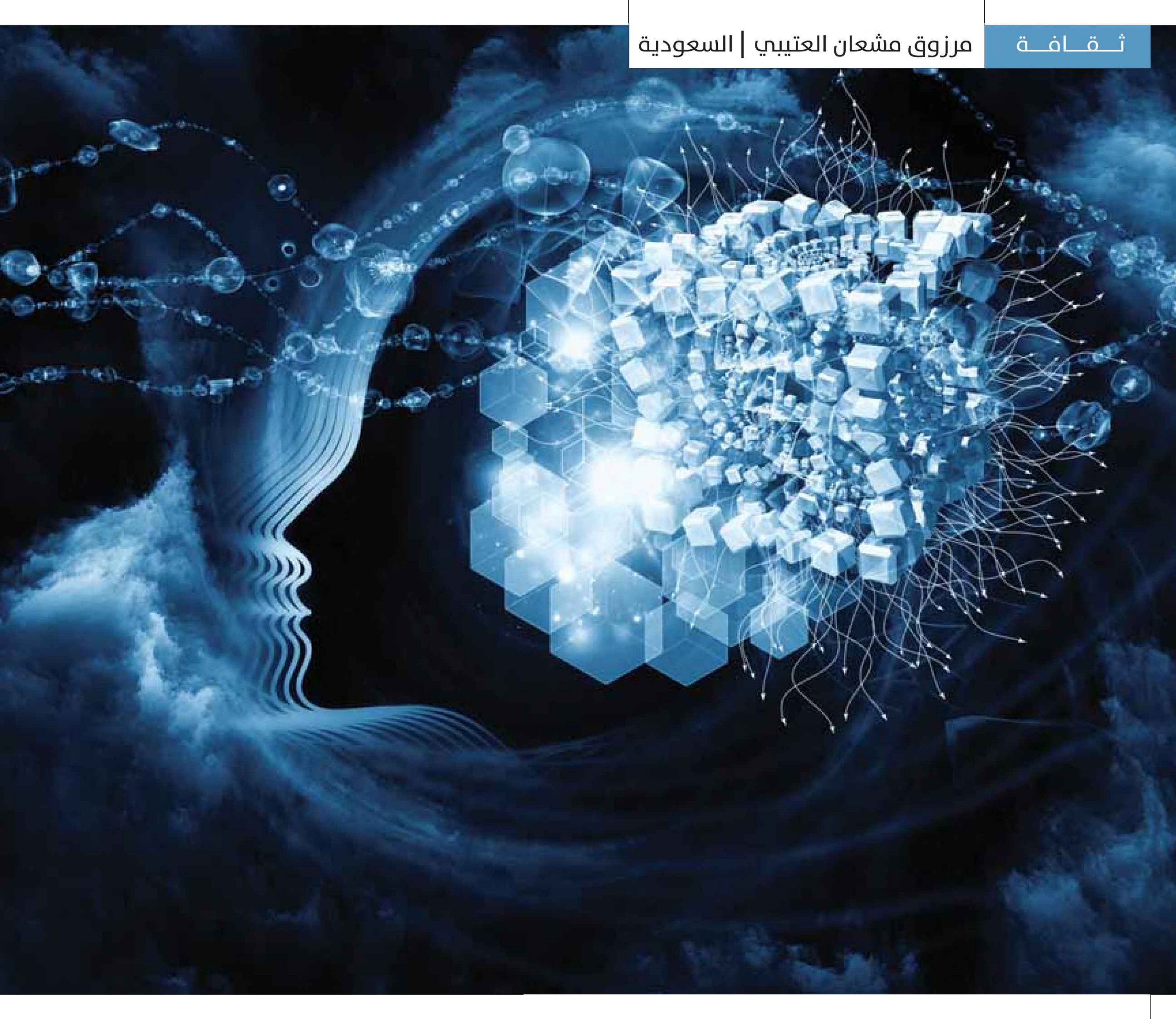
مصوّر بارع

ومع ما يبديه الدارسون المعاصرون من تعاطف شديد مع (فنّ) ذي الرمة إلا أنهم لا يكادون يختلفون في أنه «مصوّر بارع يرى الأشياء على حقيقتها، فيصوّرها كما هي في الطبيعة»[٤٠]، أو بما يتوافق مع طرحنا هنا: «بلغت ظاهرة التقليد هذه ذروتها عند ذي الرمة؛ شاعر البادية الذي مال إلى الاحتراف الفني؛ إذ إنه لم يكتفِ بمجرد التقليد، بل حاول صقل الصورة دون أن يغيّر من عناصرها ... إن الشاعر يميل إلى الصقل أكثر من ميله إلى التطوير ... ذو الرمة يقف بين إعمال المنطق العقلي واتّباع التقليد الفني»[٤١]، أو على حدّ قول جرير: «أخذ من طريف الشعر وحُسنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره»، أو بمعنى آخر، قول أعرابي له: «أشهد إنك لفقيه تحسن ما تتلوه»[٤٢]، وكما قال طليمات والأشقر: «إن تغليب الشكل على المضمون في الوصف من الفنّ أضعف ما فيه من الروح الشاعرة؛ فغدا زخرفاً بلا فكر، وزينةً بلا حسّ، ولا يعبّر إلا عن تفاهة الترف، ولا يصوّر إلا القشور من المنظور»[٤٣]؛ فأين مكانة العاطفة في كلٍّ؟ أوليس هذا هو واقع شعر ذي الرمة؟!.

الهوامش والمراجع

(١) ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح، بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٦٩.
(٥) ديوان الأخطل، تحقيق: راجي الأسمر، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٥٦.
(٦) المصدر نفسه، ص٤٣٤.
(٧) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤١.
(٨) المصدر نفسه، ص٤٩.
(٩) المرزباني (أبو عبيدالله، محمد بن عمران)، الموشّح، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، القاهرة: مطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص١٦٦. وانظر على سبيل المثال: شعر الراعي النميري، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٠٠-١٠٩. وانظر: ديوان ذي الرمة، ج٢، ص٦٦٧.
(١٠) المصدر نفسه، ص١٦٥.
(١١) ديوان ذي الرمة، ج٣، ص١٥٠٦.
(١٢) المصدر نفسه، ص١٤٥١.
(١٣) شعر عمر بن لجأ التيمي، تحقيق: يحيى الجبوري، الكويت: دار القلم، ط٢، ١٩٨١م، ص٣٥.
(١٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٨١.
(١٥) الأصمعي (عبدالملك بن قريب)، فحولة الشعراء، تحقيق: ش. تورّي، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ/١٩٧١م، ص٢٠.
(١٦) العسكري (أبو أحمد، الحسن بن عبدالله)، المصون في الأدب، تحقيق: عبدالسلام هارون، الكويت: دائرة المطبوعات، ١٩٦٠م، ص١٧٣.
(١٧) المرزباني، الموشّح، ص١٥٥، ١٥٦.
(١٨) مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، بيروت: عالم الكتب، ١٩٧٩م، ص٢٢٣.
(١٩) عبدالله الطيب، شرح أربع قصائد لذي الرمة، القاهرة: مطبعة مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ص (ك ب، ك ج).
(٢٠) الأصمعي، فحولة الشعراء، ص٢٠.
(٢١) الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٩م، ج١٧، ص٣٣٣.
(٢٢) الطيب، أربع قصائد لذي الرمة، ص٢٣٠.
(٢٣) المرجع نفسه، ص١٩٨.
(٢٤) المرجع نفسه، ص (ك ج).
(٢٥) المرزباني، الموشّح، ص١٥٦.
(٢٦) المصدر نفسه، ص١٦٨.
(٢٧) ديوان ذي الرمة، انظر مثلا: أرجوزته، ج١، ص٣٤٧-٣٦٨.
(٢٨) المرزباني، الموشّح، ص١٥٨.
(٢٩) المصدر نفسه، ص١٧٤.
(٣٠) ديوان الأخطل، ص٧٠.
(٣١) ديوان ذي الرمة، ج١، ص٥٥٩.
(٣٢) ديوان الأخطل، ص٧٨.
(٣٣) ديوان ذي الرمة،، ج١، ص٨. وانظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص٣٢٥.
(٣٤) المرزباني، الموشّح، ص١٦٧.
(٣٥) ديوان ذي الرمة، ج٢، ص٧١٥، ٧١٦، وانظر: ج١، ص٦، ٧.
(٣٦) المرزباني، الموشّح، ص١٦٤، وانظر: ص١٦٤-١٦٨. وانظر: يوسف خليف، ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م، ص٨٠، ٨١.
(٣٧) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م، ص٢٥٠.
(٣٨) خليف، ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، ص٩.
(٣٩) المرجع نفسه، ص١٣٢، وانظر: ص١١٨.
(٤٠) محمد محمد الكومي، ذو الرمة: حياته وشعره، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٢٥٩. والكومي هو الوحيد الذي جعل (مية) هي (خرقاء) وسواها، انظر: ص١٣٨، ١٤٥. وإن سار على نهج ضيف وخليف في تحليل الشعر، كما سار حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤م، ص١٠٣-١٣٩.
(٤١) علي البطل، الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٠م، ص١٦٥، ١٦٨، ١٧٠. وانظر: عهود عبدالواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، التي لم تستفد من هذا التحليل، ولنضرب صفحاً عن أيّ دراسة أسطورية. انظر: حسن البنا عز الدين، الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقّي والنظرية الشفوية: ذو الرمة نموذجاً، القاهرة: دار روتابرينت للطباعة، ٢٠٠١م، ص٤٠-٤٣، ٦٤، ٧١، ٧٩.
(٤٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص٣١١، ٣١٣. وانظر عن مُتون رؤبة والعجاج: ضيف، التطور والتجديد، ص٣١٢-٣٢٤.
(٤٣) غازي طليمات، وعرفان الأشقر، الشعر في العصر الأموي، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٦٦.

مرزوق مشعان العتيبي | السعودية



ما الفلسفة؟

يقول الفيلسوف الفرنسي والوزير السابق لوك فيري، المولود عام ١٩٥١م، في حديثه عن رؤية الآباء الفلسفة بوصفها مادة تُدرَّس في التعليم العام في فرنسا: إنهم يعتقدون أن الفلسفة تحفز التفكير النقدي، وأنها الطريق -حسب التقاليد الفرنسية- إلى تشكيل المواطن الصالح، وهو لا يعتقد أن هذا هو التعريف الصحيح للفلسفة؛ لأنه يراها عبر تعريف إجمالي لكبريات المذاهب الفلسفية في مقابل الدين.

لكن بعيداً من التقاليد الفرنسية في الفلسفة، وقبل أن نعطي تعريفاً للفلسفة، علينا أن نرصد ما ليس فلسفةً كما نلاحظه فيما يُطرح بوصفه فلسفةً في أوساطنا الإعلامية والثقافية. ليست الفلسفة حفظ أقوال الفلاسفة، أو حفظ تاريخ الفلسفة، أو معرفة الأسماء اللاتينية للمذاهب الفلسفية الكبرى، أو فناً (مثل: السينما، أو الرسم)، أو علماً (مثل: الكيمياء، أو علم النفس). فما الفلسفة -إذاً- إذا لم تكن أياً من ذلك؟.

نشاط عقلي

من الصعب أن أحصر كلّ ما قيل عن الفلسفة، لكنني سأختار بعض التعريفات حول الفلسفة. عرّف الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (١٩٢٥- ١٩٧٥م) الفلسفة بأنها سكّ المفاهيم لوصف الظواهر؛ بمعنى أن الفلسفة نشاط عقلي لمحاولة تكوين فهم ذاتي عن حياة الفرد المفكّر. ومن التعريفات التي تروقني للفلسفة عبارة قرأتُها تُنسب إلى الفيلسوف النمساوي البريطاني فيتجنشتاين (١٨٨٩- ١٩٥١م)، يقول فيها: «الفلسفة هي معركة ضد استلاب ذكائنا باستخدام اللغة». فنحن نعيش في مجتمع انفجار المعلومات وثورة الاتصال، ويُقصف ذكاؤنا في كلّ لحظة بالتهريج والتضليل والخداع والجهل. وحسب تعريف فيتجنشتاين، فإن وظيفة الفلسفة هي إنقاذ ذكائنا عن طريق ممارسة التفلسف. ولأن اللغة هي وسيلة السحر والاستلاب فإن تعريف دولوز يلتقي هنا مع تعريف فيتجنشتاين، لكن هل أنا الوحيد الذي يعتقد هذا الالتقاء؟!

الفلسفة مفردة ذات جذور يونانية، وتعني: حبّ الحكمة؛ فلفظة (فيلوس) تعني: محبة، و(سوفيا) تعني: الحكمة، وهي حبّ الحكمة كما يُحكى عن سقراط (٤٧٠- ٣٩٩ ق. م)؛ لأنه لا يمكن بلوغ الحكمة. ومن اعتقد بلوغ المعرفة فقد أصبح أجهل من جاهل؛ لذا فضّل سقراط -حسب القصة- أن يكون محباً للحكمة، وليس حكيماً. وحينما ننظر إلى المفردة في المعجم التاريخي (إتيمولوجيا) سنجد أنها تحمل المعاني الآتية:

- في زمن طاليس (٦٢٥- ٥٦٤ ق. م) كانت اللفظة تطلق على مجمل المعرفة الإنسانية في ذلك العصر.
- الفيلسوف الألماني لايبنيتز (١٦٤٦- ١٧١٦م) جمع تحت اسم الفلسفة: الرياضيات، والتاريخ، وعلوم الطبيعة، وعلوم اللغة، والفلسفة الغربية. ويعرّف المفكر الفرنسي جان فرانسوا ريفيل (١٩٢٤- ٢٠٠٦م) الفلسفة بأنها تمتد في ميادين المعرفة والفعل كافةً، ويجب أن تضم نظاماً كاملا للمعارف الإنسانية، ويجب أن يبلغ هذا النظام الكمال، وأن يكون نظاماً ذا طبيعة عالمية.
- كانت الفلسفة تُمارس في عهد أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م) بوصفها دراسةً وفحصاً للأسباب الأولية والمبادئ التي تقوم عليها الطبيعة والاجتماع الإنساني.

تنوع كبير

نرى -إذاً- أنه من الصعب القول: إن هناك تعريفاً واحداً للفلسفة؛ لأن في أدبيات الفلسفة تنوّعاً كبيراً بخصوص معنى الفلسفة نفسها. ومادام الأمر كذلك فإنه بوسعنا على الأقلّ أن نعرّف الفلسفة بوصفها نشاطاً، وهذا النشاط يمكن أن يكون ظاهراً وقابلا للتعريف عبر طبيعة هذا النشاط، ونستطيع -إذاً- أن نقول: الفلسفة يمكن أن تكون:

- مبدأ سقراط: (اعرف نفسك)؛ فهذا المبدأ ذاته يمكن أن يكون تعريفاً للفلسفة إذا جعلناه وصفاً للنشاط المتمثّل في أعمال الحواسّ والعقل لفهم الذات وتمييزها من المحيط، سواء أكان الطبيعة أم (الذوات العاقلة) الأخرى، وفهم العلاقات بينها، وكيفية تحقيق الأخلاق في علاقة الفرد العاقل بالمجتمع والبيئة التي يعيش ويفكر فيها.
- الفلسفة بوصفها فهماً لكيفية تطوّر التفكير الإنساني قبل مبدأ سقراط وبعده: لتفهم كيف يفكّر إنسان اليوم بهذه الطريقة، ولماذا، ينبغي فهم كيف تطوّر هذا الفكر، ولماذا، وما حدوده، وما إمكانات تأويله في عصر انفجار المعرفة في كلّ الميادين.
- الفلسفة بوصفها تحليلا للغة: وهي تحليل للغة لأن اللغة -حسب عبارة فيتجنشتاين السابقة- وسيلة استلاب ذكائنا للتضليل والأكاذيب، ويكشف تحليل اللغة الألاعيب التي تُمرَّر عبر اللغة. كما أن تحليل اللغة يعني فحص قدرتها على وصف الواقع؛ لأن الفلسفة ستقول دائماً: إنها «البحث عن حقيقة الأشياء»، وحقيقة الأشياء هذه تعبّر عنها اللغة.
- الفلسفة بوصفها بنية المعرفة: أي الفلسفة بوصفها نظاماً من الأسئلة والإجابات، أو على الأقلّ: نظاماً من الأسئلة التي تبحث عن إجابات؛ فأيّ مبتدئ في الفلسفة سيقول لك: كل إجابة تفتح الباب لأسئلة جديدة؛ لأن الفلسفة -في معناها اللغوي- حبّ الحكمة، والبحث عنها، وليست ادّعاء امتلاكها؛ فنحن



سقراط



اللوحة للفنان جان فرانسوا رافايللي

الفيلسوف فيتجنشتاين: نحن نعيش في مجتمع انفجار المعلومات وثورة الاتصال، ويُقصف ذكاؤنا في كلّ لحظة بالتهريج والتضليل والخداع والجهل

عندما نمتلك الحكمة -أي: معرفة كنه الأمور- نمتلكها ضمن شروط.

• الفلسفة بوصفها رؤيةً للعالم: هذا الأمر يعني أننا نعرّف الفلسفة بأخذ فلسفة كلّ مفكّر -وتقول الفلسفة منذ سقراط: كلّ إنسان يجب أن يكون مفكراً- على أنها نظام كامل للمعرفة، وتصوّر كامل عن الفرد وحياته وعلاقته بالأحياء والجمادات في الطبيعة: كيف ينظر الإنسان إلى نفسه وإلى الآخرين؟ وكيف ينظر إلى العالم بوصفه بنيةً واحدةً؟.

الفلسفة في الموسوعات

عندما نبحث عن معنى الفلسفة في الموسوعات العامة نجد الموسوعة البريطانية تعرّفها بأنها «الفحص النقدي لأرضية المعتقدات الأساسية، وتحليل المفاهيم الأولية المستخدمة في التعبير عن هذه المعتقدات؛ فالفحص الفلسفي جزء أصيل في التاريخ الفكري لأيّ حضارة تاريخية». هذا تعريف إجمالي للفلسفة مُعبَّر عنه بصورة جميلة. ويعني التحليل النقدي التفكير بشكل منهجي لتوليد الأسئلة من سؤال أصاليّ، أو محاولة العثور على إجابات تناسب بنية الفرد المفكّر الذهنية، وتعبّر عن معارفه وخبراته الحياتية. أما معجم لاروس الفرنسي، فإنه يعرّف الفلسفة بأنها «مجمل التصوّرات التي تناقش مبادئ كينونة الكائنات والموجودات، ودور الإنسان في الكون... والتاريخ، أو هي نظام الأفكار الذي يشرح المبادئ الأساسية في مجال معين»، مثل قولنا: فلسفة العلوم.

تخصّص موسوعة الفلسفة على الإنترنت سلسلةً من المداخل -بوصفها موسوعةً متخصّصةً في الفلسفة، ومداخلها موسّعة- عن معنى الفلسفة، أقتبس منها: ما الفلسفة؟ ما جدوى الفلسفة؟ كيف تُمارس الفلسفة؟. هذه أسئلة ميتا- فلسفية؛ لأن الميتا- فلسفة هي دراسة طبيعة الفلسفة. ويمكن تقسيم الميتا- فلسفة المعاصرة في التراث الفلسفي الغربي حسب ارتباطها بأيّ من التوجهات الآتية: الفلسفة التحليلية، والفلسفة النفعية، والفلسفة القارية. ومصطلح (الغربي) وصف لمجمل الثقافات التي تشترك في خاصية أنها ورثت التراث اليوناني- الروماني من جهة، والتراث اليهودي- المسيحي من جهة أخرى. أما مصطلح (الفلسفة القارية)، فهو يعني الفلسفة الأوربية في القارة، في مقابل الفلسفة الإنجليزية، بوصف بريطانيا جزيرة خارج القارة الأوربية.

وتواصل الموسوعة: «كان موقف روّاد الحركة التحليلية أن الفلسفة ينبغي أن تبدأ بتحليل

العبارات التي تمثّل أطروحات. ويعطي هذا التحليل دوراً محورياً للمنطق». في المقابل، اعتقد الفلاسفة النفعيون/ البراجماتيون أن الفلسفة يجب أن تتعامل مع المشكلات الحقيقية، مع أنهم يُعطون تعريفاً فضفاضاً لمعنى المشكلات الحقيقية. بالنسبة إلى الفلسفة فإنها تجعل هوسرل مثالاً لها؛ فـ«هوسرل اعتقد أن منهج الظاهراتية الذي تبنّاه قد يمكّن الفلسفة من أن تصبح علماً مؤسساً. وحسب هوسرل، فإن الفلسفة هي شأن شخصي وشيء ضروري لإدراك آمال البشرية في التنوير. وقد عدّل خلفاء هوسرل من الوجوديين في منهجه، وأعادوا بناءه للتشديد على أنموذج الأصالة الذي عبّر عنه في كتاباته». الميتا-فلسفة هي -إذاً- دراسة معنى الفلسفة، ووظيفتها أو وظائفها، ولماذا يجب أن تكون هناك فلسفة.

بعض تعريفات الفلسفة

ما تقدّم هو أبرز ما يمكن قوله عن معنى الفلسفة في التراث الفلسفي الغربي، لكن ماذا عن تعريف الفلسفة لدى فلاسفة الإسلام؟. الفلسفة الإسلامية قد تشمل في التعريف الإنتاج الفلسفي لمفكرين من عصر

الفلسفة مفردة ذات جذور يونانية، وتعني: حبّ الحكمة؛ فلفظة (فيلوس) تعني: محبة، و(سوفيا) تعني: الحكمة، وهي حبّ الحكمة كما يُحكى عن سقراط

الإمبراطورية الإسلامية المكتوب بالعربية أو الفلسفة المتأثرة بالإسلام، ويمكن أن نذكر من هذا التراث بعض تعريفات الفلسفة:

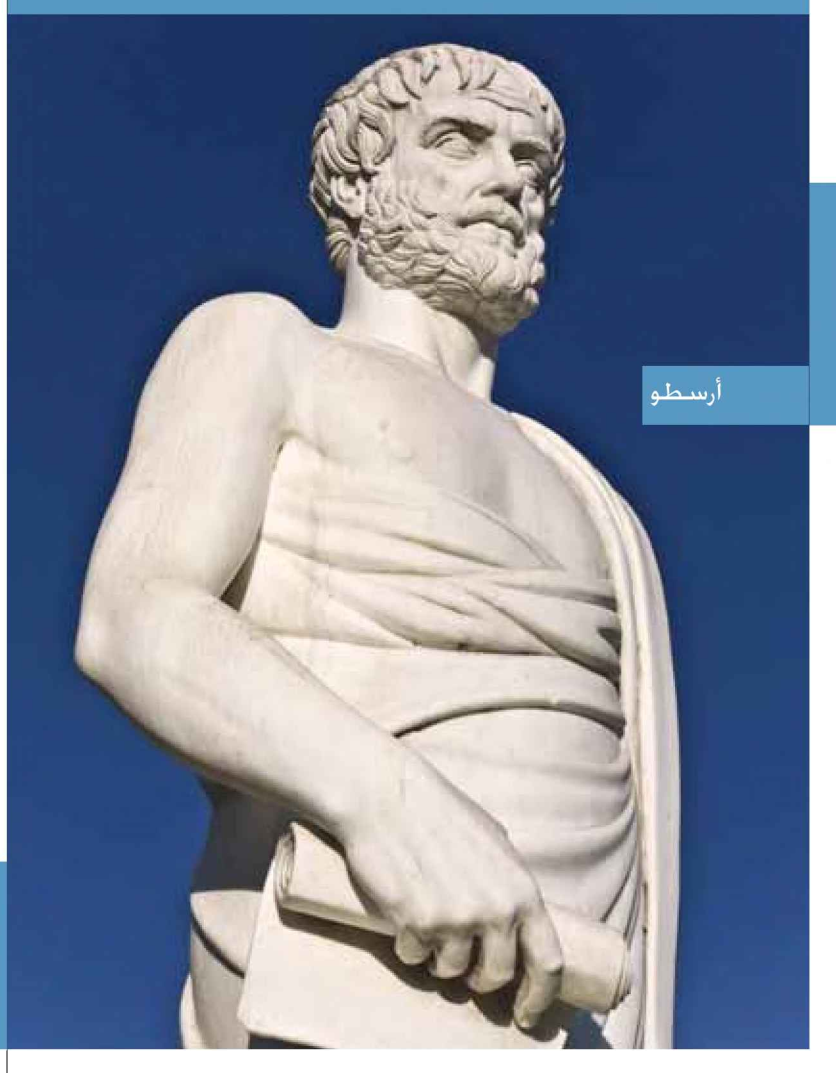
- تعريف الكندي (٨٠٥- ٨٧٣م): «إنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان؛ لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل بالحق». ونرى أن هذا التعريف يشبه تعريف سقراط للفلسفة؛ فالفلسفة نشاط عقلي يسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان. وهذا الأمر يعني أن الفلسفة إذا لم تقُدْ إلى اتّساق السلوك لدى الفرد المفكّر فقد أخفقت في أن تكون فلسفةً.
- تعريف الفارابي (٨٧٤- ٩٥٠م): «الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة»، وهو -كما نلاحظ- يشبه رؤية أرسطو؛ فالفلسفة هي النفاذ إلى جوهر الأشياء.
- **تعريف ابن سينا (٩٨٠- ١٠٣٧م): «استكمال النفس الإنسانية بتصوّر الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية».**

وتحدّد رؤية ابن سينا للفلسفة دورها في حياة الفرد المفكر حسب قدرته العقلية. وهذا الأمر يعني أنه يلتقي بالتصوّر الذي يحثّ على أن تكون الفلسفة، بوصفها فعل تفكير وتعقّلا واعياً، منهج حياة؛ فما جدوى الفلسفة إذا لم تجعل منك إنساناً أفضل؟!.

- **تعريف ابن رشد (١١٢٦- ١١٩٨م): «فعل الفلسفة ليس إلا النظر في الموجودات واعتباراتها».**

هدف الفلسفة جعل الإنسان أكثر تسامحاً

تعريف فلاسفة الإسلام الفلسفة يقترب كثيراً من رؤية المفكرين والباحثين الجادين للفلسفة اليوم؛ فالفلسفة هي نشاط، وهي كأيّ نشاط: عقلي (تفكيري- نظري) وعملي (تطبيقي)، وتهدف إلى تحقيق الاتّساق الذي به تتحقق إنسانية الإنسان؛ أي: يكون هو هو. ليست الفلسفة حفظ ماذا قال هذا الفيلسوف أو ذاك، وليست أن يكون لديك من الثقة بما تعرف ما يمنحك الحقّ لتكون جريئاً، وإنما تسعى الفلسفة بما أنها نشاط دائم إلى أن يدرك الإنسان المبادئ الأخلاقية العليا التي تحكم رؤيته الحياة والوجود، وتسعى دائماً إلى جعل الإنسان أكثر تسامحاً؛ لأنه يدرك مدى جهله ووقاحته.

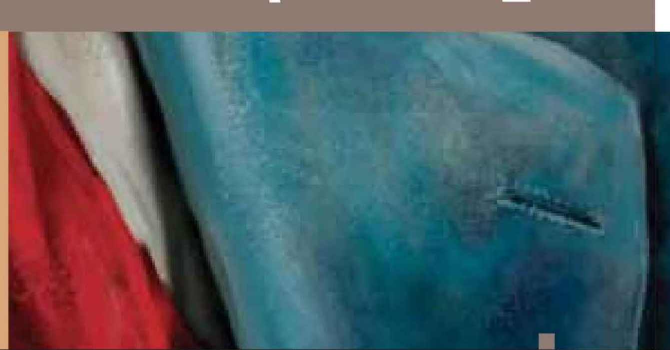


أرسطو

محمد فتحي فرج | مصر

طه حسين..

إمـام الجامعييـن فـي مصـر



«كان إنشـاء الجامعـة المصريـة الأولى ضرورةً لم يشـعر بها إلا الأقلّـون مـن المصرييـن، الذين عرفـوا الغرب قليـلاً أو كثيراً؛ فالجامعـة ضرورة من ضرورات الحياة في مصر؛ إذ كانت تطمح مصر إلى الحرية، وتضيق بالاحتلال البريطاني، وتكره أشدّ الكره ما بقي من أعقاب الحكم التركي»، طه حسين.

سيظلّ التاريخ يذكر أن طه حسين، الذي وُلد في ١٤ نوفمبر عام ١٨٨٩م، وتُوفِّي في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٧٣م، كان الأديب الوحيد في تاريخ دولة عربية كمصر الذي أضربت جامعة القاهرة -وقد كانت الجامعة المدنية الوحيدة في طول البلاد وعرضها آنذاك- احتجاجاً على إقصائه من عمادة كلية الآداب بالجامعة، واستمرّ الإضراب عدة أسابيع؛ ليطالع قرّاء الصحف أخبار ذلك الإضراب صباح مساء، وهو مَجْدٌ -كما يقول فتحي رضوان- بغير شكّ، وليس بالشيء القليل[١].

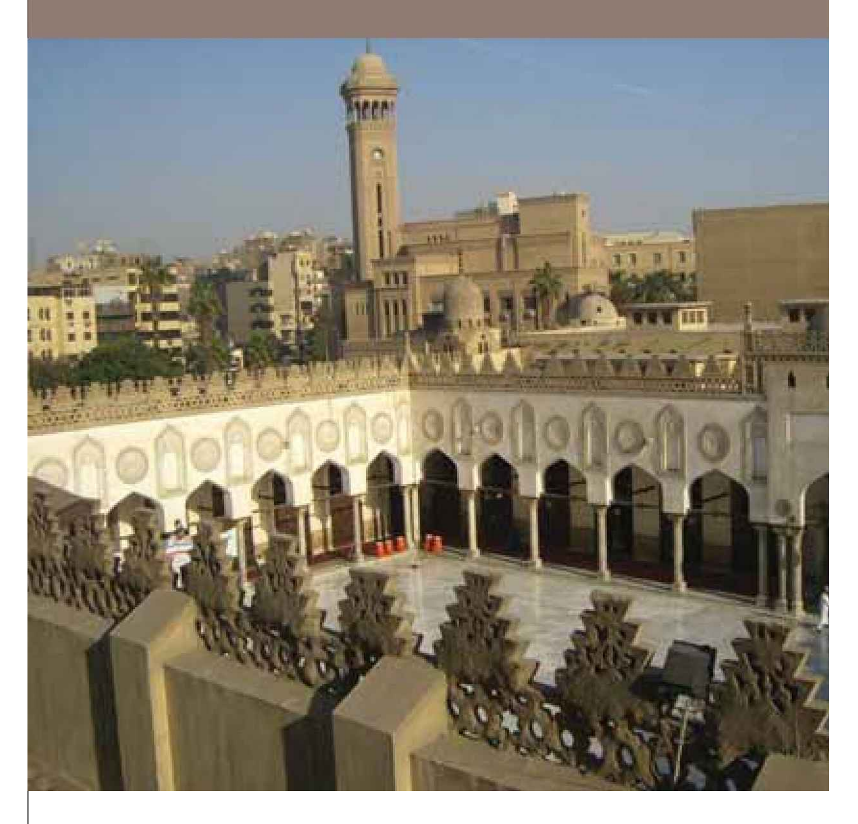
الجامعة هي طه حسين

«كانت الجامعة هي طه حسين، وكان طه حسين هو الجامعة»[٢]. بهذه الكلمات الدالة الواضحة لخّص العلامة محمود محمد شاكر -تلميذ طه حسين وغريمه في الوقت ذاته- علاقة طه حسين بالجامعة. والذي أراه أن هذه الكلمة الموجزة صادقة إلى حدٍّ كبير، ومُعبِّرة عن واقع الجامعة في عقد ثلاثينات القرن الماضي على وجه التحديد، كما هي أيضاً مُعبِّرة عن طه حسين الذي أنقذته هذه الجامعة، وحوّلته من طالب علم مفصول من الأزهر إلى طه حسين الذي أصبح بفضلها ملء السمع والبصر والفؤاد، ليس في مصر وحدها، لكن في المنطقة العربية بأسرها.

في عام ١٩٢٥م صدر مرسوم إنشاء (الجامعة المصرية) مكوَّنة من عدد من الكليات، إحداها كلية الآداب، وصار طه حسين أستاذ الأدب العربي في قسم اللغة العربية بها. لكن لم يكد يمضي عام على إنشاء الجامعة حتى صرنا إلى أمر غريب جداً؛ إذ لا يكاد يُذكر اسم الجامعة حتى ينصرف الذهن إلى كلية الآداب وحدها، ثم إلى طه حسين وحده، مع أن عدد طلبة كلية الآداب كان يومئذٍ بالعشرات، وكان عدد طلبة قسم اللغة العربية في هذه الكلية يكاد يُعدُّ على الأصابع؛ أي: أنك تستطيع أن تقول بلا تزيّد كثير: إن طه حسين كان عند الناس هو الجامعة، وكانت الجامعة عندهم هي طه حسين.

وإذا كانت بداية هذه الشخصية العظيمة -في عقودها الثلاثة الأولى- قد جمعت بين الموروثات الفكرية في الجامع الأزهر بعلومه الإسلامية والعربية والعصريات العلمية الغربية في الجامعة المصرية القديمة بالقاهرة والسوربون في باريس، فإنها طوال أكثر من خمسين عاماً بعدها قد أزهرت وأثمرت في كلية الآداب الابنة والأم للجامعة نفسها بتسمياتها الثلاث المتتابعة قبل ثورة عام ١٩٥٢م وبعدها، بل إن هذه الشخصية انطلقت منذ بداية الأربعينيات إلى الإسكندرية، ثم إلى عرش وزارة المعارف (التعليم حالياً) نفسها بالقاهرة؛ لتنشئ ثلاث جامعات أخرى في الإسكندرية أولاً، ثم في عين شمس، ثم في أسيوط أيضاً، بأسمائها الأولى التي وُلدت بها: فاروق، وإبراهيم، ومحمد علي، بهذا الترتيب المقلوب فعلاً[٣].

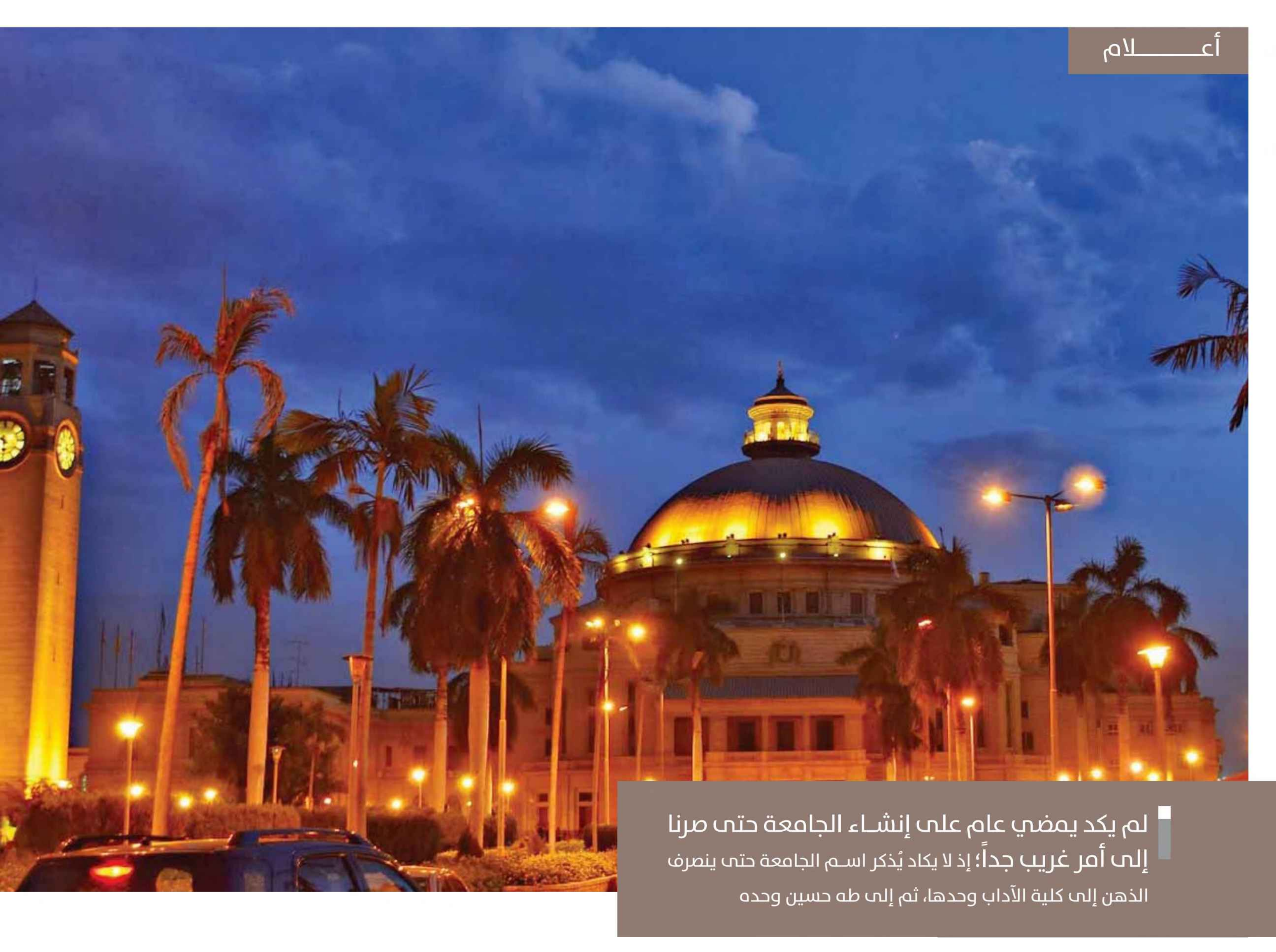
يذكر تاريخ الجامعة في مصر أن طه حسين كان من أبرز طلابها عند نشأتها في أوائل القرن الماضي، كما كان أوّل خرّيجيها



الروح الجامعي

في عام ١٩٣٨م استكتبته مجلة (الهلال) المصرية حول (الروح الجامعي)، ولم يكن حينئذٍ قد مرّ أكثر من خمسة عشر عاماً -على حدّ تقدير طه حسين نفسه- على استخدام هذا المصطلح؛ لأن مرسوم إنشاء الجامعة لم يصدر إلا عام ١٩٢٥م، وإن كانت من الناحية الفعلية قد بدأت قبل هذا التاريخ تحت أسماء أخرى؛ فطه حسين نفسه قد ابتعثته الجامعة عام ١٩١٤م إلى فرنسا؛ للنهل من علومها الحديثة، ونيل درجة علمية من جامعاتها؛ ليعود لبنة قويةً في بناء هذه الجامعة الناشئة.

والواقع أن موضوع (الروح الجامعي) من الموضوعات ذات الأهمية المتجددة؛ فهو ليس موضوعاً يكتب فيه الكتّاب، ويدلي فيه أهل الفكر وأصحاب الرأي، ثم بعد ذلك ينفض الجميع يديه وفكره من هذا الموضوع، ويتنفسون الصعداء ويستريحون. كلا؛ فهذا موضوع الساعة وكلّ ساعة، وموضوع الآن وكلّ آن آتٍ؛ فإذا كانت الجامعة جسداً فالروح الجامعي هو الذي يمنحها الحياة والحيوية والنشاط والقدرة على الفعل والتجدّد

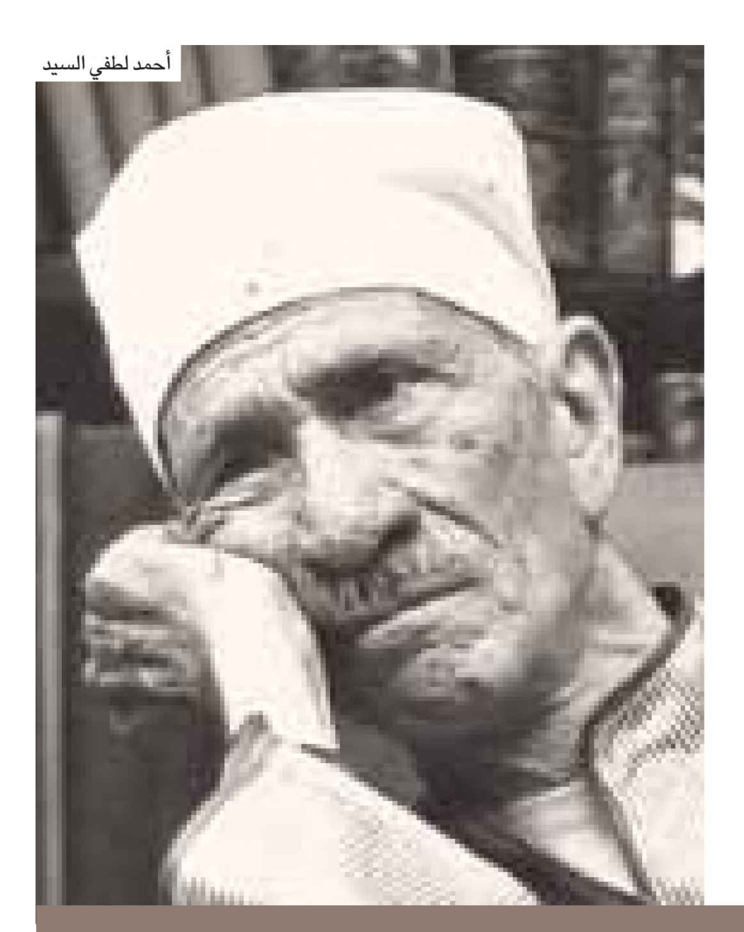


لم يكد يمضي عام على إنشاء الجامعة حتى صرنا إلى أمر غريب جداً؛ إذ لا يكاد يُذكر اسـم الجامعة حتى ينصرف الذهن إلى كلية الآداب وحدها، ثم إلى طه حسين وحده

المستمر إن كان للجامعة أن تبقى وتحيا لتقوم بدورها في المجتمع المحيط بها. لذا سنتوقف طويلاً عند هذا الموضوع الذي صادف أهله؛ فطه حسين -من وجهة نظري- بمنزلة الأب للجامعة المصرية، وقد أحسنت (الهلال) صنعاً عندما استكتبته في هذا الموضوع المهم.

الذي يهمّنا هنا هو ما فهمه طه حسين عن هذا (الروح الجامعي)، وما أراد أن يُطلع ذلك الجيل بشأنه، ومدى ما يتّفق أو يختلف عما نريده نحن الآن في القرن الحادي والعشرين؛ أي: بعد مرور أكثر من ثلاثة أرباع القرن؛ فحينما دعته كلية العلوم (لم تكن ثمة كلية علوم أخرى حينذاك إلا علوم القاهرة) ليلقي محاضرةً عامةً في الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤١م قدّم هذا الجامعي الأول محاضرةً مهمةً عن التعليم الجامعي، استرسل فيها لبيان الفرق بينه وبين التعليم المدرسي، مركّزاً في قضية الحرية في برامج التعليم الجامعي؛ إذ يُتاح للأستاذ الجامعي أن يستمتع بمزاولة حرية التفكير، كما يُتاح للطالب أيضاً أن يحظى بقسط وافر من حرية التفكير. يقول الدكتور طه حسين: «إن معنى الروح الجامعي، وإن كان مستحدثاً طريفاً في لغتنا، فلعله لا يكون مستحدثاً من جميع الوجوه، ولعله أن يكون قد وُجد عندنا قبل أن تنشأ الجامعة الحكومية أو الحرة، ولعله أن يكون قد وُجد قبل هذا العصر الحديث، في القرون الوسطى في مصر، وفي غير مصر من أقطار الأرض الإسلامية التي نُظِّم فيها التعليم على نحو ما، والتي اطّردت فيها سنن وعادات لجماعة المشتغلين بالعلم، والمنقطعين له، والعاكفين عليه»[٤].

وقد أكّد طه حسين وجود هذا الروح في الأزهر الذي درس به، وفي غيره من المعاهد العلمية الإسلامية، كما وُجد أيضاً في أوربا في القرون الوسطى في البيئات التي نشأت فيها الجامعات القديمة، في باريس وأكسفورد وكمبردج ولندن؛ لذلك فهذا الروح ليس حديثاً، ولا هو من الأشياء التي ابتكرها هذا العصر الذي نعيش فيه. ليس حديثاً في أوربا، ولا حديثاً في الشرق، إنما الجديد هو إبرازه، والإشادة به، وإشاعته في نفوس الشباب. ويؤكد طه حسين أن الروح الجامعي شيء حيّ قائم، يتطوّر ويتغيّر، ويساير في تطوّره وتغيّره ما يختلف عن الحضارة الإنسانية من ألوان التطوّر والتغيّر؛ فقد كان لكلّ من: أكاديمية أفلاطون، ولوقيون أرسطو، ومدرسة الإسكندرية، روحها الجامعي الخاصّ الذي يشترك فيه الأساتذة والطلاب جميعاً، والذي تتوارثه أجيالهم حريصةً عليه، محتفظةً به، مجتهدةً في حمايته والذود عنه. ويؤكد أن للجامعة


أحمد لطفي السيد

يؤكد طه حسين أن الروح الجامعي شيء حيّ قائم، يتطوّر ويتغيّر، ويساير في تطوّره وتغيّره ما يختلف عن الحضارة الإنسانية من ألوان التطوّر والتغيّر

روحها وتقاليدها التي تختلف من بلد إلى آخر، بل من جامعة إلى أخرى في البلد الواحد؛ فللجامعات القديمة تقاليدها وتراثها العظيم الذى تحرص عليه، وهناك الجامعات الحديثة المناهضة للقديمة، أو المكملة لما كان ينقصها. ثم يبيّن طه حسين بعض ملامح هذا الروح في جامعات معينة، فيقول: الرياضة البدنية مثلاً عنصر مُقوِّم للروح فى إنجلترا، لكنه ليس كل شيء؛ فإذا ذهبت إلى فرنسا فالروح الجامعي يستغني استغناءً تاماً عن الرياضة البدنية في تكوينه، ويستطيع الشباب الفرنسي أن يكون جامعياً -بأدقّ معاني الكلمة وأشملها- من دون أن يشارك في الألعاب الرياضية، أو يكون له حظّ من العلم بها، قليل أو كثير. فإذا ذهبت إلى أمريكا فالألعاب الرياضية هي العنصر الأول الذي يقوّم الروح الجامعي، ويكوّن الحياة الجامعية. ثم يشير طه حسين إلى أن التنوّع في الجامعات، التي تخرّج فيها الجامعيون المصريون، يجعلهم لا يكادون يتّفقون على ما ينبغي من هذا الروح؛ فللسربوني معنًى، وللندني معنًى آخر، ولخريج أكسفورد معنًى ثالث قد يختلف عنه عند خرّيج ليفربول أو برلين أو ليبزج، وكلّ هذا قد يختلف بشدة عنه عند خرّيجي جامعات أمريكا. والتعاون والتبادل بين الجامعات المختلفة طلاباً وأساتذةً كفيل بالتقريب بينها، كما أن وسائل الإعلام؛ من كتب وصحف ومجلات وراديو (لم يكن للتلفاز وقتها وجود) وسينما، يمكن أن تقوم بالدور ذاته في هذا التقريب.

ثم يلخّص طه حسين الروح الجامعي في نهاية مقاله بقوله: الروح الجامعي الذي يسمو على كلّ الفروق، ويرتفع فوق كلّ لون من ألوان الخلاف، هو الذي ميَّز الإنسان، وسيميّزه من الكائنات الحية كلها، هو حبّ الحق والبحث عنه، هو الرغبة في المعرفة والحرص عليها، هو الإقبال على العلم من حيث هو، لا من حيث ما قد ينتج من الخير، أو يُحقِّق من النفع. هذا الروح هو الذي مكّن مُمثّلي الجامعات المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف من أن يفهم بعضهم بعضاً، ومن أن ينتهوا إلى نتائج وقرارات. وهذا الروح من طبعه أن يرفع الإنسان عن الصغائر، ويبرّئه من الدنيّات؛ لأنه يرفعه عن المنافع العاجلة التي تثير الخصومات الرديئة بين الناس، وتفسد صلات الود والحب. الروح الجامعي هو الذي يجعل الناس إخواناً في العلم، ويقيم إخوتهم على المودة والحب، وعلى الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات. فأما السبيل إلى إشاعته في نفوس الطلاب فيسيرة جداً؛ لأنها لا تكلّف صاحبها عناءً ولا مشقةً، وهي أن يكون الأستاذ مثلاً صالحاً لطلابه، لا يفرض عليهم نفسه ولا رأيه، ولا يأخذهم بشدة الحاكم، ولا يسير فيهم سيرة المتحكّم، وإنما يصطنع منهم روح المودة التي تنشأ من حبّ العلم، والتعاون على تحصيله في غير مماراة، ولا تهالك على الخصومة، ولا اعتزاز بالنفس، ولا اعتداد بالرأي. الروح الجامعي هو التعاون على طلب الحق، ولن تشيعه بين الطلاب إلا إذا ضربت لهم من نفسك أحسن المثال وأصدقها في حبّ الحق والسعي إليه. ثم يختلف الروح الجامعي بعد ذلك باختلاف البيئات والظروف، ولكن جوهره، الذي لا يختلف ولا يتباين مهما تختلف البيئات والظروف، هو حبّ الحق، والإذعان لسلطان هذا الحب[٥].

الجامعي الأول

يذكر تاريخ الجامعة في مصر أن طه حسين كان من أبرز طلابها عند نشأتها في أوائل القرن الماضي، كما كان أوّل خرّيجيها، وكان أيضاً أول من حصل على كبرى درجاتها، وهي درجة الدكتوراه عن رسالته: (تجديد ذكرى أبي العلاء). كما كان الدكتور علي مصطفى مشرفة أول عميد مصري الجنسية لكلية العلوم في الجامعة المصرية كان أيضاً طه حسين أول عميد مصري لكلية الآداب بالجامعة ذاتها في خريف عام ١٩٣٠م؛ لذا لا نجاوز الحق إذا قلنا: إن طه حسين هو إمام الجامعيين في مصر بحقّ، ورائدهم الأول.



طه حسـين: الـروح الجامعي الذي يسـمو على كلّ الفـروق، ويرتفع فـوق كلّ لون من ألوان الخـلاف، هو الذي ميَّز الإنسان، وسيميّزه من الكائنات الحية كلها

تكوين الكوادر الجامعية

يذكر أحد أبناء الجيل الذي يليه، وهو من الذين رافقوه في الجامعة وفي مجمع الخالدين، بعض ذكرياته عنه، فيقول: أعتقد أن العقد الرابع من القرن العشرين كان من أزهى عصور جامعة القاهرة؛ فقد تأكّد فيه استقلالها، واستقرّت شيئاً فشيئاً تقاليدها. وكانت كلية الآداب بوجه خاصّ رائدةً في وضع هذه التقاليد، ورمزاً حياً لهذا الاستقلال. وقد أبلى في هذا طه حسين بلاءً حسناً، وناصره أستاذه وراعيه منذ البداية لطفي السيد مدير الجامعة، ورغب رغبةً أكيدةً في أن تكون آداب القاهرة، وهو أول عميد مصري لها، على غرار كليات الآداب في الدول العظمى؛ فإلى جانب اللغات الحية استمسك باللغات القديمة، شرقيةً كانت أم غربيةً؛ كالسريانية، والعبرية، واليونانية، واللاتينية، واستعان على ذلك بالمختصين من الأجانب، وأعد العُدَّة للمستقبل بمَن أوفدهم إلى الخارج من شباب الجامعيين للتمكّن من هذه اللغات. ولاحظ أن المدرسة القديمة لا تفي بحاجات النهوض والتقدّم، وليس في خططها، ولا في برامجها، ما يمكّنها من الإعداد للتعليم الجامعي، وفكّر في أن تكون للجامعة مدارس خاصة تعدّ لها، ولعلّ هذا هو الذي دفع إلى إصلاح التعليم الثانوي الذي تقرّر عام ١٩٣٥م. ولا شكّ في أن الرعيل الأول من أبنائه هو الذي تابع السير، وحمل الأمانة في الجامعة أو خارجها. وكم كان يعتزّ بمبعوثيه، ويتودّد إليهم، ويحرص على أن يلقاهم إن مرَّ بالبلد الذي يدرسون فيه. وما نشكو منه اليوم من نقصٍ أو فقرٍ في التخصّصات المختلفة إنما يرجع إلى أننا لم نلتزم السياسة التي وضعها الرجل، ولم نتابع السير في الطريق ذاته مع أننا توسّعنا في التعليم الجامعي؛ ذلك التوسّع الذي يتطلب عدةً أقوى، وسلاحاً أمضى. ولم يقنع بمن أُوفد من بعوث، بل حرص على أن تحظى كلّيته بكبار المتخصّصين الأجانب في الدراسات الإنسانية على اختلافها؛ فدعا نفراً من الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع، ومن الأدباء وأساتذة اللغات القديمة والحديثة، ومن المؤرّخين والجغرافيين، دعاهم إلى إقامة طويلة أو زيارة مؤقتة، فأفادوا الطلاب وأعضاء هيئة التدريس بعلومهم ولغاتهم[٦].

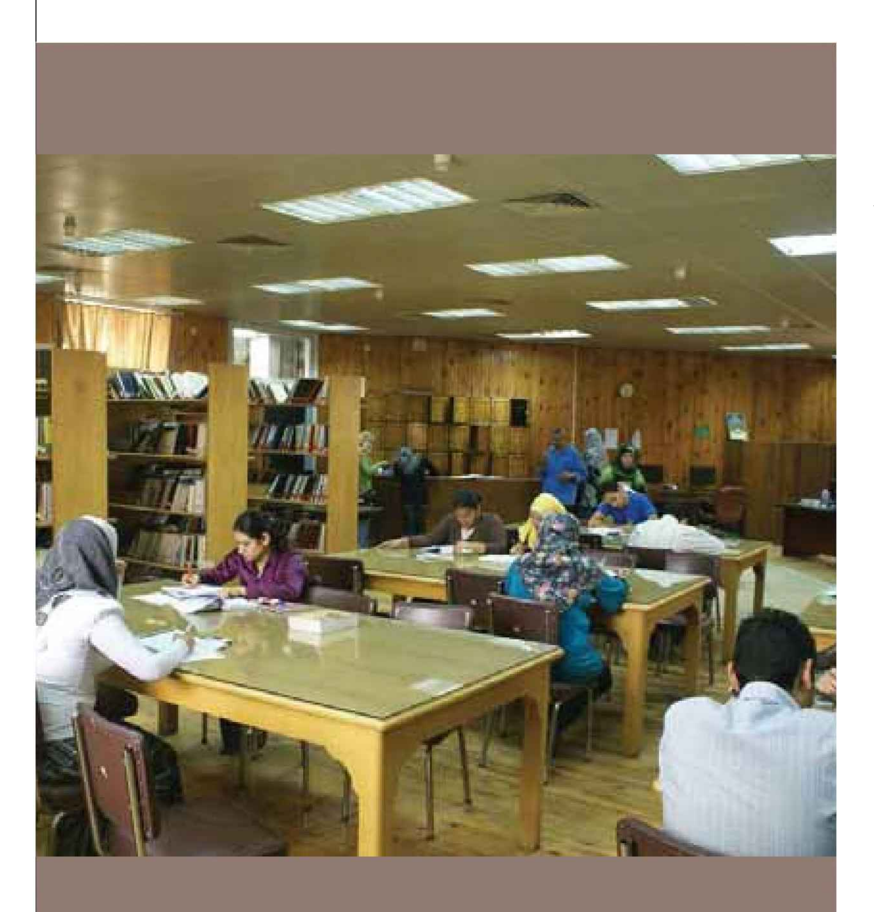
إشرافه على البحوث العلمية

لا يكتمل عمل الأستاذ الجامعي إلا بمزاولته البحث العلمي، والإشراف عليه، من خلال الفرق البحثية التي يمثّلها طلاب الماجستير والدكتوراه، وتوجيههم إلى المناهج العلمية الصحيحة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، والأخذ بأيديهم لاستكمال مقوّمات إجراء مثل هذه البحوث، ومراجعتها، ومناقشتها، إلى أن يحصلوا على درجاتها العلمية؛ لتتواصل الأجيال، وتستمر الحياة العلمية في نموّ وتقدّم وازدهار. ومن ناحية أخرى، ففي القيام بهذا الدور تطبيق عملي لما اعتقده الرجل وآمن به مما يجب أن يتوافر في الأستاذ الجامعي من مناقب وصفات، وما ينبغي أن يحرص عليه من توافر الروح الجامعي كما كان يؤمن به ويدعو إليه. لذلك فقد كان طه حسين عظيماً في إشرافه على الطلاب وتوجيهه لهم، ورعايته الدارسين الذين أشرف على رسائلهم، أو شارك في مناقشتها. كما كان الرجل عظيماً أيضاً في معاملتهم؛ فلم يكن أستاذاً ومشرفاً عظيماً فحسب، وإنما كان أباً رحيماً، وراعياً كريماً، كثير العطف والحدب على تلاميذه، حريصاً عليهم أكثر من حرصهم على أنفسهم، يُحسن توجيههم، ويتابع أعمالهم، ويرعى أمورهم، ويهيّئ الخير لهم، ويعمل على إسعادهم؛ فيحلّ مشكلاتهم، ويمهّد لهم الطريق إلى ما تصبو إليه نفوسهم، ولا نتعدى الحقيقة إذا قلنا: إن طلاب العلم لم يتعلّقوا بأستاذ كما تعلّقوا بطه حسين المعلم والأب والأستاذ العظيم.

ويشهد كلّ من استمعوا واستمتعوا بمناقشاته للرسائل الجامعية أنه كان يستهدف في ملحوظاته وتوجيهاته مصلحة الدارسين، وأنه كان يأسر مستمعيه بطرافة أسلوبه، وبراعة نقده، وروعة طريقته، ودقة ملاحظاته، وحضور بديهته، وفرط ذكائه، وقوة ذاكرته. لذلك فقد كان يكفي الإعلان عن اشتراكه في مناقشة رسالة علمية حتى يتسابق الناس من الدارسين وغيرهم إلى حضورها؛ ليظفروا بمتعة عقلية عالية، ويقضوا أطيب أوقاتهم في الاستماع إلى مناقشاته، والاستمتاع بها. وحتى بعد أن صار وزيراً ظلّ الرجل حريصاً على رعاية طلاب العلم؛ فداوم الإشراف على عدد من الباحثين والدارسين، ولم يرفض الاشتراك في مناقشات الرسائل العلمية؛ بحجة عدم توافر الوقت، أو كثرة المشاغل والمسؤوليات؛ فتواصلت حياته الجامعية ومعاونته تلاميذه وأحفاده -الذين أصبح بعضهم أساتذةً- من الطلاب والدارسين، وسيظلّ اسم طه حسين مرتبطاً بالجامعة والبحث العلمي ما بقيت الجامعة، وما بقي العلم[٧].

لا أجد -بعد استعراضي هذه الأفكار- إلا أن أقول: هذا هو المنتظر من طه حسين الجامعي الأول في مصر، وهذا هو ما نسعى إلى تحقيقه بجهد جهيد بعد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن، وبعد أن وفّرت البلاد -قدر طاقتها- من الوسائل ما يتيح تطوير الجامعات، وتحديث الكليات، والسعي الحثيث نحو اعتمادها بناءً على المعايير الحديثة، التي لم تزد تقريباً عما لخّصه الرجل في مقاله في ذلك الوقت المُبكر جداً.

هذا بعض من كثير مما قدّمه طه حسين إلى الجامعة وأبنائها، وهي كلّها دروس عظيمة، لعل أعضاء هيئات التدريس في الجامعات المصرية



تجدد مستمر

كان طه حسين يرى أن الجامعة يجب أن تكون في حالة تجدّد مستمر، وأن الذين يلتمسون المحافظة، والإبقاء على القديم، يمكنهم أن يطلبوه في أيّ مكان آخر غير الجامعة؛ فالعلم متجدّد دائماً، متطوّر دائماً، وهو أيضاً حر بطبيعته، ولا يُطلبُ بحكم القانون، وأن للنظم الجامعية التي تُبنى على الحرية يجب أن تقوم على فكرة تمكين الأستاذ من أن يعيش للتفكير العلمي؛ فلا يُضطرّ إلى التفكير في نفقاته، وما تطلبه حياته، كما تقوم أيضاً على تمكين الطالب من أن يسمع وينتفع من دون أن ينظر أو يفكر في المصروفات، أو فيما ينفقه على نفسه ليعيش. هكذا كانت الجامعة عند طه حسين، مدرسةً للتجدّد والنهضة العلمية، ومعهداً لحرية الفكر والإبداع للأساتذة والطلاب والباحثين على حدٍّ سواء[*].

(*) أحمد زكريا الشلق، طه حسين: جدل الفكر والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، ص١٩٢.





محمود محمد شاكر

كان طه حسين يرى أن الجامعة يجب أن تكون في حالة تجدّد مستمر، وأن الذين يلتمسون المحافظة، والإبقاء على القديم، يمكنهم أن يطلبوه في أيّ مكان آخر غير الجامعة

والعربية أن يعوها، وأن يعملوا بها، أو بما يستطيعون منها؛ إذ الجمع بينها الآن في هذا الزمن الصعب لتحقيقها على أرض الواقع شيء من رابع المستحيلات. أقول هذا وكاتب هذه السطور عضو هيئة تدريس في إحدى الجامعات بمصر المحروسة.

لكن، وآهٍ آهٍ مما يأتي بعد لكن هذه، كما كان يُردّدها من يسمعها من طه حسين عند مناقشته رسالةً علميةً توطئةً لنقدها، أقول: لكن نقص دعم الجامعات والمعاهد البحثية الشديد من الدولة لا يبشّر بخير؛ فإذا كانت الجامعات والمعاهد العلمية المعنية بالبحوث تعتمد أساساً في تطورها وتقدمها وإنتاجها المتجدّد على المكتبات بما تحتويه وتستقبله بصفة دائمة من الكتب والدوريات في جميع المجالات، وكذا المعامل بما يتوافر لديها من أجهزة وكيماويات وموادّ خام لإجراء البحوث والدراسات، فإن أيّ خلل في هذه الإمدادات سيؤثر سلباً في مخرجات العملية البحثية، وستتأثر سلباً رسالة الجامعة، فما بالك بتوقف هذه الإمدادات تقريبا، أو نقصها الحادّ في معظم الجامعات؟!

وثمة خلل آخر إداريّ قد لا يحتاج إلى أموال أو نفقات، لكنه يتمثّل في وضع كثير من العراقيل؛ الرسمية أو الشكلية، أمام دخول الدارسين والباحثين مكتبات الجامعات، أو معاملها، سواء للاطلاع أو إجراء البحوث العلمية، من خلال فرض رسوم قد لا تتيسّر لكثير من هؤلاء الطلاب وهم يسعون في خطواتهم الأولى خلال مشوار البحث العلمي الطويل لبناء أنفسهم علمياً، وهو ما سيعود على بلدهم في نهاية الأمر، فهل نُيسّر لهم السَّيْر في هذا المسلك الوعر، أو نُعسّر عليهم، ونزيدهم إحباطاً على إحباطاتهم الأخرى؟!. وقد كان هذا مما يُنكره ويرفضه ويأباه طه حسين.

المراجع

(١) فتحي رضوان، طه حسين وآراؤه، مقال نُشر في مجلة (الثقافة) القاهرية، العدد الثالث، ديسمبر عام ١٩٧٣م، ص٤.

(٢) محمود محمد شاكر، مجلة (الكاتب) القاهرية، عدد مارس عام ١٩٧٥م، ص٢٩.

(٣) يحيى جاد الله، مقال في صحيفة (الأهرام) القاهرية، ١٩٩٩م، ص١٠.

(٤) طه حسين، الروح الجامعي، مقال في مجلة (الهلال) القاهرية، ١٩٣٨م، ج٤، مج٤٦، ص٣٦١.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) إبراهيم بيومي مدكور، مع الخالدين، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨١م، ص١٦٦.

(٧) عبدالمنعم حسنين، طه حسين في الجامعة، مقال نُشر في مجلة (الثقافة) القاهرية، ١٩٧٣م، ع٣، ص٨٦.

سيرة بداية

في السادسة
في بداية الشموس الناعمة
تصنعك الأفجعة
تزرع لليد.. يداً
وللعين.. عيناً
وللقلب فجراً ساطعاً
وتهزم فيك
خيال الطفولة اللاهية
تطفئ جذوة البدايات الساطعة

خضبتْ بالأنين
أيامك الصاعدة
وأينعت في عمرك
تلك السنون الجاسمة

في الضحى
تجمع
أجزاء روحك
من بين نيوب
تلك الليالي الدامسة
توقظُ للصبح
صوت البلابل الشادية

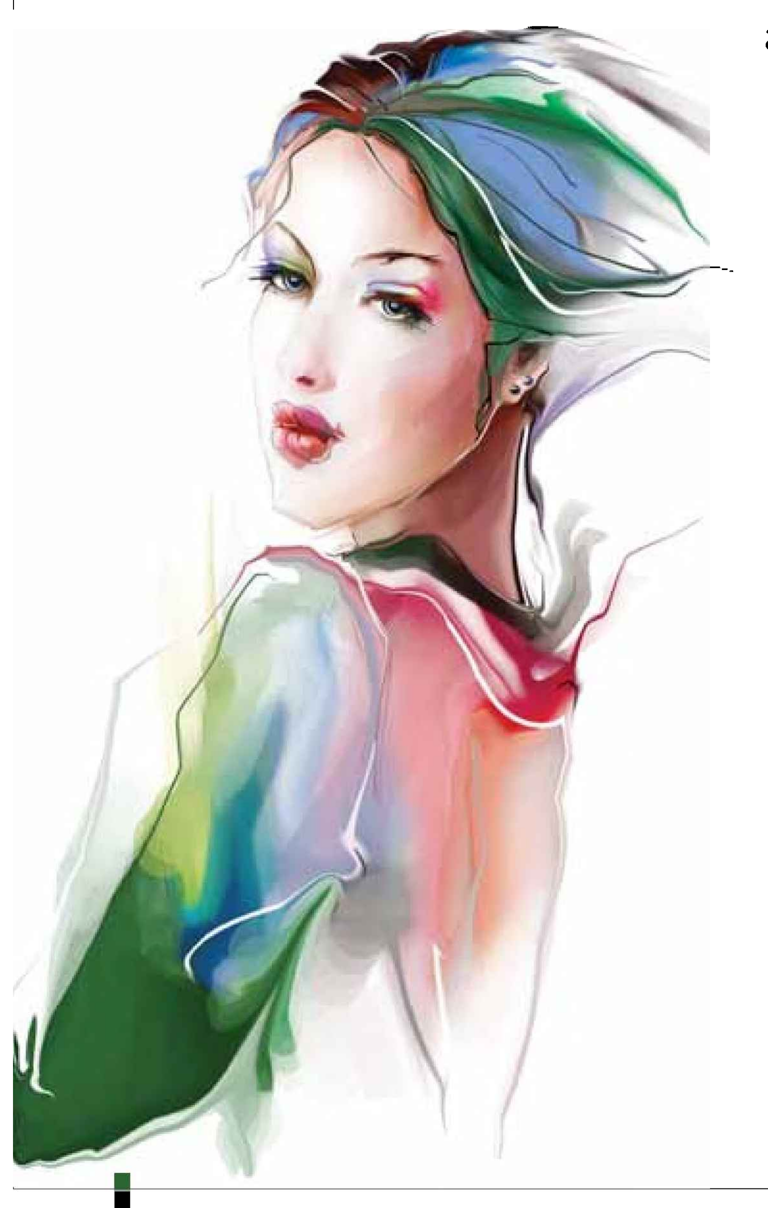
تبدأ معركتك العاصفة
القادمين من البِلى
الساكبين عيونهم
في لجة الطين الحقير الفانية

تعوي بلابلهم
في الليالي النائمة
تتساقط الأفلاك
من عيونهم
تهوي إلى قاع سحيق

وأنتَ.. أنتَ
شارب من دنياك
عصارة الألم الفظيع

جاثٍ وراء الليل
تنتظر صباحاً
لا يجيء..

وفي المساء
تدور عليهم الدائرة
فتلمع في جبينك
سيوف نصر لامعة
تمتد جيلاً
تملأ الدنيا
شموساً يانعة



الورقة المضيئة

بديلة للإنارة التقليدية

بات بالإمكان تحويل أيّ جسم في المنزل إلى مصدر للضوء بعد أن طوّر الباحثون تقنية (الورقة المضيئة) المزودة بصمامات ثنائية باعثة للضوء (LEDS). ويقول الباحثون: إن بالإمكان تطبيق هذه التقنية على الجدران، أو طباعتها على أيّ جسم؛ ليتحول إلى ضوء، مؤكدين أنه حيثما يوجد ضوء فإن تقنية الصمامات المضيئة يمكن أن تحلّ محله.

وتُصنع الورقة المضيئة بمزج الحبر والصمامات الثنائية المضيئة، وطباعتها على طبقة ناقلة للكهرباء. ويأتي حجم الصمامات في حجم كريات الدم الحمراء، ويتمّ توزيعها على الطبقة عشوائياً، وتضيء الصمامات بمجرد إطلاق تيار كهربي عليها. ويتّصل هذا الابتكار بتقنية الطباعة الثلاثية الأبعاد، وتقول شركة روهيني: إن مصدر الضوء الذي يعدّ الأقلّ سمكاً في العالم شديد المرونة، وقابل للطباعة، وتضيف: تحتاج وسائل الإضاءة المتوافرة اليوم إلى تثبيت الصمامات الثنائية المضيئة على لوحة الدائرة الكهربائية باللحام، أما الآن فقد بات بالإمكان أن تطبع الضوء على أيّ جسم. وقامت الشركة مؤخراً بعرض ورق جدران مضيء، وشعارات سيارات، وألواح تزلّج على الجليد، مضيئةً باستخدام تقنية الأوراق المضيئة. وتعتمد الفكرة على تثبيت لمبة إلكترونية LED في طيّات أيّ ورقة عادية موصلة بحجر بطارية، وعندما يقوم الشخص بطيّ الورقة على شكل أسطوانة تتّصل البطارية بالـLED بشكل كامل، فتضيء بما يشبه الكشّاف، وتختفي البطارية والـLED داخل الورقة بشكل درامي، وهو ما يثير روح الابتكار لدى الأطفال.

كولومبيا تحتفي

بأديبها جارسيا ماركيز





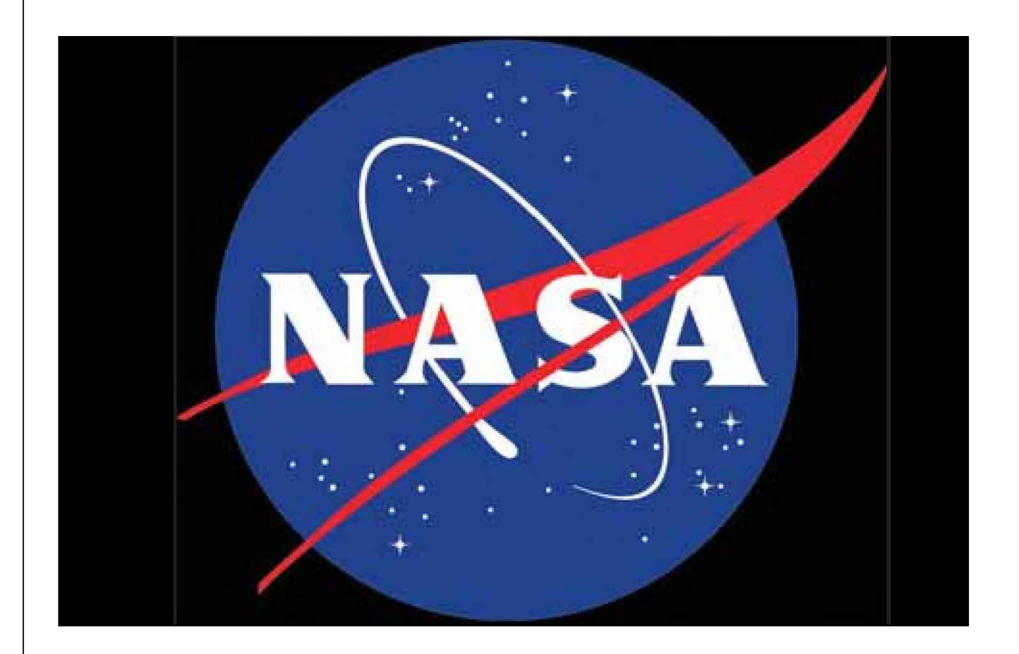
تصدر كولومبيا أوراقاً نقديةً تحمل صورة الروائي جابرييل جارسيا ماركيز، الحائز على جائزة نوبل للآداب، والمتوفّى في ١٧ إبريل عام ٢٠١٤م. وكان قانون قد صدر مؤخراً بذلك، وقال أنتونور دوران المقرّر المعنيّ بهذا القانون لوسائل الإعلام: «غابو ترك إرثاً أدبياً وصحفياً رائعاً لا بد من تعزيز نشره وقراءته ودراسته»، وأضاف: «اسمه يختزن دلالات كبيرة لحاضر كولومبيا ومستقبلها فيما يخصّ الاعتراف بثقافتها والسياحة فيها». وقد اعتمد هذا القانون بعد ثمانية أشهر من وفاة الكاتب في المكسيك، التي ظلّ يعيش فيها منذ الستينيات، وينصّ أيضاً على اعتماد خطة للحفاظ على الإرث المرتبط بماركيز، إلى جانب برنامج مِنَح لطلاب الصحافة والعلوم السينمائية. وقد تأسّفت الحكومة الكولومبية على عدم بقاء التراث الأدبي للكاتب في كولومبيا بعدما منحت عائلته أعماله مركز هاري رامسون في جامعة تكساس، الذي يضم محفوظات كتّاب مشهورين، من أمثال: الأمريكي وليام فوكنر، والأرجنتيني خوسيه لويس بورخيس، والأيرلندي جيمس جويس.

ناسا ترسل مفكاً

بالبريد الإلكتروني إلى محطة الفضاء الدولية

لجأ رجال الفضاء في المحطة الفضائية الدولية إلى استخدام طابعتهم الثلاثية الأبعاد لتصميم مفتاح براغي من الإرشادات التي أُرسلت إليهم عبر البريد الإلكتروني. وتعدُّ هذه أول مرة يجري فيها إرسال أدوات عبر البريد الإلكتروني إلى الفضاء.

وكان باري ويلمور –قائد المحطة الفضائية الدولية– قد بعث إلى وكالة الفضاء الأمريكية ناسا طالباً تصميم مفتاح مسنّن يُستخدم في ربط البراغي ذات الرأس المجوّف. وعندما كان روّاد الفضاء في السابق يطلبون أداةً معينةً من الأدوات التي يحتاجون إليها كان من الممكن لهم أن ينتظروا شهوراً إلى أن يجري إرسالها إليهم في رحلات الإمدادات المقبلة. وقال مايك تشين؛ مؤسس شركة (صُنع في الفضاء) صاحبة الطابعة الثلاثية الأبعاد: «سمعنا باري ويلمور –قائد المحطة– عبر الراديو يقول: إنه في حاجة إلى تلك الأداة؛ لذا فقد صمّمنا له واحدةً من خلال برامج التصميم بمساعدة الكمبيوتر، وأرسلناها إليه أسرع من أيّ صاروخ يمكنه توصيل تلك الأداة». وكان ويلمور قد ثبّت الطابعة على متن المحطة الدولية في السابع عشر من نوفمبر ٢٠١٤م، وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه، نجح في تصميم أول أداة تنتجها الطابعة، وهي قطعة غيار في الطابعة نفسها. وتتطلع ناسا إلى أن تساعد هذه الإمكانية الجديدة رواد الفضاء على الاعتماد على أنفسهم بشكل أكبر في المستقبل في المهامّ التي ستستغرق وقتاً طويلا في الفضاء.



تزايد الرقابة الحكومية

يحدُّ من الحرية في الإنترنت



نشرت منظمة الشبكة العالمية تقريراً يبيّن أن الحرية عبر الإنترنت في تراجع، وأن عدم المساواة يتزايد. وأوضح التقرير السنوي أن الرقابة الحكومية على المستخدمين في تزايد، كما أن القوانين التي تحظر التطفل على الآخرين ضعيفة أو لا وجود لها في ٨٤٪ من الدول.

وطالب السير تيم بيرنرز –مبتكر شبكة الإنترنت– بأن تكون حرية استخدام الإنترنت أحد حقوق الإنسان، وقال: «هذا يعني ضمان وصول سهل المنال (للإنترنت) إلى الجميع، وضمان وصول محتويات الإنترنت من دون تمييز تجاري أو سياسي، وحماية خصوصية مستخدمي الشبكة وحريتهم بغضّ النظر عن موقع إقامتهم».

وأجرت المنظمة التي يقودها بيرنرز قياساً لمدى إسهام الإنترنت في التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في ٨٦ دولة. واحتلت دول إسكندنافية أربعةً من بين المراكز الخمسة الأولى؛ فقد جاءت الدنمارك في الصدارة، تليها فنلندا، ثم النرويج، وجاءت بريطانيا في المركز الرابع قبل السويد.

وأشارت آن جيلما –الرئيس التنفيذي لمنظمة الشبكة العالمية– إلى أن «الأشخاص الأكثر ثراءً، والأفضل تعليماً، هم الأكثر استفادةً من الثورة الرقمية»، وأضافت: «تمّ تحديد التفاوت بين الأغنياء والفقراء على أنه بحقّ التحدي المفصلي لعصرنا، ونحن بحاجة إلى استخدام التكنولوجيا لمحاربة انعدام المساواة».



المخرجة السعودية عهد كامل:

مجتمعنا يتغيّر

تمكّن سيناريو فلم (سمكة الرمال) للمخرجة السعودية عهد كامل من الوصول إلى القائمة النهائية والترشّح لنيل جائزة (آي دبليو سي للمخرجين)، التابعة لدار الساعات السويسرية (أي دبليو سي شافهاوزن) و(مهرجان دبي السينمائي)، وقيمتها مئة ألف دولار، مع سيناريو (صاير الجنة) للمخرج الإماراتي سعيد سالمين المري، وسيناريو (الماي) للمخرج الكويتي عبدالله بوشهري، وذلك خلال الدورة الحادية عشرة من مهرجان دبي السينمائي الدولي.

حصلت كامل على بكالوريوس الفنون الجميلة في مجال التحريك والعلاقات العامة من كلية بارسونز للتصميم، ودرجة الإخراج من أكاديمية نيويورك للأفلام، وحصدت جائزة (جولدن بير) بوصفها أفضل ممثّلة عن أول دور بطولة لها في مهرجان سان فرانسيسكو السينمائي الدولي، إلى جانب أدوار تمثيلية كثيرة، منها الدور الذي جسّدته في الفلم السعودي (وجدة). وترشّح ثاني أعمالها الإخراجية (حرمة) من إخراجها لجائزة الدب الذهبي للأفلام القصيرة في مهرجان برلين السينمائي، ونالت جائزة (ألف) الذهبية في مهرجان بيروت السينمائي الدولي. ويأتي فلم (سمكة الرمال) بعد (حرمة) و(القندرجي)، إلى جانب مشاركتها في فلم (وجدة) لهيفاء المنصور. ويسلّط فلم (سمكة الرمال) الضوء على حقبتي الخمسينيات والستينيات في جبال دولة الإمارات العربية المتحدة حيث تدور أحداث الرواية حول نورا، وهي فتاة يتيمة تترك بيتها وأهلها القاطنين في الجبل لتتزوج من تاجر لؤلؤ كبير في السن، وتكون له زوجةً ثالثةً؛ لتعيش مرحلةً قاسيةً لم تكسرها، وإنما زادتها قوةً.

وقالت كامل لـCNN بالعربية: «القصة مهمة جداً بالنسبة إليّ، خصوصاً أنها تلمسني من ناحية شخصية؛ لأني يتيمة»، مضيفةً أن «المرأة في تلك المدة لم يكن معروفاً عنها الكثير، وهو ما يفتح نافذةً على حياة المرأة الخليجية التي طالما صُوِّرت على أنها مضطهدة، وهو ما يشكّل جزءاً من الصورة، ولا يظهر الجزء الثاني من شخصية المرأة التي لديها قدرة التحمّل». ورداً على سؤال حول التحديات التي تواجهها بوصفها مخرجةً سعوديةً، أوضحت كامل أن لديها دعماً كبيراً من أهلها وأصحابها في مدينة جدة السعودية، مضيفةً: «أؤمن بأني فنانة، وكوني سعوديةً لا يقف في طريقي»، ومؤكدةً أن «الفكر السائد تجاه المرأة في السعودية بدأ يتغيّر، والمجتمع يتقبّل فكرة وجود مخرجة سعودية».

وأشارت كامل إلى أن «مجتمعاتنا تزخر بالقصص الشفهية، لكن يجب أن نتمكّن من التحول من الشفهي إلى المرئي»، موضحةً أن «موضوع المرأة مهم جداً، خصوصاً ضرورة تصويرها بصورة كاملة، وليس فقط أنها مضطهدة». أما عن رأيها في وضع المرأة في السعودية، فقالت كامل: «وضع المرأة في السعودية ليس رائعاً، لكنه سيتغيّر»، موضحةً أن «إنجازات النساء السعوديات في المدة الأخيرة تعدّ مهمةً، وسننظر إليها بعد عشر سنوات نظرةً مختلفةً».

نيويورك تايمز:

دور سي آي إيه محدود في قتل ابن لادن

أوضح تقرير لجنة الاستخبارات الأمريكية في مجلس الشيوخ أن وسائل التعذيب التي كانت تتبعها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية سي آي إيه لم تؤدِّ إلى اعتقال أسامة بن لادن -زعيم تنظيم القاعدة السابق- على عكس زعم الوكالة في وقت سابق.

وجاء التقرير في أكثر من ستة آلاف صفحة عن برامج الاستجواب والترحيل غير العادي التي كانت تستخدمها سي آي إيه عقب هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م إلى أن أوقفه الرئيس باراك أوباما عام ٢٠٠٩م، وكشف التقرير عن قيام الوكالة بأعمال تعذيب ممنهج للمعتقلين، وتضليل البيت الأبيض والكونجرس حيال المعلومات التي حصلت عليها. وقالت نيويورك تايمز في تقرير لها: إن ابن لادن عُثر عليه بالتعاون مع مصادر ليس لها علاقة بالمخابرات الأمريكية، ولا تعتمد على نظام الاستجواب عن طريق التعذيب، أو الاعتماد على الطرائق الوحشية مثلما ورد في التقرير. وأكد مجلس الشيوخ أن كلّ العلاقات بين الوثائق والمستندات التي حصلت عليها المخابرات الأمريكية في أثناء استجواب الشهود للحصول على معلومات عن مكان ابن لادن غير دقيقة، وليس لها أيّ أساس من الصحة. وقالت الصحيفة: إن لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ أكّدت أن المخابرات أدّت دوراً بسيطاً لا يُذكر في البرنامج الذي اتّبعته الإدارة الأمريكية من أجل العثور على مكان ابن لادن.

وكانت الإدارة الأمريكية قد استطاعت التوصّل إلى ابن لادن عن طريق كشف هوية الجهادي الإسلامي أبي أحمد الكويتي بعد اقتفاء أثره، وهو ما ساعد على توصّلها إلى ابن لادن، وقتل الاثنين معاً.

«تمبكتو»..

فلم إفريقي ينافس في الأوسكار

(تمبكتو) فلم يروي اجتياح مسلّحين إسلاميين متشددين هذه المدينة التاريخية في مالي، وهو من إخراج الموريتاني عبدالرحمن سيساكو، الذي عبّر عن اعتزازه بكون فلمه أول فلم موريتاني يُرشَّح لجائزة أوسكار لأفضل فلم أجنبي.

وقال سيساكو على هامش مهرجان بالم سبرينجز السينمائي في كاليفورنيا: إن الفوز بجائزة أوسكار «سيكون قبل كلّ شيء انتصاراً لإفريقية»، مضيفاً أن مجرد اختياره في القائمة القصيرة للأفلام المرشحة هو أمر نادر لفلم إفريقي. والفلم إنتاج فرنسي موريتاني رُشِّح ضمن تسعة أفلام لجائزة أوسكار أفضل فلم أجنبي من أصل ٨٣ فلماً تقدّمت إلى المنافسة. ومن الأفلام التسعة المرشحة: (ليفاييثن) من روسيا، و(إيدا) من بولندا، وسيجري اختيار خمسة منها لتكون في القائمة النهائية للأفلام المرشحة. وتوسّعت شعبية هذا الفلم نتيجة الأعمال الدموية التي يقوم بها تنظيم (الدولة الاسلامية) في كلّ من سورية والعراق في ظلّ تركيز كبير من الإعلام الغربي فيها.

ويقول سيساكو، البالغ من العمر ٥٣ عاماً: «منذ العرض الأول في (كان) كان هناك تضامن واسع مع الضحايا الأوربيين والأمريكيين» مع انتشار المقاطع المصوّرة التي تظهر عمليات إعدام ينفّذها التنظيم، ويبثّها على الإنترنت؛ لتتداولها وسائل الإعلام. ويضيف: «لكن تنظيم الدولة الإسلامية لم يبدأ جرائمه بقطع رؤوس الأمريكيين، بل كانت هناك قبل ذلك عمليات إعدام جماعية واغتصابات يومية» في حقّ السكان المحليين بعيداً من عدسات الكاميرات. ويتناول الفلم قضية التشدّد الديني، ويروي قصة صراع سكان مدينة تمبكتو في مالي مع إسلاميين متشدّدين سيطروا عليها، وفرضوا فيها فهمهم المتطرف للشريعة الإسلامية بإجبار النساء على ارتداء النقاب، وفرض الزواج القسري على القاصرات، وتحريم الموسيقا والتدخين وكرة القدم. وقصة هذا الفلم مأخوذة من أحداث شهدتها البلاد فعلا؛ فقد سيطر (تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي)، وتنظيم (أنصار الدين)، على تمبكتو مدة عام كامل قبل أن تخرجهم منها عملية عسكرية فرنسية واسعة مطلع عام ٢٠١٣م.



جوجل تعد بتطوير نظارتها الذكية



أوقفت شركة جوجل بيع نظاراتها الذكية قائلةً: إنها ملتزمة تطوير المنتج، وإن المشروع لم يمت، وإنها لم تتنازل عن فكرة إنتاج النظارة الذكية، ولو بمواصفات مختلفة عن الحالية. وسيتولى العمل على النظارات الذكية قسم مختلف من أقسام الشركة.

وكانت النظارة الذكية قد حظيت بدعم من سيرغي برين؛ أحد مؤسسي جوجل، الذي ترأس حفلة إطلاق النظارة، وقفز عدد من محترفي (القفز الحر) الذين كانوا يرتدونها من طائرة، وسجلت النظارة ما كانوا يرون، وجرى بثّه إلى مؤتمر في سان فرانسيسكو.

وكان المستخدمون الأوائل للنظارة قد استمتعوا بمشاهدة معلومات على شاشة فوق عينهم اليمنى مباشرة، كذلك أثارتهم إمكانية أخذ الصور، وتسجيل الفيديو بشكل فوري، إلى جانب الحصول على توجيهات. وقال المدون التكنولوجي روبرت سكوب: إنه لا يستطيع أن يتصور حياته من دون النظارة، مع أنه سبق أن اشتكى من أنها لا تتطور بالشكل المتوقع.



قير ديوني..
اللاجئ الذي أصبح نجماً سينمائياً

طفل من أطفال الحرب في إفريقية، هرب من الأهوال قبل نحو عقدين؛ ليعود اليوم إلى القارة السمراء نجماً سينمائياً بغية علاج والدته المريضة.

قير ديوني حمل السلاح قبل ١٨ عاماً، لكنه وصل نيروبي اليوم متحدثاً عن الفلم السينمائي الذي شارك فيه، وكانت قصته محورها. عرضت دور السينما العالمية فلم (الكذبة المتقنة The good lie) في يونيو ٢٠١٤م، وهو يروي قصة أطفال عايشوا فظاعة الحرب في السودان، وهاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر الفلم في بعض دور العرض إلى مطلع يناير عام ٢٠١٥م. الفلم بطولة أحد الذين عايشوا هذه الحرب، وذاقوا أهوالها، وهو قير ديوني الذي أصبح نجماً سينمائياً. وأخرج الفلم المخرج الكندي فيليب فالارديو، الذي زار معسكر كاكوما شرق كينيا للاجئين من جنوب السودان قبل أكثر من عشر سنوات، وكتبت السيناريو مارجريت ناجل.

تبدأ قصة الفلم من قرية في نواحي بحر الغزال حيث تحلق طائرات الأنتونوف التابعة للجيش الحكومي السوداني فوق سماء قرية صغيرة حينما كان قيراماهيا فتى صغيراً يلعب مع إخوته وأصدقائه، فقصفت الطائرات القرية، ونزل الجنود براً يطاردون أهلها؛ ليهرب الفتى الصغير وينجو مع رفقائه: بول، وأبيتال، وماميري، بعد مقتل أسرته وعدد كبير من الأهالي. اتّجه الأطفال إلى إثيوبيا، وفي الطريق وقع أخوهم الأكبر في أسر القوات الحكومية، كما اندلعت مطلع التسعينيات الحرب الإثيوبية التي اضطرت اللاجئين إلى تحويل المسار إلى كينيا. قضى الأطفال عدة سنوات في معسكر كاكوما للاجئين في كينيا قبل أن ينتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تستقبلهم كيري، التي جسّدت دورها نجمة هوليوود ريز ويذرسبون، لمساعدتهم على إيجاد عائلة تتبنّاهم، وإيجاد وظائف لهم؛ من أجل إدماجهم في الحياة الأمريكية.

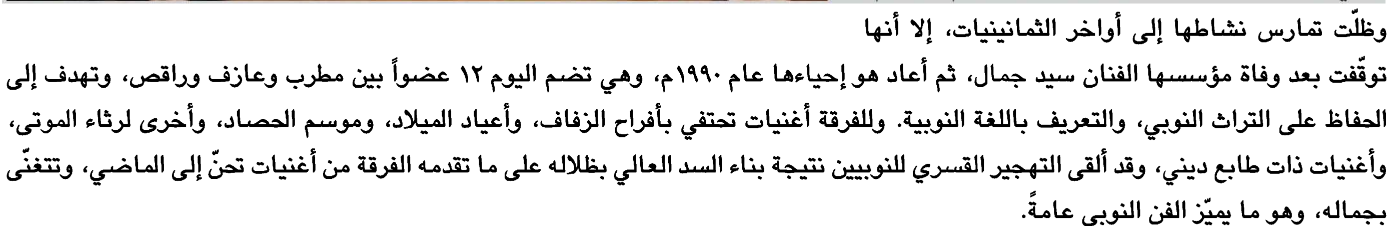
التقت (الجزيرة نت) قير ديوني -أحد الممثّلين الرئيسين في فلم (الكذبة المتقنة)- وحينما بدأ يسرد قصته الحقيقية كانت الأحداث تتطابق تطابقاً كاملاً مع قصة الفلم. عاش ديوني طفولته متأثراً بأوضاع الحرب في السودان، وحينما هرب إلى إثيوبيا؛ ظناً منه أنها مكان آمن، اندلعت الحرب الإثيوبية، فعاد إلى السودان عام ١٩٩٢م، وهو في عمر ١٦ عاماً؛ ليكتشف انشقاق حركة الثوار الجنوبيين، ويضطر إلى حمل السلاح بوصفه واحداً من الأطفال المجندين وقتها، إلى أن قرّر بعد عامين الهرب من الحرب إلى كينيا حيث كان معسكر داداب نقطة انطلاقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ضمن برنامج الأمم المتحدة لإعادة التوطين. والآن يعود ديوني إلى نيروبي للإشراف على علاج والدته التي رآها أول مرة عام ٢٠١١م بعد ١٨ عاماً من الفراق. وحينما شرع المنتجون في هوليود بالبحث عن ممثلين لأدوار ثانوية لمهاجرين من دول تعيش أوضاع الحرب كان ديوني أحد المرشحين الرئيسين؛ إذ انتقل إلى نيويورك وأصبح عارض أزياء. وفي عام ٢٠٠٣م بدأ مشواره مع ديفيد روسيل مخرج فلم (آي هيرت هاكبيسI Heart Hukabees) ومنتجه، وكان هذا أول فلم يشارك فيه.

«نوبانور»..

الحنين إلى الأرض

قدّمت فرقة (نوبانور) ليلةً نوبيةً فنيةً خالصةً على مسرح الضمة في منطقة عابدين بوسط العاصمة المصرية القاهرة بآلات موسيقية مصنوعة من جلد الماعز والخشب والصاج.

تفاعل الجمهور مع عرض الفرقة، الذي اشتمل على أغانٍ من التراث النوبي، مع أن كثيراً منهم لا يعرف اللغة النوبية، ومع ذلك انسجموا مع الحركات الإيقاعية الراقصة التي أدتها الفرقة. وأوضح أسامة بكري –مدير الفرقة– أن الفرقة تأسّست عام ١٩٦٨م،



وظلّت تمارس نشاطها إلى أواخر الثمانينيات، إلا أنها توقّفت بعد وفاة مؤسسها الفنان سيد جمال، ثم أعاد هو إحياءها عام ١٩٩٠م، وهي تضم اليوم ١٢ عضواً بين مطرب وعازف وراقص، وتهدف إلى الحفاظ على التراث النوبي، والتعريف باللغة النوبية. وللفرقة أغنيات تحتفي بأفراح الزفاف، وأعياد الميلاد، وموسم الحصاد، وأخرى لرثاء الموتى، وأغنيات ذات طابع ديني، وقد ألقى التهجير القسري للنوبيين نتيجة بناء السد العالي بظلاله على ما تقدمه الفرقة من أغنيات تحنّ إلى الماضي، وتتغنّى بجماله، وهو ما يميّز الفن النوبي عامةً.

فلاتر «إنستجرام»..

ثورة جديدة



أطلقت شبكة إنستجرام مجموعةً جديدةً من المرشحات (فلاتر)؛ لإعطاء مزيد من الخصائص لصور مشتركيها قبل نشرها. وقالت الشبكة على مدونتها الرسمية: إضافةً إلى هذه الفلاتر فقد أدخلت مجموعة جديدة من الخصائص لتشكل ثورةً في طبيعة الصور التي يبلغ عددها مع الفيديوهات نحو ٧٠ مليوناً يومياً، ويتشاركها أكثر من ٣٠٠ مليون شخص في العالم، منذ إنشاء الشبكة الاجتماعية المتخصصة بالصور والتعليقات الخفيفة عام ٢٠١٠م.

أُعدت الفلاتر والخصائص الجديدة لتطبيق إنستجرام على نظامي: ISO (الإصدار ٦،٤) وأندرويد (الإصدار ٦،١٢)، ويمكن لأيّ مستخدم التحكم في ترتيب الفلاتر حسب اهتمامه وحاجته عبر خاصية إدارة المحتوى؛ ليكون بإمكانه الوصول بسهولة إلى تلك التي يستخدمها باستمرار. وتظهر الفلاتر الجديدة أولا في مقدمة واجهة خصائص علاج الصور، وهي تمكّن المشتركين من الحصول على صور عالية الجودة بخصوصية كبرى عبر التحكم في الألوان ومقاييسها، وتخفيف حدة الإضاءة، وانعكاسات اللقطات. وفي الشكل الجديد لإنستجرام أصبح من المتاح ظهور صورة صغيرة فوق كلّ الفلاتر؛ ليتمكّن المستخدم من معرفة التغييرات والإضافات التي ستوفّرها الفلاتر، ثم اختيارها أو تجاوزها.



نيويورك تايمز
تنشر نصّ اعترافات محقّق في سجن أبي غريب



نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية مقالا للمحقّق السابق في سجن أبي غريب إيريك فير، هذا نصّه حسب موقع ٢٤ الإلكتروني: «قضيتُ هذا الفصل الدراسي أقوم بتدريس الكتابة الإبداعية في جامعة ليهاي، ومن قبل ذلك كنتُ جندياً، وضابط شرطة، ومحقّقاً، فكان قول الطلبة لي: يا أستاذ، غير إيقاعي. لكن عنوان المساق نفسه، وهو (كتابة الحرب)، حال دون أن أنأى بنفسي عن الذكريات التي ظلّت تستولي على حياتي طوال العقد الماضي. وإنني لأشكر لجامعة ليهاي أن أتاحت لي فرصة تدريس هذا المساق، فوضع جندي سابق في هذا الفصل الدراسي هو على وجه التحديد ما يحتاج هذا البلد إلى القيام به من أجل التعامل الجمعي مع ما فعلته السنوات الثلاث عشرة الماضية، لكن تدريس الحرب في هذا الفصل ظلّ يذكّرني كلّ يوم بأنني لستُ أستاذاً جامعياً؛ إذ كنت مسؤولا عن الاستجوابات في أبي غريب، ومارست التعذيب. وأبو غريب يسيطر على كلّ دقيقة في كلّ يوم من أيام حياتي، في مطلع عام ٢٠٠٤م كان العمال داخل سجن أبي غريب يدهنون جداريات صدام حسين بطلاء أصفر، وحدث بالمصادفة أن استندت إلى أحد الجدران، ولا أزال ألبس السترة الصوفية ذات البقعة الباهتة، ولا أزال أشم الطلاء، ولا أزال أسمع الأصوات، ولا أزال أرى الرجال الذي كنّا نسمّيهم المعتقلين. قرأ طلابي في ليهاي الشهر الماضي (الأشياء التي كانوا يحملونها) لتوم أوبرين، وتكلّمت معهم في أثناء الفصل الدراسي عن الأشياء التي كان يحملها الجنود الأمريكيون في العراق، وجئت إليهم بعلبة سيجار فيها الحلي الصغيرة والتذكارات التي اشتريتها من الباعة العراقيين في مطار بغداد الدولي، وأتيتُ إليهم أيضاً بالسترة الصوفية السوداء. حين طلبتُ منهم أن يعرضوا ذكرياتهم عما حدث في عام ٢٠٠٤م من نشر صور أبي غريب التي كشفت عما كان يتعرّض له المعتقلون من انتهاكات تفادى أغلبهم أن تتلاقى أعيننا، وبعضهم أطرق لكيلا يلتزم أمامي بشيء، بينما كان بينهم الأكثر صراحةً فتثاءبوا. كان ذلك لقائي الأول بجيل لا يرى نشر صور أبي غريب لحظةً حاسمةً من لحظات حياته، ولست أخطّئهم؛ إذ كانوا تلاميذ في المدرسة في ذلك الوقت، والأمر بالنسبة إليهم بات من أمور كتب التاريخ، أمر مما يتكلم فيه آباؤهم إجابةً عن سؤال في الامتحان. وبينما كنت أنظر إلى وجوههم الخاوية أدركتُ أن بوسعي أن أسمح لنفسي بالارتياح؛ فأبو غريب سيطويه النسيان. انتهاكاتي أنا سيطويها النسيان، لكن ذلك لن يحدث إلا لو سمحت له بالحدوث. لقد نشرتُ مقالات في الصحف تعرض لتفاصيل انتهاكنا المعتقلين العراقيين، وأجريت حوارات تلفازية،

وتكلمت إلى جماعات من منظمة العفو الدولية، واعترفت بكل شيء أمام رجل قانون في وزارة العدل، وأمام محققين من المفوضية العسكرية للتحقيقات، قلتُ كلّ ما يمكن قوله، وليس صعباً التظاهر بأن أفضل شيء الآن هو أن أترك الأمر برمّته وراء ظهري. وقفتُ أمام الطلبة في ذلك اليوم وثمة إغراء قويّ بأن ادّعاء اللامبالاة يهوّن من حقائق التاريخ الأليمة، لم يعُد لزاماً عليّ أن أؤدي دور المحقق السابق في سجن أبي غريب؛ إذ كنت أستاذاً في جامعة ليهاي، له أن يصحّح الأوراق، وينطق بالعبارات الذكية، وبوسع ابني أن يستقلّ الحافلة إلى المدرسة، ويكلّم أصحابه في المدرسة عن أبيه، وعن مهنة أبيه، لقد كنتُ شخصاً يمكن الفخر به. لكنني لست كذلك؛ إذ كنت فيما مضى محققاً في سجن أبي غريب، ومارست التعذيب. وفي نهاية المطاف شجّعت الطلبة على تعقّب صور أبي غريب، وتسجيل ردود أفعالهم في مقالات إبداعية، وقضينا الوقت في كلام عن الانتهاكات التي وقعت، بل كشفت لهم عن بعض كتاباتي، وظلّوا يقولون لي: يا أستاذ، لكنني بدأتُ أشكّ في أنهم ما عادوا يرونني كذلك. واليوم أصدر مجلس الشيوخ تقريره عن التعذيب، وفوجئ كثير من الناس بما فيه: حكايات عن الإيهام بالتعرّض للغرق تفوق كلّ ما سبق الكلام عنه من قبل، وحرمان لمدة أسبوع من النوم، وإجراء رهيب ومهين يُعرف بـ(الترطيب الشرجي). أنا لم أفاجأ، وأؤكد لكم أن هناك المزيد، وأن ثمة الكثير مما خفّفت اللغة من وقعه. لم يقرأ أغلب الأمريكيين التقرير، ولن يقرأه أغلبهم، لكنه يبقى سبباً دائماً لتذكيرنا بما كان عليه بلدنا في يوم من الأيام. وسيأتي إلى الجامعة في المستقبل أستاذة تطالب طلبتها بالقراءة عن أشياء فعلها هذا البلد في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، وستفرض عليهم أجزاء من تقرير مجلس الشيوخ عن التعذيب، وسترى في عيونهم نظرات بليدة، وعلى وجوههم تعبيرات خاوية، وستكون هناك مقالات وواجبات، ثم سيعرف الطلبة أن هذا البلد لم يكن دائماً شيئاً يمكن الفخر به».



المفكر البلغاري تودوروف:
ديمقراطية أوربا في خطر

حذّر المفكر البلغاري تزفيتان تودوروف من أن الديمقراطية الأوربية في خطر، وأن القيم الأوربية لم تعُد موجودةً، وذلك في مؤتمر بعنوان: (إسبانيا الممكنة)، ناقش أزمات أوربا الحالية، ونشرته صحيفة الكولتورال الإسبانية. وأضاف تودوروف: بعد سقوط سور برلين بزغت أيديولوجيات جديدة؛ مثل: النيوليبرالية، والمحافظة الجديدة، حكمت أوربا والعالم، وأضعفت أسس الديمقراطية، التي تقوم على المساواة، والإخاء، والحرية، موضحاً أن الديمقراطية تقوم على سيادة الشعب والحرية الفردية، أما الدول الشمولية فتدعم تضخم ما هو جماعي لإخضاع الفرد. وأكد أن أوربا اليوم تتوسّع فيما يخصّ الجماعة بوصفها ثمرةً لما هو اقتصادي، والعقيدة النيوليبرالية التي تحكمنا تتملك سلطات أكبر من السلطات السياسية، وتحمي سلطة النُّخب، وبهذه الطريقة تضعف المجتمع، مشيراً إلى أن العولمة -إحدى أذرع هذا النظام- تجعل الاقتصاديات غير خاضعة لسلطة الدول، بل العكس تماماً: المال لا حدود له، ولا سيطرة عليه. وأكد المثقف البلغاري أنه -مع معرفته بتشخيص المرض الأول للغرب- إلا أنه يجهل الحلول، مضيفاً أن أوربا ينبغي عليها أن تستردّ سيادتها بتحسين بنيتها، والاستقلال عن الولايات المتحدة الأمريكية؛ فبعد الحرب العالمية الثانية تبنّت الدول الأوربية سياسة الاحتماء بالجيش الأمريكي، وكان ثمن الأمن التنازل عن الاستقلال.

ويطرح تودوروف حلا يتمثّل في أن تؤسّس أوربا هيمنةً عسكريةً هادئةً مع قدرتها على التدخّل، لكن من دون الشروع في حرب؛ لأن الحرب اليوم موجّهة فقط لتصدير أيديولوجيا النيوليبرالية، التي تصطدم بمبادئ الليبرالية الكلاسيكية، وأحد أهم أهدافها التوازن. ويقف تودوروف ضد العداء الشديد للإسلام، الذي يريد الدفاع عن خصوصياته الثقافية، رافضاً فكرة الصدام، مفضّلا روح التواصل.

بدأ تودوروف ناقداً أدبياً، وكان من المؤسّسين الأوائل لتيار الشكلانية، الذي تخلّى عنه في السنوات الأخيرة بعد أن قدّم لنفسه نقداً صارماً في كتابه الشهير (الأدب في خطر)، ثم انتهى مفكّراً إنسانياً مع مطلع التسعينيات عندما شرع في تأليف سلسلة من الكتب التي تعيد النظر في المنظومة الثقافية الغربية؛ فانخرط في مساءلة الفكر الغربي، وأسّس لفكر جديد (خارج عن قيود العقائدية الفكرية)، الموجودة عند أنصار اليمين الجديد في فرنسا وأمريكا.

إباء عاشق

لا زلتِ أنتِ وإنما
قلبي الأبيُّ على وجلْ
أحلامه تَسعُ الفضا
وعَلتْ شوامخُه زحلْ
إني مللتُ بوادرَ اللقيا
فغايتُها البكاءُ على طللْ
قلبي تَعِبْ
ودمي هربْ
والوجهُ عذراً قد يواريه الخجلْ
حطَّمتُ أشياءً
وخاصمتُ المسا
والبدرُ عن ليلي رحلْ
قالوا: عزاؤك
أن هذا المرَّ
معقودٌ على أوجاعه الثكلى عسلْ
قالوا: انتظرْ
فالحبُّ آتٍ
والسفائنُ لم تزلْ
تمضي وأنفُ الريحِ مكسورٌ
وحتى رهبةُ الشلاّلِ يمحوها الأملْ
إنْ شئتَ فارفعْ للهوى رأساً
ودارِ دمعَك الجاري
تُزمزِمُه المُقلْ
ما كنتَ صديقاً لتهوى
ما كنتَ قدّيساً لتنأى
إنما أنت المسافرُ
في سفين العمرِ يرميك الأجلْ
الآن أشعرُ باحتقانٍ في شعوري
باندلاع النار تأكلُ في ضلوعي
خبِّروني ما العملْ؟
فأنا تمرّ بداخلي
وتموجُ أحلامٌ دفينة
وكرامتي
ذُبحت على أعتابِ حُلم قد رحلْ
خبِّروني ما العملْ؟
الآن يملؤني الفخارُ
بأنني قد همتُ في بحري أنا
وأقمتُ تمثالاً لقلبي ها هنا
وتركتُ للعشاقِ بيتَ العنكبوتِ من الأزلْ
الليلُ ولَّى..
والخيامُ على مراميها شجا
حتى غبارُ الأمسِ في حلقي
يخالطه المرارْ
وتغيب في ثوب الحدادِ مشاعري
وعلى الجفونِ الذابلاتِ
الآن كم يبدو انكسارْ
ما ضرَّني ......
لو عشتُ في الدنيا بأحلامِ الطفولة
في الهوى أحبو كما يحبو الصغارْ
ما ضرَّني ......
لو عشتُ أيامي سدًى
وتركتُ أحلامي على شطِّ الخيالْ
وسبحتُ في ليلِ الحقيقةِ والنهارْ
أواه ......
كم عَبرتْ على خدّي مساراتُ الدموعْ
وتَنَهُّدِي مثلَ النساءِ

على ترانيمِ الرجوعْ
الآن يعرفني الإباءُ
وخاصمَ الدمعُ المسارْ
واليومَ صوتٌ داخلي
تأتي له الهمساتُ طوعا
لا تنهزمْ
ودعِ التَّكلُّمَ
إنما قمْ وانفجرْ
اللهُ أكبرُ كلما شَطَّ المدارْ
أنا عاشقٌ
والآن يملؤني الفخارْ
أنا شامخٌ
بالعزمِ أتَّخذُ القرارْ
اللهُ أكبرُ يا فتى
قد زلزلَ القلبَ انفجارْ
ا ن ف ج ا ر



نعمان عبدالرزاق السامرائي | السعودية



من بقايا الأندلس في البرازيل

حين هاجر الأوربيون إلى أمريكا وجدوا قارةً واسعةً بحاجة إلى العمل وإصلاح الأرض، فتوجّهوا إلى إفريقية من أجل أخذ ما يتيسّر، ونقلهم إلى القارة الجديدة. في البداية كان عدد المهاجرين في أوربا لا يزيد على ثلاثة ملايين، ووصل عدد الأفارقة إلى عشرة ملايين، وكانت العنصرية في أوجها؛ لذا عُومل الأفارقة أسوأ معاملة في تاريخ العالم، وقد أجاد ألكس هالي عندما كتب (الجذور)؛ ليحكي للعالم تلك المعاناة، لكن أمريكا حاربت هذا العمل، خصوصاً عندما تحوّل إلى فلم تلفازي.

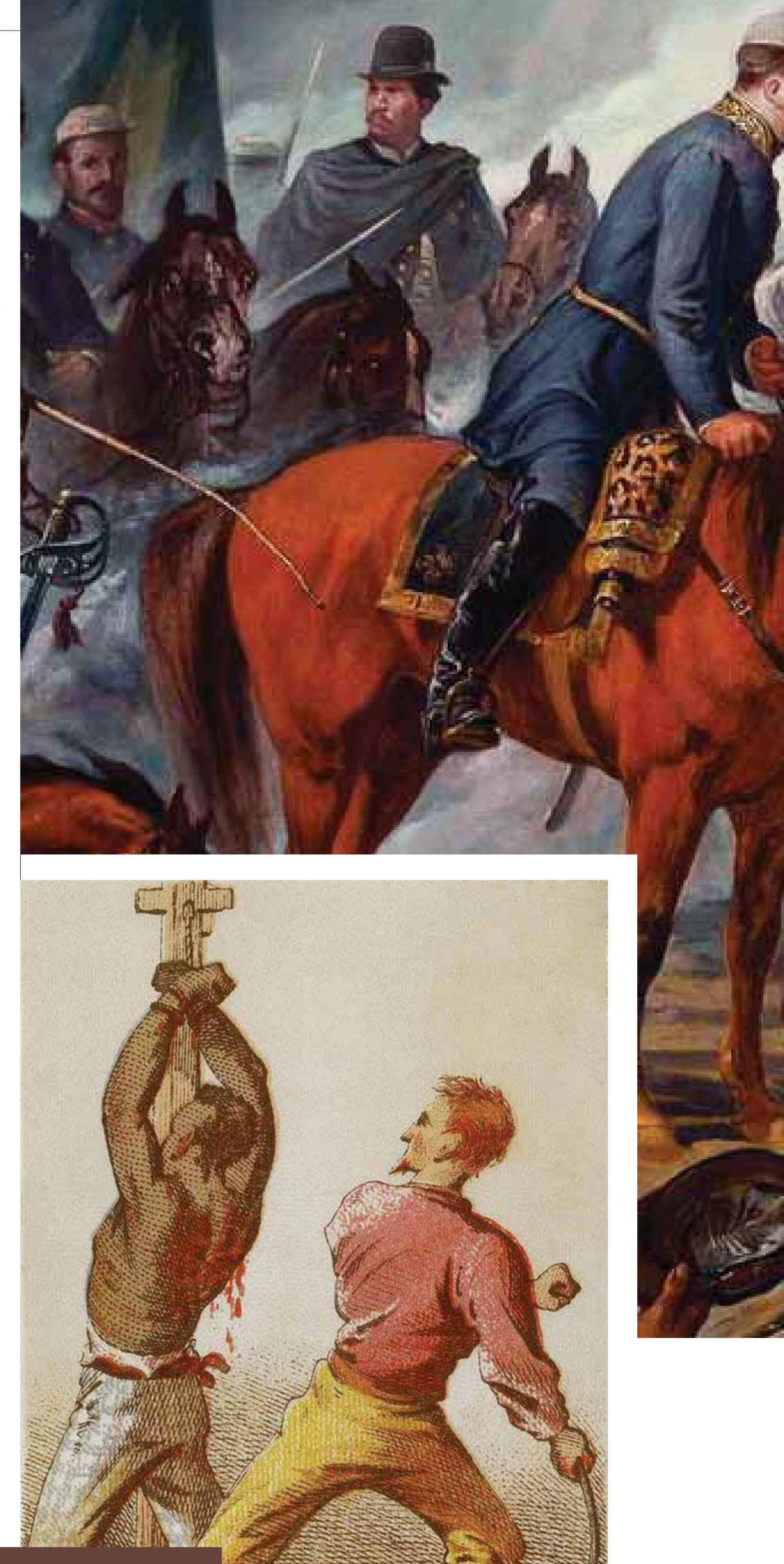
كان الأفارقة يُجمعون، وبينهم كثير من المسلمين، ثم يُشحنون في سفن معدة لنقل البضائع، ويُربطون بسلاسل من حديد، وقد انتشرت بينهم الأمراض المعدية، مثل: الكوليرا، والحمى الصفراء، وكانوا يقذفون المرضى في البحر وهم أحياء؛ لكيلا تنتشر بينهم الأمراض المعدية. وذات مرة ملؤوا سفينةً كبيرةً من الأفارقة، اسمها زيورنج، ثم رموا قسماً منهم في البحر بحجة أن السفينة في خطر، واكتُشف الأمر حين أقيمت قضية ضد السفينة؛ «لأن البضاعة وصلت ناقصةً»، هكذا.

حفيدة جبريل المسلم

أُخذ الأفارقة عبيداً للعمل في المزارع والمصانع من دون أجر، بل في مقابل إطعامهم، وحرّموا على المسلمين منهم الصلاة، فكانوا يصلّون سراً، وفي أمكنة بعيدة، ولاحقتهم محاكم التفتيش؛ فكلّ من وُجد معه خاتم فضة، أو طاقية عربية، أو جلباب أبيض، كانت عقوبته الموت، وكذلك من يعلم العربية، أو توجد معه صفحات من القرآن الكريم، أو ضُبط يصلّي. وقد عُقد مؤتمر في السلفادور في ١٩ سبتمبر عام ١٩٩٢م عُرضت فيه بعض الكتب الإسلامية وكتب الفقه والعقيدة باللغتين العربية والبرتغالية، وحضره الدكتور صالح السامرائي وبعض الأساتذة العرب. وجاءت امرأة برازيلية تحمل نسخةً من القرآن الكريم، ومسبحةً خشبيةً، وهي تقول: هذه مسبحة جدّي، وهذا قرآن أبي، وأنا حفيدة (جبريل المسلم)، وأنا أعدّ هذا المؤتمر تكريماً لي ولعائلتي. وجاء شاب ليُعلن أنه قطع ٤٠٠ كيلومتر بسيارته ليعلن في المؤتمر أنه من بقايا المسلمين الأفارقة في البرازيل.

أميرة تقود الثورة

ذاق المسلمون الأفارقة أشدّ صنوف التعذيب والعنصرية، ولن يكون من السهل تجاهل ما عانوه على مدى قرون طويلة؛ فقد تمّ نقل أجدادهم بطريقة لا يعرفها أحد في تاريخ العالم، ولا مسوّغ لها؛ ليعقب ذلك تحويلهم إلى عبيد (سخرة)، وليعاملوا أسوأ معاملة. ونتيجةً للعنصرية والتعصّب فقد قام الأفارقة بعدة ثورات أُخمدت بالعنف، ومن القوانين المشهورة أن كلّ مسلم ثائر لم يُقتل تُوضع في رقبته سلسلة من الحديد تنتهي بصليب، فإذا انتهت مدة سجنه وجلده تربط رجلاه بسلاسل، وعلى سيّده ألا ينزع هذه السلاسل إلا إذا تمّ بيع المسلم خارج منطقة باهيا التي قامت بها أكثر من ثورة،



أُخذ الأفارقة عبيداً للعمل في المزارع والمصانع من دون أجر، بل في مقابل إطعامهم، وحرّموا على المسلمين منهم الصلاة، فكانوا يصلّون سراً، وفي أمكنة بعيدة

حتى توّجت بإلغاء العبودية في البرازيل.

وفي آخر ثورة صدرت أحكام على ٢٨٦ رجلا، و٢٤ امرأة، تراوح بين القتل أو إرسالهم إلى العمل في السفن الشراعية وما يشابهها من أشغال شاقة، مع السجن والجلد الذي يراوح بين ٥٠٠ و١٢٠٠ جلدة، وبمعدل ٥٠ جلدة يومياً على الرغم من تحذير الأطباء بأن المسلمين الكبار سيموتون تحت الجلد، وقد مات كثير منهم فعلا. ومن قادة الثورة امرأة تُدعى (لويزا ماهن)، يُعتقد أنها كانت أميرةً ببلدها قبل أن تُختطف وتُشحن إلى البرازيل، وصار بيتها مركزاً للقادة الثوار وملتقًى لهم، لكن مصيرها لم يُعرف بعد الثورة، ولعلّ من الغريب أن السلطات الحكومية عجزت عن تحديد اسم زعيم الثورة وشخصيته، مع أنه هو الذي أصدر بياناً للمسلمين يدعوهم فيه إلى الثورة باسم: أخلا أبو بكر.

تلاحم الثوار

يشيد المؤرخ رودريجز بأن الثوار كانوا على تلاحم، وشجعاناً، وفي منتهى الصبر، ولم يعترف واحد منهم على زميل له، أو على شخص حرّضه. ويؤكد هذا المؤرخ أن التنظيم للثوار المسلمين كان دينياً إسلامياً، وأن التعاليم الدينية أبعدت المسلمين من التفسّخ الخلقي، وكان مستواهم الخلقي رفيعاً في مواجهة الموت والتعذيب.



سيمون بوليفار يفضل القرآن

قام المسلمون في البرازيل، وفي (باهيا) خاصةً، بعدة ثورات متتالية في أعوام: ١٨٠٧، و١٨٠٩، و١٨١٣، و١٨١٦، و١٨٢٧، و١٨٢٩، و١٨٣٠، وأخيراً عام ١٨٣٥م، وكانت الأقوى والأشد. وكانت الحكومة تعتقل كلّ من تجد معه ورقةً مكتوب عليها جملة باللغة العربية، وتُلزمه بأن يدافع عن تلك الجملة. والجدير بالذكر أن كلّ ما يعود إلى ثورة عام ١٨٣٥م محفوظ في ولاية باهيا، وترجم كثير منه إلى البرتغالية بفضل المستشرق رولف زبشرت. وأختم بتهديد غريب للزعيم الكولومبي سيمون بوليفار؛ إذ كتب إلى سفيره في واشنطن رسالةً ملخّصها أنه بوصفه زعيماً يفضّل تطبيق القرآن قانوناً للدولة؛ بسبب قرابة العلاقة التاريخية مع العرب، على أن يقبل بهيمنة الجنس السكسوني، وأن شعبه أقرب إلى الحضارة الإسلامية من الحضارة الغربية. ومن المصادفة أن هناك قصراً كبيراً قديماً منقوش على واجهته عبارة بالعربية (لا غالب إلا الله)، والقصر في عاصمة كولومبيا، ويملكه فلسطيني، وقد حوّله إلى فندق. كما أن الملكة إيزابلا -من الأندلس- أصدرت أوامر -بعد القضاء على حكم العرب في الأندلس- ألاّ تلوّث أمريكا بالمسلمين، ومنعت تهجيرهم إليها، وقامت محاكم التفتيش بملاحقة أيّ مسلم يصل إلى أمريكا[١]. إنها أقبح عنصرية وأشنعها شهدها العالم.



قادت الثورة في باهيا امرأة تُدعى (لويزا ماهن)، يُعتقد أنها كانت أميرةً ببلدها قبل أن تُختطف وتُشحن إلى البرازيل، وصار بيتها مركزاً للقادة الثوار وملتقًى لهم



الهوامش

(*) أطلعني الدكتور صالح السامرائي على ما كتب في زيارته إلى أمريكا الجنوبية، وقد أفدتُ منه، وما كتبه لا يزال مسوّدةً لم تُنشر، فعسى أن يتمّ النشر قريباً.

حسين حسن حسين | هيئة التحرير



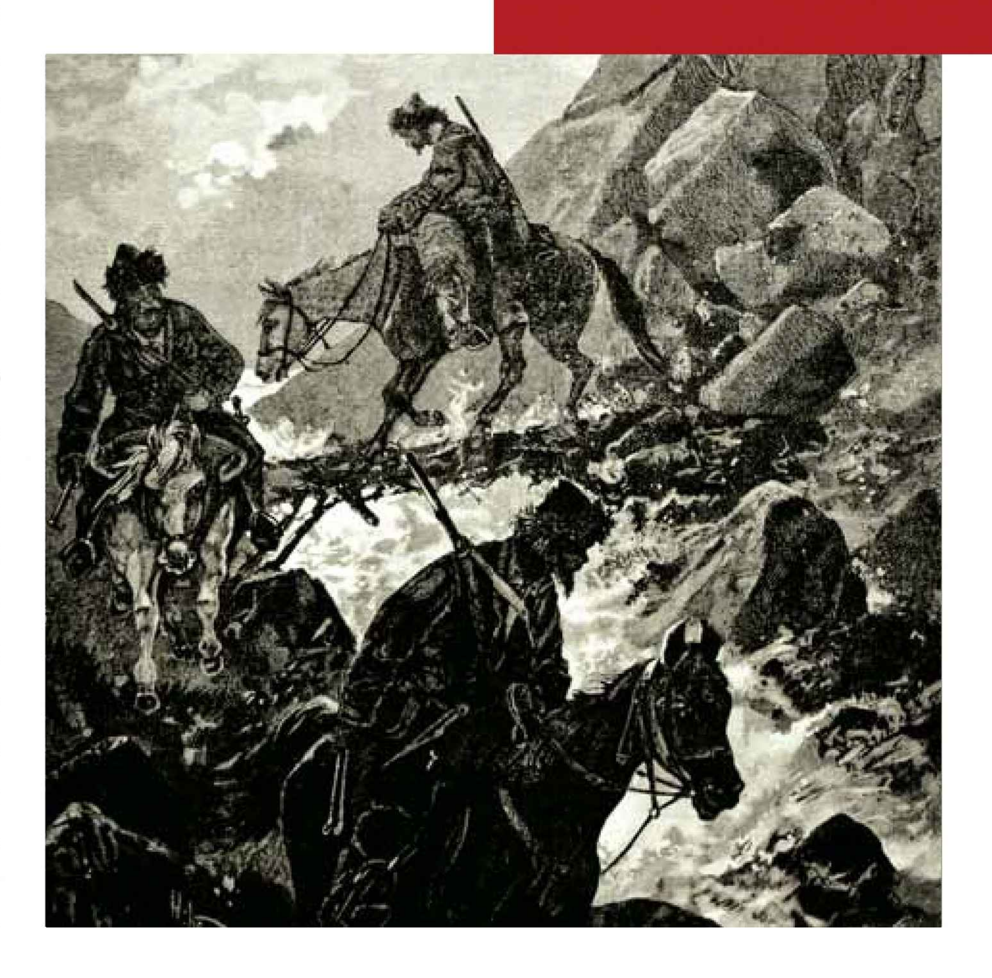
موناليزا الشرق:

حكايات تلهب الخيال الشعبي

«بنت التبان» صورة ظلّت تزيّن جدران غرف العراقيين زمناً طويلاً، وهي مستنسخة عن لوحة زيتية أبدعها رسام غربي مغمور مُولع بتراث الشرق. وشاع استخدام هذه الصورة على علب الحلوى والشاي والهدايا، وعلّقها أصحاب المقاهي، وسائقو الحافلات، والباعة في دكاكينهم الصغيرة، وأصحاب الحمامات العامة، والمطبّبون الشعبيون، والحلاقون، وصاغة الذهب، مع أن كثيرين منهم لم يكونوا يعرفون من هي. ويُشاع أن ملك العراق (غازي) كان يعلّق صورة (بنت التبان) في إحدى غرفه، ويبالغ آخرون في زعمهم أن الولع بتلك الصورة طال الرئيس الأمريكي أوباما، فيقولون: إنه يحتفظ بها في البيت الأبيض.

بنت التبان، بنت المعيدي، بدرية، جديلة، فاطمة.. تعدّدت الأسماء وأصل القصة واحد، وإن تعدّدت الروايات، وتباينت التفاصيل

الصورة تفصح عن سيدة مترفة فائقة الجمال تبدو في مطلع العشرينيات، زيّنت جيدها ثلاثة عقود جميلة: الأول من حبات لؤلئية صغيرة تشكّل خمسة أطواق يتآلف بياضها مع بياض البشرة الناعمة، والثاني من خرز لؤلئي أكبر حجماً، بينما يبدو العقد الثالث ذهبياً تتوسّطه جوهرة كبيرة الحجم تتدلّى على الجزء الأعلى من صدرها. وتعلو رأسها قبعة على شكل تاج، تزيّن قمتها تشكيلات زهرية مصنوعة من قماش الدانتيلا بلون وردي فاتح، وهي تلتفّ على تشكيلة شعاعية من حبات لؤلئية صغيرة، تقوم كلّها على ضفيرة من الجنيهات الذهبية الخالصة المصمّمة على هيئة عقال عربي. وتتموّج خصلات شعرها البنيّ الكثيف على كتفيها؛ لتغمر جزءاً من ثوبها الأحمر المطرّز بخرز وأقراص لمّاعة.



صراع كردي تركماني

يتنازع على هذه الفتاة الأكراد والتركمان؛ ففي كردستان العراق يطلق على هذه الفتاة (كجي كافروشي)؛ أي: (بنت التبان) باللغة الكردية؛ أي أن أباها بائع للتبن، ويرى آخرون أن (التبان) اسم عشيرة كردية، بينما يطلق عليها التركمان (سمانجي قزي)؛ أي: بنت التبان أيضاً، لكن بالتركمانية.

ومن قصص الأكراد عن فتاتهم أنها كانت ابنة رجل فقير يبيع التبن، وكان في بعض الأحيان يعمل في خدمة ضابط إنجليزي؛ فكان يطلب منه إحضار فتاة كلّ ليلة لتخدمه مقابل مبلغ من المال، وكان الرجل يلبّي رغبة الضابط

الإنجليزي، وكان يكرّر سؤاله للفتيات عن تعامل الرجل معهن، فشهدن بأنه لم يأتِ معهن بأيّ فعل شائن، ولم يتحرّش بهن؛ فدفع هذا الأمر الرجل إلى التفكير في إحضار ابنته لتقوم بخدمة الضابط، فينال المال الذي يقدّمه، وقبل الضابط عرض الرجل، فجاءت ابنته لتخدمه كلّ ليلة، لكن الضابط هاله جمالها، فهام بها، وشغف بها شغفاً شديداً، وعندما رفض أبوها تزويجها إياه خطفها وهرب بها إلى بلده، وهناك أبدع اللوحة الشهيرة التي استحقّت اسم (موناليزا الشرق).

أما القصة التركمانية، فلها لمسات مختلفة مع أن المضمون قد يتطابق مع القصة الكردية، فيقول التركمان: إن والد فتاتهم كان يعمل بائعاً للتبن، وقد أُغرم بها ضابط إنجليزي، فخطفها وهرب بها إلى بلده. وتأخذ القصة طابعاً أكثر رومانسيةً في رواية تركمانية أخرى، تقول: إن الفتاة لم يخطفها الضابط، وإنما انبهر بها حين رآها في محلة القلعة وهي تقوم بكنس عتبة دارهم، وبعد وساطات كثيرة من الوجهاء، وبعد أن دخل الإسلام، تزوجها، ثم أخذها إلى إنجلترا حيث أقاما بلندن في سعادة. وتخفيفاً لشوق أهلها استعان زوجها بفنان ليرسم (بورتريه) لها، وقد أدهش جمالها الرسّام نفسه، فأبدع تلك اللوحة المعروفة حالياً، وأرسلها زوجها إلى أسرتها ليخفّف عنها لوعة الفراق. وانتشرت الصورة عندما قامت شركة طباعة بريطانية بطبعها وتوزيعها على نطاق واسع.

وللعرب أيضاً نصيب

دخل العرب في الصراع على هذه الفتاة الجميلة، وقالوا: إنها عربية من أهل الموصل، وأطلقوا عليها لقب (بنت الحدباء)؛ لتأكيد أنها موصلية المولد والمنشأ. وأطلق العرب في جنوب العراق على الفتاة لقب (بنت المعيدي)، وأنها من أبٍ كان يعمل مربّياً للجواميس في مدينة العمارة. ومن الحكايات عن الفتاة أنها كانت في العشرين من عمرها حينها؛ أي: عام ١٩٢٤م، وأحبها ضابط إنجليزي اسمه ويسلر، وهام بها، وأراد أن يتزوجها، فرفض والدها أن تتزوج ابنته رجلاً أجنبياً على غير دينهم، فخطفها الضابط وسافر بها إلى إنجلترا، ولم تستطع أن تتكيّف مع بلدٍ لم تألفه، فماتت كمداً لفراق وطنها وأهلها، وكان الضابط قد رسمها في لوحة فنية نادرة. وهناك رواية تجعل نهاية الفتاة أكثر مأساويةً؛ إذ تقول: إنها رمت نفسها من الطائرة لتموت منتحرةً. وهذه المأساة لها وجه آخر في رواية مختلفة تقول: إن الضابط، واسمه نكسن، كان متزوجاً، وأن زوجته البريطانية أرادت أن تنتقم من السيدة التي جاء بها زوجها من الأهوار بالجنوب العراقي بقتل رضيعها بطريقة بشعة، فجنّ جنون بنت المعيدي، فقتلت الضابط وزوجته وهربت متنقلةً بين البلدان إلى أن وصلت أخيراً إلى قريتها الأولى. وهناك رواية مختلفة تنفي نيل الضابط البريطاني العراقية الجميلة؛ فقد أبعدت العائلة الفتاة عن الأنظار حتى لا يقتفي أثرها أحد، ووضعتها في إحدى دور أقاربها تحت حراسة مشددة حتى رحيل الضابط، الذي دفعه هيامه بالفتاة إلى رسمها من مخيّلته.

> **تأخذ القصة طابعاً أكثر رومانسيةً في رواية تركمانية تقول:** إن الفتاة لم يخطفها الضابط، وإنما تزوّجها بعد إسلامه، وسافر بها إلى بلده، وهناك رسمها فنان اندهش بجمالها

الفتاة تذهب بعيداً

في حين يتصارع الكرد والتركمان والعرب على الفتاة كان هناك رأي آخر أخذ الصبغة العلمية؛ فقد أورد فرهاد بيربال في كتابه (الكرد في منظور المستشرقين) رأياً جاء على لسان الرسام الكردي أزاد شوقي، مضمونه أن تصميمات أزياء بنت التبان تدفعنا إلى الاعتقاد بأن الفتاة من بلاد جورجيا. وفي عالم جوجل العجيب طفت أبحاث عن حكايات أخرى، فأدهشني أن الأمر يزداد تعقيداً، وفي ظلّ الاقتباس السائد من دون إيراد المصدر لا يعرف المرء الأصل من المنسوخ، بل لا يعرف شيئاً عنهما؛ فهما -في الأغلب- مجهولان. وجدت في عدد من المواقع والمنتديات نصوصاً تتشابه، وقصصاً تُحكى من غير أن أعرف من الذي سمع الحكايات وسجّلها، مع أن مصادرها تستحقّ أن تكون معلومةً؛ لأن هناك روايات حيّة، وأسماء تبدو أنها معروفة تروي.



للفتاة حكايات أخرى

من الحكايات التي تُروى على ألسنة بعض مَن كانوا قريبين زمنياً من المدة التي يُقال: إن الفتاة عاشت فيها:

- حدّثني عبدالرزاق نصيف الربيعي، المولود في الحلة عام ١٩٣١م، أنه سجّل (شريط كاسيت) بصوت الحاجة المرحومة أم مؤيد تسرد فيه حكاية بنت الفلاح (صاحبة الصورة)، وأنها تعرفها معرفةً شخصيةً؛ لأنها كانت تسكن في منطقة كريطعة، التي يعود بعض ملكية أراضيها إلى الحاجة أم مؤيد، فتقول: استأجرت الحامية

الإنجليزية في بداية العشرينيات من القرن العشرين بيتاً في تلك المنطقة (كريطعة)، التي تقع على شط الحلة، وفي كلّ يوم يقوم الجنود –وهم هنود– بتنظيف مكان على الشاطئ، ويجلس الضابط الإنجليزي على كرسيّ مخصّص له، ويبدأ بالتحديق في وجوه النساء اللائي يأتين إلى الشاطئ لغسل الأواني والملابس، فإذا أعجب الضابط بوجه إحدى تلك النساء أرسل مراسله (الفلاح) لتكريم هذا الوجه الجميل بإعطائها روبية. واستمر هذا الحال مدةً طويلةً، وكانت لهذا الفلاح (المراسل) بنت جميلة، فأغرته الروبيات، وحدث نفسه لماذا لا يفوز هو بتلك الروبيات عن طريق ابنته، وكان ذلك. وتستمر الحاجة أم مؤيد بسرد الحكاية: أعجب الضابط الإنجليزي بصاحبة هذا الوجه الجميل، فأحبها وأحبّته، فطلب منها الزواج والسفر معه إلى إنجلترا، وكان أن حدث ذلك أيضاً. وكان للضابط صديق مصوّر التقط لهذا الوجه الصبوح صورةً أو عدة صور؛ لتكون غلافاً لمجلة أو صورة لدعاية. وثارت ثائرة والد الفتاة، فأقام عليه دعوى في أحد بيوتات الحلة المشهورة، وحضر الضابط والفتاة، وخُيِّرت الفتاة بين العودة إلى بيت أبيها أو البقاء مع زوجها الإنجليزي، ففضّلت الخيار الثاني، وكان اسمها جديلة بنت عمران.

– حدّثني بعض الشيوخ شفاهةً برواية ثانيةٍ، هي أن صاحبة الصورة من أهالي (السدة)، وبالتحديد من القاطنين في محطة سكة الحديد في السدة، وهؤلاء القاطنون من الناس الذين احترفوا صناعة اللبن والجبن والقيمر، حتى ضرب المثل الشعبي بالقيمر السداوي، فقيل: (قيمر السدة)، وهذه المواد كما نعرف مستخرجة من حليب الأبقار والجواميس التي يربونها، وأطلق عليهم اسم (المعدان). وكان القطار المقبل من بغداد إلى البصرة والعكس يتوقف عادةً في هذه المحطة طويلاً. كان النساء يحملن القيمر والجبن واللبن لبيعه إلى المسافرين، الذين كان أغلبهم –كما مرّ ذكره– من الجنود، ونتيجة لتكرار السفر أولاً، والتوقف الطويل ثانياً، فقد أعجب أحد الضباط الإنجليز بإحدى بائعات القيمر تلكم، فسرقها، وتزوجها، وتتكرّر حكاية سفره إلى إنجلترا، وأصل الصورة، وأطلق عليها (بنت المعيدي) من دون ذكر اسمها.

– هناك حكاية ثالثة يتداولها بعض شيوخنا، وهي أن صاحبة الصورة من أهالي طويريج التي كانت تابعةً للحلة، ويعود زمن الحكاية إلى أيام بناء جسر طويريج الحديدي الذي ما زال قائماً، وبناه الإنجليز بدليل وجود العلم الإنجليزي على أعمدته الوسطى إلى الآن، فأعجب ضابط إنجليزي بإحدى النساء اللائي كنّ يمررن بجانب بناء الجسر، فأحبها وأغراها، وسرقها وتزوجها، وتتكرّر الحكاية.

– تؤكّد حكاية رابعة أن مكان القصة في أصلها كان في (الكسارة)، وهي قرية صغيرة تقع في أطراف هور الحويزة، التي تعدّ مسقط رأس (بدرية)، ويذكر الراوي بثقة أيضاً أن اسمها بدرية، ثم يمضي قائلاً: حدّثنا الشيخ سلمان أبو مصطفى، الملقب بالشيخ (قوقي) مشكوراً، وهو رجل مسنّ من القرية نفسها، أنه يذكر بدرية جيداً؛ لأن قصتها شاعت وانتشرت في كلّ مكان، وكان والدها داود الهليجي يعمل في صناعة الحصير والبواري من أعواد القصب، إضافةً إلى بيع الحليب والقيمر وتربية الجواميس. وتبدو الرواية حيّة على ألسنة أشخاص معاصرين يعرفون الفتاة وأبيها ومهنته.

مسلسل «بنت المعيدي» يبرّئ الضابط الإنجليزي، ويحوّل التهمة إلى الباشا العثماني، ويثير حفيظة المدافعين عن دولة الخلافة الإسلامية

أحياء يحكون القصة، ويكشفون التفاصيل، ولا مصادر موثوقة يعتدّ بها، والفضاء الإلكتروني يقلب القصة كيف يشاء



أبعاد درامية

تستمر الحكاية: حين احتلّ الإنجليز مدينة العمارة ذهب بعض الضباط والجنود إلى الكسارة، وسيطروا عليها، وفاجأت بدرية أحد الضباط بجمالها السحري، وشعرها الغزير والطويل، وطول قامتها، وشموخ صدرها، فوقع



في حبها فوراً، وطلب من والدها أن يزوجها إياه، لكن والدها رفض بشدة تزويجها إنجليزياً؛ لأن التقاليد لا تسمح بذلك، خصوصاً هذا الأجنبي المحتلّ غير المسلم، وهو ما دعا الضابط (وولتر) -كما سماه الشيخ سلمان- مع جنوده إلى خطفها ليلاً إلى مدينة العمارة، ثم عقد عليها بعد أن أشهر إسلامه، لكن أهلها وعشيرتها سرعان ما وصلوا إلى العمارة، وقدّموا شكوى إلى السلطات الإنجليزية وقتئذٍ، مطالبين بدفع فدية، وإرجاع الابنة المخطوفة إليهم. وعندما جرت محاكمة الضابط وولتر في مقرّ الجيش الإنجليزي طُلب منه إرجاعها أو الاستقالة من الجيش، فقال رئيس المحكمة العسكرية: إنها زوجته شرعاً، ولا يحقّ للمحكمة التفرقة بينهما؛ لذلك قدّم استقالته. وتأخذ القصة أبعاداً أكثر دراميةً برفض الفتاة العودة إلى أهلها خوفاً من القتل، كما يبدو أنها أحبّت الضابط، ولم تستطع فراقه. وهكذا رجع الأهل إلى الكسارة بعد أن سمحوا لهما بالسفر إلى لندن. وكانت بدرية من أجمل نساء الهور، وقد وصلت قصص جمالها وأخبارها إلى جميع مدن العراق من البصرة إلى بغداد وكركوك والموصل حتى العمادية، وصارت لكلّ مدينة قصة مشابهة لإحدى بناتها بوصفها جزءاً من تراثها الشعبي، فسُمِّيت (بدرية) بأسماء كثيرة، منها: ليلى بنت المعيدي، وفاطمة بنت المعيدي، ونرجس، وزينب. ويذكر الشيخ سلمان مستطرداً في حكايته: إن الشيخ محمد العريبي، المشهور في وقته، خطبها لنفسه، وأرسل إلى والدها وجهاء الناس، ووفود العشائر والأموال والغنم لخطبتها، ولا نعلم لماذا رفض والدها تزويجها الشيخ محمد، لكن الشيخ سلمان أبو مصطفى يقول: إن زوجة الشيخ محمد وابنة عمه (فتنة) هدّدت والد بدرية إن وافق على إعطاء ابنته زوجها؛ لأنها لا تريد أن تكون لها ضرّة جميلة مثل بدرية تستحوذ على كلّ شيء.

وفي هذه الحكاية يبالغ الشيخ سلمان في وصف جمال بدرية، فيقول: ليس لجمالها مثيل وقتئذٍ، وهو يتذكّرها شابة في عمر العشرين عاماً، لها ست جدائل كثيفة (يلهث لونها في الشمس) طويلة تصل إلى ركبتها، وحين تمشي كنا نرى طيور الهور تسرع لتحوم حول رأسها مبتهجةً بها، حتى إن أعواد القصب كانت تنحني إجلالاً لجمالها حين تمرّ. أما وجهها فسبحان الخالق، فهو أكثر حسناً من البدر، يسحر كلّ من ينظر إليه، ولا يستطيع أيّ رجل أن يصمد ويقف أمام نظرة عينيها، ورقّة ابتسامتها، إلا خرّ ساقطاً مهزوماً ومتراجعاً أمامها مهما يحمل معه من سلاح.

وتبيّن الرواية أن هناك من عاصر الفتاة

الجميلة، وأدلى بدلوه بوصف دقيق عنها، وعن عائلتها، وبيئتها بشخوصها وطبيعتها، فلماذا لم توثّق شهادات هؤلاء بشكل علميّ؛ لأن القصة على ما فيها من إثارة وتشويق توضح أيضاً معالم حقبة تاريخية مهمة مرّ بها عالمنا العربي، وتكشف ما كان سائداً فيه من علاقات إنسانية، وتفاعلات سياسية، وظروف اقتصادية، وموروثات، وغيرها.

الفنانون يستلهمون القصة

استلهم المغنّون الشعبيون والمسرحيون من هذه الروايات كلمات وأعمالاً فنيةً شتى؛ فالمطرب الشعبي البحريني عيسى بدر يقول في إحدى أغانيه: (بنت المعيدي سافرت قطر أربعة شهور ما جاني خبر)، وقدّم المخرج العراقي

> محلّلون يرون أن ثورة الإعلام وارت القصة بعد أن أوجدت نجوماً جدداً خطفوا الأضواء
> وحجبوها عن قصص الذاكرة الشعبية

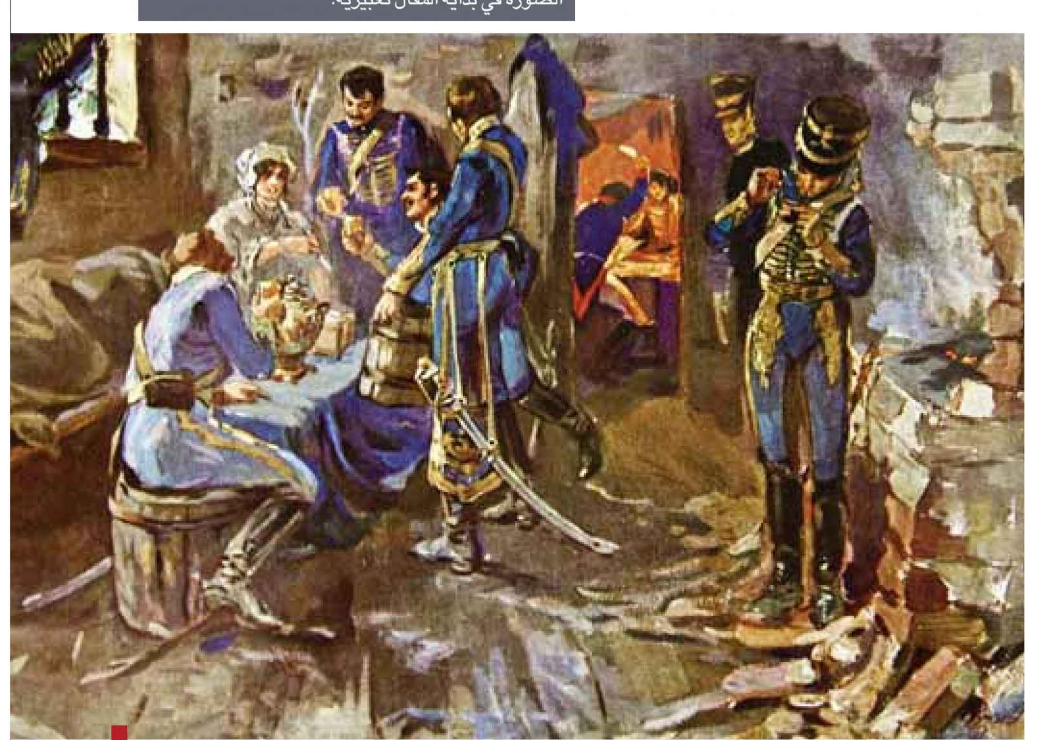
محسن العزاوي مسرحيةً اعتمدت على أسطورة (بنت المعيدي). وسبق للكاتب عادل كاظم أن قدم (بنت المعيدي) في نصّ مسرحي قامت بتقديمه فرقة مكي عواد، بإدارة المخرج محسن العزاوي، وبطولة الفنانة ليلى محمد، بالاشتراك مع الفنانين: بهجت الجبوري، وفخري العقيدي، وغيرهما. والتلفاز، الذي أصبح النافذة الأكثر تأثيراً بعد تراجع السينما والمسرح في عالمنا العربي، كان لا بد له أن يلتقط هذه القصة المثيرة، ويصوغها برؤية فنية جديدة، وكان المبادر بهذه الرؤية هو المؤلف الدرامي العراقي عادل كاظم، الذي أجرت معه صحيفة (الاتحاد) الإماراتية حواراً عن نصّه (بنت المعيدي)، قال فيه عن الفتاة التي تمثّل محور المسلسل: هي صبية في الخامسة عشرة، من الشريحة الاجتماعية المهمشة المسمّاة بـ(المعدان). هذه الفتاة تبيع اللبن والقيمر والحليب، مثلها مثل قريناتها وشريحتها التي تمتهن تربية الجواميس والبقر، واستخراج منتجاته وبيعها على سكان المدن القريبة. وفي يوم من الأيام تقودها الأقدار لتجلس بالقرب من قصر مدير شرطة بغداد في الحقبة العثمانية، وهو شاب في الأربعين، نزق الطباع، شديد الغضب، يدفعه طيشه إلى أن يمتلك كل شيء تقع عليه عيناه. وفي يوم يعود إلى بيته فجراً ليجد هذه الصبية عند باب قصره؛ لتدخل مخيّلته وهو في حالة سكر شديد، فيأمر حرسه بإدخالها عنوةً إلى القصر، وعند غرفة نومه يستبيح الصبية ويغتصبها، ثم يطلق سراحها. وعندما تحاول الصبية الثأر لنفسها بطعن الباشا عدة طعنات، لكنها لم تكن قاتلة، فيأمر بسجنها، وعندما يشفى يزورها في زنزانتها ليعرف سرّ تلك الطعنات، لكنها تظلّ على صمتها، ويظلّ الباشا على ولهه وعشقه إياها، حتى يعرض الزواج عليها، فتعرض الذهاب إلى عشيرتها، وإلى أخيها مزهر ليخطبها منه. هذه الأحداث وغيرها تتصاعد ليتزوجها الباشا، لكنها كانت وسيلةً لتقديم صورة بانورامية شاملة لأوضاع العراق والأحداث التي مرّ بها، وهو الأمر الذي جعل من (بنت المعيدي) أسطورةً راسخةً في الذاكرة العراقية إلى اليوم.

وهنا يبرّئ المؤلف الإنجليز، ويلصق بالحكم العثماني تهم الغطرسة، وانتهاك الحرمات، واستغلال المحكومين. وقد دافع آخرون عن الدولة العثمانية، وصوّروا أن مثل هذه التهم جزء من حملة تشويه دولة الخلافة الإسلامية.

إن بنت المعيدي لم يكن فضاؤها العراق فحسب، وإنما وجدت أصداءً في كلّ من: سورية، وفلسطين، وإيران، وتركيا، والخليج العربي، بل بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، خصوصاً جورجيا، حتى وصل أثرها إلى إفريقية، إلى حدّ أن هناك من يرى أن هذه الفتاة الجميلة مغربية الأصل، وأنها من مراكش، واسمها الحقيقي فاطمة، أو فطومة المغربية.

أما تراجع حضور هذه الفتاة بعد طغيانه من الثلاثينيات الميلادية إلى السبعينيات، فيعزوه بعض المحللين إلى التحولات الثقافية، والمتغيرات الإعلامية؛ فالتلفاز بتأثيره الواسع فرض ثقافة الصورة المرئية المتحركة، وأوجد في المجتمعات نجوماً جدداً، وهيّأت الطباعة الحديثة الفرصة لانتشار صور هؤلاء النجوم من مطربين وممثّلين ورياضيين، وغيرهم؛ ليتصدروا المشهد، ولتختفي بنت المعيدي وصويحباتها ممن شغلن الناس أزماناً إلى الكواليس حيث لا أضواء، وإنما أصداء تعلو وتخفت، وذكريات يجترها بعض من يحنّون إلى ما يُسمّى بالزمن الجميل، ومن أجلهم نقلّب هذه الصفحات القديمة لعلهم يجدون فيها بعض السلوى في زمن اللهاث المحموم.


الصورة في بداية المقال تعبيرية.





من خلال النظرة الشمولية للتشخيص المقام حيال الجدل المثنوي للعولمة في تمشّيه الدوري ينجلي لنا ضرب اعتيادي من النظر الفينومينولوجي (دراسة الظاهرة) صوب حركة التعولم بما أنها إفصاح عن الآليات النشيطة (القوى الفاعلة)، وتعيّناتها الضاربة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً. وتتميماً للمنظور الفينومينولوجي السائد فلا ضير من إجالة النظر في الأعراض المتمخضة عن تمشّي الجدل المثنوي للعولمة في حركته الصاعدة والنازلة، معزّزاً من واتته القدرة على الترقّي في مدارجها، ومقوّضاً من خانته قدراته على الثبات في مضمارها. وبذلك وغيره تتشكّل أوائل الأسباب العميقة لأعراض الفصام الناجمة عن حركة العولمة، وبحسب النتائج تكون الردود ناشئةً؛ إذ لا محيد لانطباقاتها على الرقعة العالمية من توليد أضداد، وهو اغتناء يقابله تفقير، وكاسب يجاوره فاقد.

الوجه الفصامي للعولمة



بعد سردية مفصّلة للعولمة؛ انطلاقاً مما هي كماهية بأساسياتها وتمظهراتها من خلال تحديد المنشأ وتقويم المسار، وعبر وصف الصيرورة من البدء إلى المآل، وما تحقّق من رهاناتها وما لم يتحقّق، نصل إلى الردود التي تقمّصها الخطاب المجابه للعولمة، بما يحتويه من قناعات مستبشرة أو يائسة، راضيةً أو ناقمةً، مقاومة داخلية بالتنمية وخارجية بالاحتجاج، بل حتى بتوظيف الآليات الصلبة. ذلك ما نلمسه في عقائد الأفراد والجماعات وردود أفعالهم، وفي سياسة الحكومات المكلومة.

ومن المفارقات الصارخة، التي أشاحت عنها العولمة النقاب بمزيد من الاستيضاح، واقع التركّز والتهميش الذي احتكم فيها منذ أمد بعيد؛ إذ شكّل العامل الاقتصادي الأساس الذي تطوّر حتى استفحل واستحكم في ظلّ زمن العولمة.

– واقع التركّز والهيمنة:

ما لا يختلف عليه اثنان كون واقع الاقتصاد العالمي في عصر العولمة موسوماً بتركّز وتمركز شديدين على جميع الصُّعد والمستويات التجارية، بل تعدّاه إلى كلّ ما هو تكنولوجي ومعرفي. واقع التركّز غالباً ما يحيل على بلدان الشمال، بوصفها الجانية ثمار العولمة، كما تجلّى ذالك تنظيمياً من خلال منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE.

بمجرد استقراء إجمال الناتج المحلي لبلدان المنطقة تتّضح الفعالية والنجاعة، وذلك ما يعكسه «نموها الملحوظ خلال ثلاثين عاماً من إنشائها»[١]؛ فالتجارة الدولية تبقى متمركزةً بين الأقطاب الاقتصادية الثلاثة الكبرى: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوربي، واليابان؛ إذ تستأثر هذه المجموعة من الدول على ما يعادل ٨٧٪ من الواردات العالمية، ونحو ٩٤٪ من الصادرات العالمية من السلع المصنّعة، كما تسيطر شركاتها الكبرى على ما يقرب من ثلثي التجارة الدولية للسلع والخدمات، وبالمثل تشكّل الأقطاب الاقتصادية الكبرى مصدر معظم الاستثمارات الأجنبية المباشرة في العالم بنسبة تراوح بين ٨٥ و٩٥٪ من الاستثمارات في العالم[٢]. وإضافةً إلى التركّز العالمي الآنف الذكر يمكن الحديث عن تركّز التركّز داخل الدول المنتظمة في منظمة التعاون الاقتصادي؛



التجـارة الدوليـة تبقـى متمركـزةً بيـن الأقطـاب الاقتصاديـة الثلاثـة الكبـرى: الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، والاتحـاد الأوربـي، واليابـان

إذ نلحظ أن التركيز الاقتصادي ينحصر في داخل الدول الصناعية الكبرى السبع: الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وكندا؛ لأن هذه الدول تضم المقرّات القانونية والاجتماعية لما يناهز ٤٢٦ شركة من ضمن أكبر ٥٠٠ شركة من الشركات المتعددة الجنسيات؛ فجلّ القرارات الحاسمة في صوغ معالم العولمة ورسمها ترتبط في جزء كبير منها بالدول السبع التي يجتمع رؤساؤها مرةً كلّ عام، وهو ما حدا بكثيرين إلى وصف قمة مجموعة السبع (٧-٦) بأنها تشكّل مجلس إدارة اقتصاد العالم، وهو ما يكشف عنه غيض من فيض قراراتها من قبيل ما وافقت عليه هذه البلدان عام ١٩٩٦م بخصوص (أعمال البحث والتطوير) بقصد تحويل المعرفة العلمية التطبيقية إلى تقنيات إنتاج بحجم استثماري قُدّر بـ٣٤٥ مليار دولار[٣].

من خلال جرد أهم ملامح التركيز العملياتي للأنشطة الحيوية للعولمة نعاين تركّزاً آخر يتم على مستوى المؤسسات والمنظمات الحيوية، التي تخضع لسيطرة الدول السبع الكبار في إطار أيديولوجية السوق، منها: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، بوصفها أدوات ناجعةً للتحكم وتعزيز التمركّز. وبمجرد فحص أسس (الجات)، التي تحكم المعاملات الدولية في السلع والخدمات، ندرك الصعوبة التي تشكّلها لأيّ دولة مهما كبر حجمها أو ثقلها الاقتصادي على أن تخرج عنها من دون خسارة واردة؛ فإضافةً إلى امتلاكها السلطة التشريعية فهي تمارس سلطة

التحكم في القطاع المالي

بسـبب كون القطـاع المالـي يشـكّل عنصراً أساسياً من أنشطة العولمة فإن جلّ الشركات والمؤسسـات المشـتغلة والمتحكمة في هذا الميدان تنتسب إلى الدول السبع الكبار انتسـاب البنوة إلـى الأبوة؛ فمـن بين الشـركات العالميـة المدرجة في قائمة فورشـن نجد ٦٩ بنكاً كوكبياً منهـا ٥٧ مقرّها الأصلي في إحـدى دول المجموعة، كما نجـد في القائمة نفسـها خمـس مقرّات لشـركات كوكبية تشـتغل في الأعمال المالية في المجموعة ذاتها. وفي نشـاط التأميـن بأنواعـه المختلفـة تحتـوي القائمة على أسـماء سبع شركات، منها ٣٧ شركة داخلة ضمن مجموعة السـبع. وبسـبب البعد الثقافي للعولمة، المعبّر عنه في حيّز الاتصالات، تورد قائمة فورشن أسماء ٢٢ شركة عالمية منها ١٩ شركة تنتمي إلى دول المجموعة السبع.

قضائية للفصل في المنازعات المتعلقة بتنفيذ اتفاقية الجات ١٩٩٤م، التي يُطلق عليها (هيئة التحكيم)، بوصفها آلةً منذورةً لحلّ الخلافات. كما آل فرض تعهّدات قانونية للأزمة إلى إدارة بيروقراطية لـ«قواعد السلوك الملزمة في تولّي التجارة العالمية»[٤].

كما أن آلية السوق استمكنت لأنشطة أخرى سالبة كالمضاربات[٥] في البورصات العالمية؛ فسلبيتها تتحدّد من خلال انفلاتها من كلّ أشكال الرقابة؛ إذ يبلغ التعامل اليومي في هذا السوق أحياناً تريليون دولار، بينما لم يتجاوز حجم التجارة الدولية تصديراً واستيراداً في عام ١٩٩٥م الأربعة تريليونات إلا بقليل. ومن خلال هذه المضاربات تتجمّع ثروات تُقدَّر بعشرات المليارات، لا يقابلها أيّ إنتاج موازٍ. وترتكز فعالية هذه المضاربة أساساً على قروض البنوك، بيد أنها لا تخضع لسلطة سياسية على أيّ مستوى منذ دخول القطاع الخاصّ إلى جانب الدولة في عملية إيجاد (النقود الكتابية)، التي تتجسّد في شكل علامات حاسوبية Bites، أو بطاقة ائتمان[٦]. وفي إطار التحكّم العالمي المؤقت، تُثار أيضاً قضية مهمة، هي تنامي النشاط العالمي لتحديد المعايير، وقد شكّل هذا النشاط سمةً بارزةً.

- واقع التهميش والتبعية:

الوجه الفصامي الآخر الذي عمّقته العولمة، وأفصحت عن قتامته بشكل واضح، هو واقع التهميش وتعميق الفوارق بدرجة صارخة؛ فالأرقام والأوضاع تبيّن ما تحقّق وما لم يتحقّق في العالم الثالث، وعلى الرغم من المجهودات المبذولة ما زالت الفجوة تتّسع، وهو ما يعني تقوية الاستحكام عليها، وتأييد التبعية المستمرة لغيرها.

نماء متعثّر، وإصلاحات منقطعة، واندحار ظاهر في جميع الصُعد، ذلك ما يُعاين في تراجع نصيب العالم الثالث من الناتج المحلي الإجمالي للعالم خلال العقود الثلاثة الماضية.

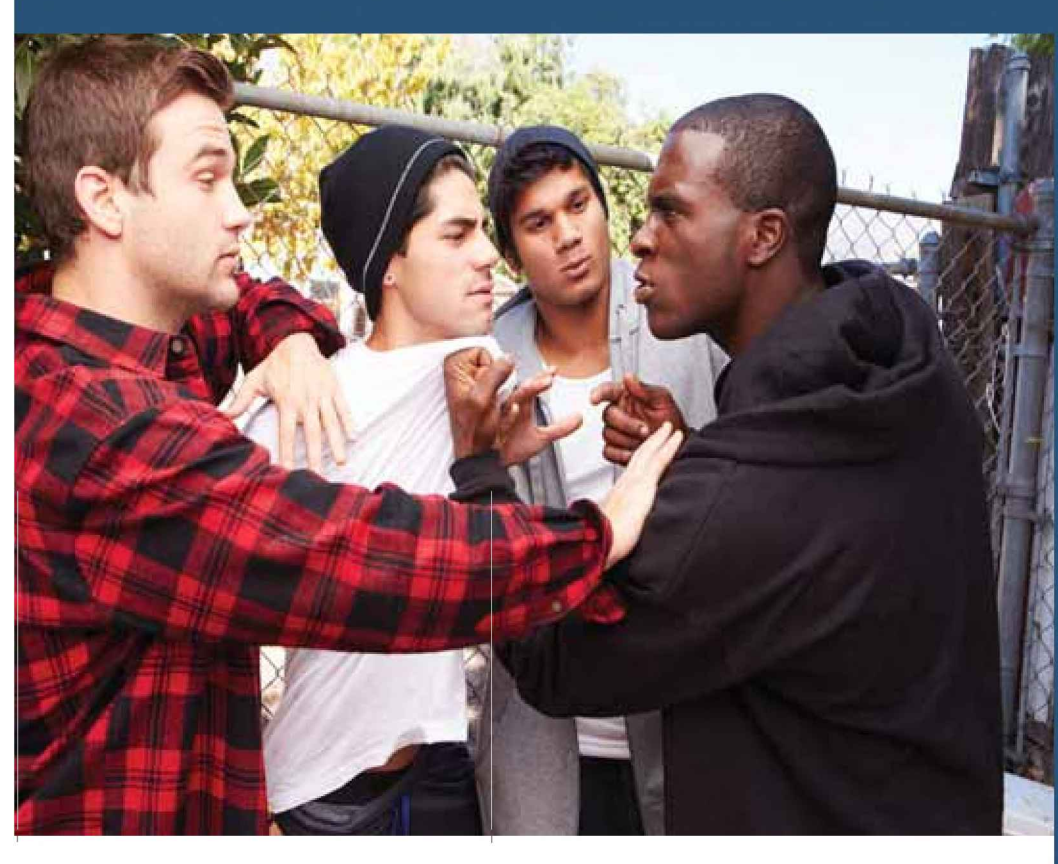
وعلى الرغم من اعتماد خيار السوق، وسياسة الليبرالية الجديدة، فقد ألزمت ظاهرة استمرار الفقر في العالم، وتزايد أعداد الفقراء بانتظام، خصوصاً في دول العالم الثالث، البنك الدولي بأن يتخلّى عن أحد أهمّ سياساته المسمّاة (مفعول التساقط)، ومقتضاها أنّ تزايد ثراء الأغنياء سيقضي تلقائياً وتدريجياً على ظاهرة الفقر؛ لأن الغنى المتزايد يعني تزايد الاستثمار، وإيجاد أعداد مضاعفة من فرص العمل، وهو ما يؤدي إلى انحصار البطالة. وهذا الأمر يمكن أن يُعالج بفضل ما يتبرّع به الأغنياء بفعل الخير Charité، وقد تبنّى البنك ضرورة التصدي المباشر لحلّ قضية الفقر، كما يمكن أن توفّر السياسة الاقتصادية لكلّ دولة إجراءات تخفّف من وطأة الفقر على المجتمع[٧].

لكن المسرى عاكس المتبنّى والمتمنّى؛ فقد قُدّر عدد المُعدمين في العالم عام ١٩٩٥م بـ١١٨٠ مليون نسمة، جلّهم من الآسيويين وسكان أمريكا اللاتينية وإفريقية، وبذلك فنّدت مزاعم العولمة في جلب المكاسب الاقتصادية لها، وهو ما تؤكّده الدلائل والمؤشرات؛ إذ ما لبثت الكثرة الكثيرة المتزايدة في العالم الثالث تغوص في فقر مدقع، تكون فيه نسبة الفرد أقلّ من دولار في اليوم، مع أن النماء الملاحظ في إجمالي الدخل العالمي قد يفوق نسبة ٢٪ سنوياً في المتوسط[٨].

إضافةً إلى سوالبها فيما يرتبط بسياسة الفقر، تُطرح مسألة تأثيرات العولمة المتكررة في زعزعة الاستقرار، وهو ما تشهد به الأزمات في كلّ من: آسيا، وأمريكا الجنوبية، وهي الأزمات التي تهدّد استقرار الاقتصاديات في البلدان النامية كلّها؛ بسبب سهولة انتشار العدوى المالية عبر العالم؛ إذ يؤدي انهيار

التركيز الاقتصادي ينحصر في داخل الدول الصناعية الكبرى السبع: الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وكندا

الوجه الفصامي الآخر الذي عمّقته العولمة، وأفصحت عن قتامته بشكل واضح، هو واقع التهميش وتعميق الفوارق بدرجة صارخة



العملة المتداولة في إحدى الأسواق الناشئة إلى انهيار مماثل في بقية العملات. هذا الأمر أبانت عنه الأزمة الآسيوية[٩] خلال عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨م، وكذلك الأزمة المالية العميقة التي مسّت كلاً من: المكسيك، والأرجنتين.

لقد تزامن مع إحقاق مسلسل التنمية في الجنوب تراجع ملحوظ للدول المانحة -وهي في الأغلب من الدول المتقدمة- عما سُمّي (مدوّنات التنمية الرسمية)؛ أي: المنح والقروض الميسّرة المقدمة من دولة إلى دولة (O.D.A)، تحت دعاوى وحجج مختلفة، منها التوجس من ضياع المليارات الكثيرة بفعل فساد حكومات العالم الثالث تارةً، وزعم انتشار البطالة المستقرة وتزايد الفقر بين شعوب الدول المانحة تارةً أخرى[١٠]، ويستدعي مساعدة الفقراء في الداخل قبل الخارج تطبيقاً لمبدأ (ذوي القربى أولى).

إن كانت مكاسب العولمة مُبرهنةً في كثير من الأمثلة -كما ادّعى أنصارها- فإن الثمن الذي دُفع كان أكبر كما يتّضح بصورة أوضح في التدمير الحثيث للبيئة، وإفساد العمليات السياسية. كما أن معدل سرعة التغيير لم يُتح للبلدان الوقت الكافي للتكيّف الثقافي؛ انطلاقاً من الأزمات التي خلّفت في أعقابها بطالةً كثيفةً إلى مشكلات التحلّل الاجتماعي الطويلة المدى، بدءاً من عنف المدن في أمريكا اللاتينية والصراعات العرقية في أجزاء أخرى من العالم[١١]. وبذلك بدا في كلّ مظهر من مظاهر العولمة أن الجهود لم تُكلّل، وأن الرهانات لم تُحقّق بالشكل الكافي والشافي، وإن بدت النية حاضرةً، فانعكست النتائج، وخاب الرهان؛ فكان الهمّ القائم هو التطلع المأمول والسؤال المطروح: ما العمل؟.

فضلا عن التنظيم الوطيد لإدارة عالمية من خلال هيئات رئيسة، مثل: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية؛ بسبب ضلوع هذه الهيئات في صناعة كثير من المعايير التي تخصّ التجارة والاستثمار والاقتراض الرسمي، فإنه يلاحظ نمو ما يُعرف بـ(الأنماط غير الرسمية لتحديد المعايير). وبذلك نجد أن معايير المحاسبية والمعايير القانونية في حقل الشؤون التجارية صارت تتقنّن عالمياً وفق الممارسات الأنجلو-أمريكية، وغالباً ما بات يُوضع الالتزام الطوعي لهذه المعايير شرطاً للشركات من أجل حصولها على العقود والقروض العالمية. إن هذه الدقة والتمركز الملحوظ في تنظيم المعايير لهو -حسب بول هيرست، وجون طومبسون- جزء لا يتجزأ من منظومة التحكم الناشئة حديثاً، ومن ثمة تستدعي مزيداً من اهتمام الباحثين، وإشراف أكبر من السلطات العامة التقليدية المسؤولة في الدولة[١٢].

وعلى الرغم من إيجابيات تركّز التنمية في دول الشمال، وما حقّقه من حصاد وافر ومثمر لمصلحة القوى التي أدارته، فإن هذا التركّز المحقّق على مستوى اقتصاد العالم لم يمنع من ظهور نتائج وخيمة لها حتى في الدول التي أنتجته[١٣]، وتمثّل ذلك في تنامي نسب البطالة، وتزايد عدد من يعيشون تحت حد الفقر نتيجة اشتراط الأداء الشخصي للتأمينات الاجتماعية، كما بدأت تلك الدول تشهد النمو الاقتصادي الذي لا تصاحبه فرص عمل جديدة، وبالمثل دخلت الشركات الكبرى فيما يُسمّى بـ(إعادة الهيكلة)، وتصغير حجم أجهزتها الإدارية، والتخلي عن أسلوب المجتمعات الصناعية؛ فالتركيز الشديد في الملكية والسيطرة يقابله التخصّص الضيق في وحدات الإنتاج الصناعي، وبذلك اتّسعت الهوة بين أقصى المنافع وأدناها، وما العودة الملحوظة إلى السياسية الحمائية[١٤] إلا دليل على تنامي المخاوف حول واقع التركز، وحرص متزايد على حصر مجال تداول المنافع في رقعة الدول المتقدمة.

لعلّ الأزمة المالية التي عصفت بالاقتصاد العالمي خلال عام ٢٠٠٨م طرحت عدة تحديات على الدول فيما يتعلق بطبيعة الأزمة وانعكاساتها، خصوصاً كيفية تدبيرها





الأزمة المالية الحالية أتت نتيجةً للتوسّع غير المنضبط في القطاع المالي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ورائه بقية دول العالم

لعل واقعة نيويورك «١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م» تمثّل وقفة مهمة للإضاءة، ونقطةً مفصليةً إليها تتجمع صيرورة العولمة الاقتصادية، ومنها يبدأ جدال العولمة والإرهاب

تأسيس منتديات إقليمية وطنية

ساهم المنتدى الاجتماعي العالمي في تأسيس كثير من المنتديات الاجتماعية الإقليمية والوطنية؛ كالمنتدى الاجتماعي الأوربي، والمنتدى الاجتماعي الآسيوي والمتوسطي. وشهد المنتدى في افتتاح دورته خلال منتدى بورتو أليجري الأول تدشين أكثر من ٤٠٠ ورشة عمل، يعمل عليها مجموعة من المفكرين من جامعيين واقتصاديين وممثّلي المجتمع المدني بكل أطيافه ومندوبي السلطات غير الحكومية. ويمكن تحديد المسعى الأول والأخير للمنتدى في نشدان تقسيم عادل لثروات العالم، وتحقيق تنمية كافية مُغنية لبلدان العالم الثالث لما فيه خير الكل. وكانت -ومازالت- الحركة تبحث عن تغيير المعادلة من عولمة اقتصادية إلى عولمة إنسانية، ومن منطق لبرلة العولمة إلى أنسنة العولمة.

العولمة بين الإخفاقات المستجدة وتنامي آليات المناهضة

بتتبّع مسيرة العولمة، وتقويم مسارها، تصير القناعة قائمةً ومكتملةً حول انتكاس نواياها بازدياد عثراتها، وبضمور إيجابية مشروعها من خلال معاطبها المتكررة والمتنامية؛ فصار من الطبيعي جداً أن تصطفّ السياسات، وتعلن المبادرات، وتنتهض الضمائر من هنا وهناك؛ لتنتفض وتتّحد ضد مخاطر العولمة وأهوالها؛ فقد آن للضمير الحيّ أن ينبثق من أجل عالم أمثل، وإنسانية مثلى.

- الأزمة المالية العالمية الأخيرة:

لعلّ الأزمة المالية التي عصفت بالاقتصاد العالمي خلال عام ٢٠٠٨م طرحت عدة تحديات على الدول فيما يتعلق بطبيعة الأزمة وانعكاساتها، خصوصاً كيفية تدبيرها. لم تكن هذه الأزمة المالية الأخيرة هي الأولى من نوعها، ولن تصير خاتمتها؛ فعبر العقود الماضية الأخيرة «ظهرت في مركز النظام المالي العالمي عدة أزمات، من ذلك: انهيار اقتصاديات بلدان أمريكا الجنوبية في عقد الثمانينيات، والأزمة المالية الآسيوية خلال عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨م»[١٥]، بيد أن وقع الأزمة المالية الأخيرة كان أكثر تأثيراً ونفاذاً، بل مازال أثرها ممتداً، وتبعاتها في انتشار متزايد، وهمّت الدول الأكثر اندماجاً وفعاليةً في الاقتصاد العالمي، كما استشرى أثرها في الدول النامية. تأسيساً على ذلك، بات السؤال أكثر إلحاحاً عن نجاعة نظام سير العولمة المالية، خصوصاً في



العولمـة بسـلوكياتها وممارسـاتها تدويل للإرهـاب، وتعـدّد لمنابعه، يسـتوي فـي ذلك صاحب القضية المشـروعة أو صاحب المشكل المشروع

ظلّ توالي تبعات هذه الأزمات؛ فكيف تنكشف -إذاً- أزمة العولمة بما أنها أزمة مالية؟. حسب المفكر الاقتصادي حازم الببلاوي، تظهر حقيقة الأزمة المعاصرة بوصفها أزمةً ماليةً بالدرجة الأولى ناجمةً عن التوسّع الكبير في الأصول المالية على نحو مستقلّ لما يحدث في الاقتصاد العيني، ويعود ذلك بالأساس إلى أن المؤسسات المالية أسرفت في إصدار الأصول المالية بأكثر من حاجيات الاقتصاد العيني(١٦).

وعلى الرغم من الصلاحية التي تتوافر للبنوك المركزية في مراقبة البنوك التجارية؛ حرصاً على احترام النسب التي حددتها اتفاقية بازل للرقابة على البنوك، إلا أن ما يُعرف باسم (بنوك الاستثمار) في الولايات المتحدة الأمريكية لا يخضع لرقابة البنك المركزي، ومن هنا توسّعت بعض البنوك في الإقراض بستّين ضعفاً من حجم رؤوس أموالها، وهذه الزيادة في الافتراض تعني مزيداً من المخاطر، خصوصاً إذا تعرّض بعض المدينين لمشكلة السداد كما حدث في الأزمة العقارية(١٧)؛

إذا كانت العولمة انعكاساً آلياً لمناخ الحرية المختلفة للسلع والرساميل والخدمات والأفراد فالإرهاب هو حدّ موضوعي لهذه الحرية

لذلك أتت الأزمة المالية الحالية نتيجةً للتوسّع غير المنضبط في القطاع المالي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ورائه بقية دول العالم، وكان من آثار ذلك إفلاس كثير من الشركات. وعلى هذا الصعيد، «علّقت قرابة ٧٠ شركة رهن عقاري أمريكية عملياتها، وأعلنت إفلاسها، أو عُرضت للبيع منذ عام ٢٠٠٦م»(١٨). وزاد من سوء الأمور إخفاق سياستي البنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي والبنك المركزي الأوربي في التخفيف من حدة تراجع المؤشرات.

ولأن التداول المالي شبيه بالدورة الدموية في الجسم كان لابد للأزمة المالية من أن تتعدى نطاقها الأمريكي؛ بسبب ارتباط هذا السوق ارتباطاً عضوياً بالاقتصاد الأوربي والآسيوي، بمعنى أن الشركات الصناعية في هذه الدول تعتمد بنسبة ٧٠٪ على ترويج منتجاتها داخل السوق الأمريكية، وفي حالة تراجع نشاط الاقتصاد الأمريكي تعاني هذه الشركات انخفاض حجم مبيعاتها، وتراجع أرباحها.

وإن كان احتداد الأزمة قد لُوحظ بشكل بارز في الدول الرأسمالية المتقدمة فهذا لم يمنع من تفشّي الأزمة في سائر أرجاء العالم، خصوصاً بعض الأسواق الناهضة في آسيا وغيرها من القارات. ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى جعل بعض الاقتصاديات التابعة عرضةً لموجة انشطارات داخلية، وبذلك حصلت انهيارات في البرازيل، وهنجاريا، وأيسلندا، وباكستان، وروسيا، وجمهوريات البلطيق، وآسيا الوسطى، ومؤخراً -وليس أخيراً- في اليونان، خصوصاً بعد موجة هروب أصحاب الأموال المستثمرين في مجالات الأعمال أو الأصول التي تحمل مخاطر عالمية وأنشطتها(١٩).

ليست الانتكاسة المالية العالمية الأخيرة سوى انكشاف عن مكامن الخلل العميق الذي تنطوي عليه عمليات العولمة المالية، وهو ما يطرح شكوكاً متزايدةً في نجاعة اقتصاد العولمة، وجوهر العولمة ذاتها بوصف الاقتصاد يشكّل قاطرةً لها.

- المناهضة من داخل العولمة:

بقدر ما تكثّفت حركة إشعاع العولمة حضوراً ونفوذاً متزايداً بقدر ما تنبثق جهود تظهر موقفاً مضاداً وجهاداً متواصلاً بأكثر الآليات والسبل تمكّناً؛ بهدف الحدّ من شناعة المحصلة. وعلى الرغم من تواضع الإمكانيات، وخفوت القدرة لديها على إبلاغ منظّم لموقفها، فقد تمكّنت الجهود من الائتلاف في اتحاد اجتماعي عالمي لها، بوصفه صوتاً مقابلاً ومعارضاً لاتحاد اقتصادي عالمي مستحكم، فكانت الخطوة الرسمية لترسيخ وانبثاق الآتي:

- مناهضة عالمية ضد أحد معاقل العولمة:

يتمثّل هذا المعقل في منتدى دافوس الاقتصادي، الذي نشأ عام ١٩٧١م، ويعقد اجتماعه سنوياً بسويسرا؛ بهدف النظر في القضايا التي تهمّ تطوير العولمة على صعيد واقع المبادلات المالية والتجارية، وتحريك رأس المال بين العالم، والعمل على تقويم منجزات العولمة وحصائلها. بالتأكيد الحصيلة واضحة، والنسبة شارخة، مفرحة مذهلة للقلة الاقتصادية، ومخيّبة مقلقة للكثرة الاجتماعية والاقتصادية التابعة والقابعة في الجنوب. على وقع الآثار والمخلفات، ستنمو وتتصاعد موجة هائلة ناقمة من نضال تجزيئي لها هنا وهناك، بدأت جهودها تتكاتل من سياتل؛ لتتخذ في بورتو أليجري هذا النمط من التوحّد. عدّها كثيرون فاتحةً تبلور المواطنة العالمية، «اختارت





تزامـن مع إحقاق مسلسـل التنمية فـي الجنـوب تراجع ملحـوظ للدول المانحة تحت دعاوى وحجج مختلفة، منهـا التوجس من ضيـاع المليـارات الكثيرة بفعل فساد حكومات العالم الثالث

على الرغم من شساعة فوارقها، واختلاف هوياتها الوطنية، وتباعد المسافات بين أوطانها وقاراتها؛ لتلتقي على صعيد النهي عن منكر العولمة، ولتقوم بانتفاضة شعبية عليها»[٢٠].

لقد بدأ اندفاع الحركة وتكتّلها بشكل بارز خلال انعقاد اجتماع سياتل الدولي في ديسمبر عام ١٩٩٩م؛ إذ قُدِّر عدد المتظاهرين فيها بنحو ٥٠ ألف متظاهر، تعالت أصواتهم إلى حدّ اختراق جدران مقرّ الاجتماع؛ لتجثم على أصوات المتحدثين في المنتدى. وقد تلخّص مغزى هذه الانتفاضة -حسب عبدالهادي بوطالب- في هدفين أساسين: أولهما «نهي منكر العولمة، وإيصال صوتها إلى أذان المجتمعين على مائدة العولمة في سياتل، وثانيهما إثارة الانتباه إلى أن مصير العالم لن يصنعه بعد هذه الانتفاضة المسؤولون الحكوميون بمحض إرادتهم»[٢١].

ولعقلنة الجهود المناهضة للعولمة أسّست الحركة في يناير عام ٢٠٠١م تنظيماً موازياً لمنتدى الاقتصادي العالمي ببورتو أليجري، يسمّى (المنتدى الاجتماعي العالمي)، وينادي بعولمة بديلة ذات مرام إنسانية، لا تغلّب الجانب الاقتصادي فقط، بقدر ما تستحضر وتأخذ حتى الجانب الاجتماعي في الحسبان. وقد ساهمت في تنظيمه مجموعات مشاركة في حركة العولمة البديلة، منها الرابطة الفرنسية الداعية إلى فرض الضرائب على التحويـلات المالية لمساعدة المواطنين (أطـاك)، وقد شهد المنتدى حضور ١٢ ألف شخص. والمكان نفسه (بورتو أليجري بالبرازيل) شهد انعقاد الدورات الأخرى للمنتدى، مع تغيّر الأزمنة خلال أعوام ٢٠٠٢- ٢٠٠٣ و٢٠٠٥م، ووصل فيها عدد المشاركين إلى ١٥٥ ألف شخص، بينما انعقدت دورة عام ٢٠٠٤م في بومباي بالهند، ودورة عام ٢٠٠٦م في كلّ من: كاركاس في فنزويلا، وباماكاو في مالي، وكراتشي في باكستان، بينما كانت الدورة السابعة للمنتدى خلال عام ٢٠٠٧م في نيروبي بكينيا[٢٢].

● مجابهة حاسمة ضد أحد معالم العولمة:

على منوال الانتماء ذاته، الكاشف عن المقاومة الصاعدة ضد غلواء العولمة، التي مثّلنا لها سابقاً بأحد معاقلها الرامزة إلى مكان تشكّل

السياسات الاقتصادية (منتدى دافوس)، سيكون هذه المرة الاستدلال منصباً على أحد المعالم الضاربة المتحكّمة في مناحي العولمة المتعددة، المتمثّل أساساً في الحركة الاستثمارية الرامزة إلى توجّهات السياسة الاقتصادية (الاتفاقية المتعددة الأطراف حول الاستثمار MAI).

لقد سعت دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE جاهدةً إلى توحيد مراميها الاستثمارية عبر إنهاء اتفاقية تسمى بـ(الاتفاقية المتعددة الأطراف حول الاستثمار MAI)؛ بهدف تقعيد وتقنين أمثلين للسياسات التي تخوّل المكنة للبلد المضيف أن يفرضها على الاستثمارات



الأجنبية المباشرة. ولعل من بين السوالب المقلقة التي حوتها الاتفاقية، والتي شكّلت المدعاة الأساسية نحو إجهاضها، كما تمثّلت في مبادئها الأربعة الملزمة[٢٣]:

– عدم التمييز في التعامل مع المستثمرين الأجانب، سواء بالمقارنة مع المستثمرين المحليين أم مع المستثمرين من بلدان أخرى موقّعة على الاتفاقية.

– الامتناع عن فرض اختبارات الأداء على المستثمر الأجنبي، وقد عدّت الاتفاقية المقترحة اثني عشر بنداً لا يجوز السماح بها، منها: لا يُسمح للبلد المضيف أن يطلب من الشركة الأجنبية أن تكون مصدراً، أو تستخدم مدخلات في الإنتاج من توريد محلي، أو نقل التكنولوجيا، أو أن تجعل مقرّها الرئيس في البلد المضيف، وأن يفرض عليها أهدافاً إنتاجيةً محددةً، أو يشترط عليها حصة معينة في توظيف العمالة، أو أن تقيم مشروعات مشتركة مع شركات محلية.

– كما كانت المسودة تتضمن شرطاً خاصاً بحلّ النزاعات، بموجبه يسمح للشركة أن ترفع دعوى قضائية ضد الدولة في محكمة محلية، أو اللجوء إلى التحكيم الدولي فيما يتعلق بالادعاء بوجود مخالفة لقوانين التجارة.

– عدم جواز مصادرة الاستثمار أو تأميمه من دون تعويض.

ولا غرابة –إذاً– على اعتراض كائن أو ممكن ضد مثل هذا النمط من الاتفاقيات الصارمة، المعمقة لامتيازات الاقتصاديات الغربية؛ لأن انتماء جلّ الشركات الكبرى إليها؛ لذلك بعد إحباط جهود الائتلاف المضاد لاتفاقية النافتا NAFTA عام ١٩٩٣م وإخفاقها اتّجهت الأنظار، وقويت العزائم هذه المرة على مناهضة الاتفاقية المتعددة الأطراف حول الاستثمار عام ١٩٩٧م؛ فبعد أن كانت مفاوضات منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية على مدار سنتين متوارية بعيدة من أنظار العامة تمكّن ائتلاف مواطنين دوليين من الحصول على مسودة النصّ، ووضعها على الإنترنت، وعلى إثر ذلك أصبحت الاتفاقية موضعاً لحملات شرسة قادها تحالف مرتبط بالإنترنت يضم منظمات كبرى حكومية، وجماعة المواطن العام، وجماعة أخرى تسمي نفسها مركز Premble center[٢٤]. وإذا كان مسار الاتفاقية المذكورة نمّ على توجّسات الدول المتقدمة ومخاوفها في حدّ ذاتها، وهو ما تعبّر عنه الحركة المناهضة للعولمة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا مواقف بعض مثقفيها، ومن ذلك موقف كلّ من:

التحدي لا يزال قائماً

على الرغم من الإحراز الذي حقّقته الحركة المناهضة للعولمة إلا أن التحدي مازال قائماً، والطريق لا يزال شاقاً أمام الإفرازات والضغوطات المتكررة للشركات المتعددة الجنسية، وما الصمود في وجهها بالعزيمة والثبات نفسيهما بالأمر الهيّن، وهو ما انتهت إليه بعض الجماعات المنضوية في اللواء المناهض لمخلفات العولمة، مؤكدةً أن النجاحات التي تحققت على إثر إحباط الاتفاقية لن يدوم أمداً طويلاً، ذلك ما أدركته حتى جماعة المواطن العام Public citizen في مضمون برقية بعثت بها إلى الحركة عقب إخفاق المفاوضات، وحتى من قبل أن تبدأ فرحها «ابتهاجاً باندثار الاتفاقية المتعددة الأطراف يواصل أنصار الاتفاقية من داخل الشركات والحكومات مساعيهم لإعادة إحيائها»[*].

(*) محمد علي الفرا، العولمة والحدود، عالم الفكر، العدد٣٢،إبريل٢٠٠٤م،الكويت،ص٧١.

توني كلارك Tony Clarke، ومود بارلو Maude Burlow، في كتابهما (الاتفاقية المتعددة الأطراف حول الاستثمار وخطرها على الحرية الأمريكية)، وفيه يقولان: «إن اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف تزيد من شدة التعدي على السيادة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية»[٢٥]، فإنه بالأحرى يجب فحص حال الاقتصاديات النامية وموضعها من ذلك.

ولمّا آلت إلى ما آلت إليه المفاوضات المتعلقة بالاتفاقية المتعددة الأطراف حول الاستثمار من مصيرها المعلوم انتشت وانبهجب بهذا الإنجاز ولهذا المآل المنظمات غير الحكومية المعارضة لهذه الاتفاقية؛ فهتفت جماعة المواطن العام Public citizen بإخفاق هذه الاتفاقية، ورأت أنه «نصر مؤزّر أثبت قدرة المواطن على إلحاق الهزيمة بالشركات المتعددة الجنسية»، وهلّلت جماعة مركز Premble center بهذا «النصر المهم»[٢٦].

- المناهضة من هامش العولمة:

بعد الإشارة بتفصيل الكلام إلى مظاهر التصدي المختلف ضد العولمة، خصوصاً ضد مختلف سياساتها الاقتصادية والمالية، المتمثّلة في المؤسسات المعولمة والمنتديات المعروفة، وإجمال ذلك التصدي كان ذا طابع مُروني، بيد أن الأمور تعاظمت، فتطوّرت إلى حدّ المناهضة الصلبة، الصارمة والمفجعة في وجه إفرازات الدول المجسدة للعولمة، والقصد هنا واضح يهمّ النموذج الأمريكي؛ فقد حسبوا أن العولمة والأمركة قرينان لا ينفصلان؛ فكان الجواب واضحاً بكون العولمة والإرهاب أمرين واردين يستوجبان المحاسبة والاستئصال، من هنا جاءت جدلية العولمة والإرهاب.

ألا يوجد اعتراض بديهي حول علاقة العولمة بالإرهاب؟! ألم تكن هذه الأخيرة ظاهرةً موجودةً معروفةً؟!. يأتي الجواب في الحدود المعروفة، والتداول المحصور، بعد ذلك سيتعمّم الأمر، وتتعولم بنفسها أسوةً بغيرها؛

التداول المالي شبيه بالدورة الدموية في الجسم؛ لذلك لابد للأزمة المالية من أن تتعدى نطاقها الأمريكي؛ بسبب ارتباط هذا السوق ارتباطاً عضوياً بالاقتصاد الأوربي والآسيوي



فقد «استفادت الظاهرة من العولمة؛ فانتشرت، ولم تعُدْ محصورةً في بلد محدد، أو إقليم معين، بل هي ظاهرة عالمية»[٢٧]. بذلك يتّضح الانطباق المهول بينها وبين العولمة، خصوصاً في مطلع الألفية الجديدة؛ فربما -كما يقول يحيى اليحياوي- «يتوحّدان إلى حدّ الانصهار في خاصية الظرف التي تطبع تمثّلهما، ويتقاطعان في ميزة العنف التي يسلكانها، ويتماهيان في طبيعة الوسائل التي يعتمدانها تمريراً للتمثّل إياه، أو تبريراً لما يترتّب عن ذلك التمثّل من فعل وردّ فعل؛ فهما يتكاملان؛ لكون تجلّيهما صنيعة الآخر، وكونهما وقود النار، وينهلان -فضلاً عن ذلك- من معين واحد»[٢٨].

ولعل واقعة نيويورك (١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م) تمثّل وقفة مهمة للإضاءة، ونقطةً مفصليةً إليها تتجمع صيرورة العولمة الاقتصادية، ومنها يبدأ جدال العولمة والإرهاب. لقد تغيّت الضربة التي جثمت على نيويورك وواشنطن رموز العولمة، الممثّلة في القوة الاقتصادية والمالية، التي هي منبع قيم العولمة وقوانين السوق، وبداخلها تتجلى مبادئ الليبرالية، والمبادرة الخاصة، والحرية الفردية.

ألم يكن تطرّف العمليات الإرهابية -كما يسأل عن ذلك يحيى اليحياوي- انعكاساً يوازي تطرّف العولمة، ممثّلاً في سياسة أمريكا -بالأساس- العسكرية والاقتصادية داخل المنظمات والمؤسسات الدولية ذات التوجه الاقتصادي أو المالي (البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي)، أو التجاري (OMC)، أو السياسي (الأمم المتحدة)، وهو تطرّف يجمعهما أيضاً في تماثل الوسيلة؛ فالعولمة تدفع بالحرب الاقتصادية إلى أقصاها مستثنيةً من حركيتها دولاً وشعوباً ومدناً وجهات وأفراداً وجماعات، مجردةً إياهم من سلاح المال والسلطة، ونابذة إياهم من دورة رأس المال.

والتطرّف بدوره يدفع بـ(شرعية العنف) في غياب إمكانية إسماع صوته بالمنظمات الدولية (بالنسبة إلى الدول)، أو عبر التنظيمات المتاحة (النقابات بالأساس)، أو من خلال الاحتجاجات الجماهيرية كما كان الشأن عند كلّ اجتماع دوري للدول الصناعية الكبرى والمؤسسات المالية التي تدور في فلكها؛ فلا يستبعد -تبعاً لذلك- أن تكون واقعة نيويورك وواشنطن من نتائج تطرّف العولمة، بما أنها دفع بالليبرالية إلى أقصى حدودها، وبديمقراطية السوق إلى أبعد مستوياتها، وبالفكر الواحد والفردي إلى أقصى مقاصده[٢٩].

إذا كانت العولمة انعكاساً آلياً لمناخ الحرية المختلفة للسلع والرساميل والخدمات والأفراد فالإرهاب هو حدّ موضوعي لهذه الحرية؛ إذ يتقلّص الأمن إلى مستواه الأدنى، وتتحدّد سياسات المراقبة والتفتيش من حركة السلع والأفراد، وتستباح مراقبة تنقّلات الأفراد والجماعات، ومن ثَمّ صار الإرهاب عامل تهديد لمكتسباتٍ ومزايا ما فتئت تبشّر بها العولمة، وتدافع عنها؛ كحقوق التنقّل، والمتاجرة، والكسب، والحياة، والأمن، والديمقراطية[٣٠]. بذلك تعدّ العولمة حافزاً مقدّماً، وتسويغاً متأسّساً على سوالبها وإفرازاتها المتراكمة، ثمّ تشجيعاً مبطّناً لإرهاب «تقدّم له المرجعية، وتقنّن له السبل، وتضمن له بقوة السلطة والجاه مسلكية السريان والوطن»[٣١]؛ فالعولمة بسلوكياتها وممارساتها تدويل للإرهاب، وتعدّد لمنابعه، يستوي في ذلك صاحب القضية المشروعة أو صاحب المشكل المشروع؛ فكانت الدافع المعجّل لنضج الإرهاب بأمثل صوره، كما أوصلت الرأسمالية إلى أعتى مراحلها، فأودت سياستها الجارفة إلى ضغط يسير الانفجار، هيّن الانتشار.

المراجع

(١) بول هيرست، وجرمان طومسون، ما العولمة؟، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٣، الكويت، ٢٠٠١م، ص١٥٣.

(٢) يحيى اليحياوي، العولمة.. أيّ عولمة؟، دار إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص٦٨، ٦٩.

(٣) إسماعيل صبري عبدالله، العولمة والاقتصاد والتنمية العربية، في "العرب والعولمة"، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٦٤.

(٤) بول هيرست، وجرمان طومسون، المرجع السابق، ص٣١١.

(٥) في الأزمة الآسيوية انظر: - Jacques Fontanel, Fanny Coulomb, spéculation internationale et régulation financière, AFRI, Volume VII, 2006, p: 858.

(٦) إسماعيل صبري عبدالله، المرجع السابق، ص٣٦٥.

(٧) المرجع السابق، ص٣٦٧.

(٨) جوزيف ستجلتيز، ضحايا العولمة، دار ميريت بالقاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢١.

(9) **Michel Alietta, Les déséquilibres financière globaux et le système monétaire international, AFRI, Volume VII, 2006. p: 874.**

(١٠) إسماعيل صبري عبدالله، المرجع السابق، ص٣٦٨.

(١١) جوزيف ستجلتيز، المرجع السابق، ص٢٥.

(١٢) بول هيرست، وجرمان طومسون، المرجع السابق، ص٣١٥.

(١٣) إسماعيل صبري عبدالله، المرجع السابق، ص٣٦٦.

(١٤) هانس بيتر مارتين، وهارالد شوهان، فخ العولمة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٥، الكويت، ٢٠٠٣م، ص٢٤٦، ٢٤٧.

(١٥) محمد سعيد الغضب، الأزمة المالية ونهاية العولمة، مجلة الحوار المتمدّن، انظر: http:/www.ahwar.org/debat/schow.art.asp.

(١٦) حازم الببلاوي، الأزمة المالية العالمية.. محاولة فهم: http:/moheet.com/schow_files.aspx.

(١٧) المرجع نفسه.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) محمد سعيد الغضب، المرجع السابق.

(٢٠) عبدالهادي بوطالب، العالم ليس سلعةً، في "نقد العولمة"، منشورات الزمن، العدد ٢٦، ٢٠٠١م، ص٨٦.

(٢١) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٢٢) http://ar.wikipedia.org منتدى بورتو أليجري.

(٢٣) جي آر ماندل، العولمة والفقراء، دار الحوار الثقافي، لبنان، ٢٠٠٤م، ص٩٠، ٩١.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٩٠.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٩٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ص١١٣.

(٢٧) يحيى اليحياوي، المرجع السابق، ص١١٧. وانظر أيضاً: روبرت إسحاق، مخاطر العولمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٠٩.

(٢٨) يحيى اليحياوي، الإرهاب والعولمة أو في عولمة الإرهاب، على الرابط: http.elyahaoui.org/mondial_terror.htm.

(٢٩) المرجع السابق.

(30) **Jochen Hippler, die folgen des 11 September 2001** für die internationalen Beziehungen. Landes zentrale **für politische Bildung, Baden - Wittenberg - Januar** - 2004. Seite 34-.

(٣١) يحيى اليحياوي، المرجع الإلكتروني السابق.



أكثر الكتب رواجاً في نوفمبر وديسمبر ٢٠١٤م

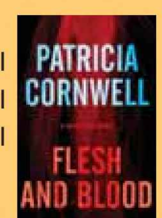
ببلشرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY



Innocence
Dean R. Koontz
Bantam

الكتاب: البراءة
المؤلف: دين ر. كونتز
الناشر: بنتام

رجل يعدّ وحدته وعزلته هبةً تقيّض له اكتشاف مجاهل الحياة والحقيقة.



Flesh and Blood
Patricia Cornwell
Morrow

الكتاب: الجسد والدم
المؤلف: باتريشيا كورنول
الناشر: مورو

رحلة بوليسية مثيرة داخل عقل الإرهابيين والقناصة وملابسات القتل العشوائي.

Leaving Time
Jodi Picoult
Ballantine

الكتاب: هجر الزمن
المؤلف: جودي بيكولت
الناشر: بالانتاين

تستقصي هذه الرواية باطن الحزن والذاكرة والأمومة من وجهة نظر أفيال السيرك وتصرفاتهم.

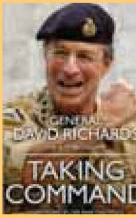
Don't Give in: Lessons From An Extraordinary Life Don't Give up,
Louis Zamperini
Harper Collins

الكتاب: لا تتوقف لا تستسلم.. دروس من حياة استثنائية
المؤلف: لويس زامبريني
الناشر: هاربر كولينز

قصة حياة زامبريني أحد أبطال أولمبياد عام ١٩٣٦م، ونزيل معسكرات النازي خلال الحرب العظمى، وقد نُشرت السيرة بعد وفاته.

صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES

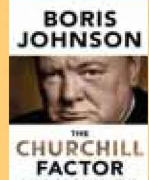




Taking Command
David Richard
Headline Publishers

الكتاب: زمام القيادة
المؤلف: ديفيد ريتشارد
الناشر: هيدلاين ببلشرز

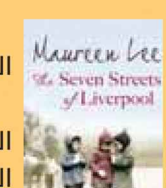
سيرة ديفيد ريتشارد؛ رئيس هيئة الأركان البريطانية، ومستشارها لشؤون سورية وليبيا، وقائد قوات التدخّل السريع في حلف الناتو وأفغانستان، وبطل الحرب الأهلية في سيراليون.



The Churchill Factor
Boris Johnson
Hodder and Stoughton

الكتاب: تشرشل.. دور الفرد في التاريخ
المؤلف: بوريس جونسون
الناشر: هودر وإستاوتن

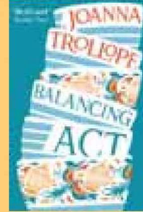
يتحدث هذا الكتاب عن دور الفرد في التاريخ، ودور الشجاعة والقوى الذاتية الخفية والقدرة الخارقة على إدارة الحرب والسلم، إلى جانب قدرات لا حصر لها.



The Seven Streets of Liverpool
Maureen Lee
Orion Books

الكتاب: شوارع ليفربول السبعة
المؤلف: مورين لي
الناشر: أوريون

أمثولة عن التصدّع الذي يصيب حياة الناس في أثناء الحروب والظروف الاستثنائية، وكيف يتمّ رأب الصدع بالثبات والتسامح وفتح القلب على مصراعيه.



Balancing Act
Joanna Trollope
Transworld

الكتاب: فعل التوازن
المؤلف: جوانا ترولوب
الناشر: ترانزورلد

أربع نساء يُدرن شركةً عائليةً إلى جانب شؤون الأسر والأطفال، وفجأةً تظهر شخصية منسية من ماضيهن تهدّد أمنهن واستقرار حياتهن العملية والاجتماعية.

يعرّف هذا الباب بالقوائم الصادرة عن مجلات ودوريات وصحف ودور نشر عن أكثر الكتب انتشاراً كلّ شهر أو شهرين حسب سياسة كلّ مؤسسة. وتزوّد (الفيصل) القارئ من خلاله بأهم الآثار الروائية وغير الروائية التي وجدت طريقها إلى إحدى القوائم المذكورة. ومع أن هذه القوائم تغلب عليها الأعمال الغربية إلا أنها تضم أحياناً بعض الأعمال المنقولة عن لغات أخرى؛ لأن المعيار الأساسي لترتيب الكتب وتصنيفها هو عدد النسخ المبيعة فعلياً، المرصودة ليس من مالك حقوق الطبع فقط، وإنما من سلطات مراقبة الدخل والضرائب في كلّ دولة.

ليبراري جورنال

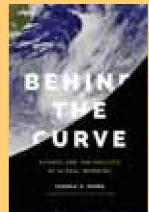
LIBRARYJOURNAL



Innovators
Walter Isaacson
Simon & Schuster

الكتاب: المجدّدون
المؤلف: وولتر أيزكسون
الناشر: سيمون وشاستر

كيف أسهمت مجموعة من القراصنة الموهوبين ومدمني الشبكات الإلكترونية في تدشين الثورة الرقمية؟ وما دور المصادفة في تطوّر العلم؟



Behind The Curve
Joshua Howe
Washington U. Press

الكتاب: ما وراء المنحنى
المؤلف: جوشوا هوي
الناشر: جامعة واشنطن

يعالج هذا الكتاب موضوع الاحتباس الحراري، والغازات الدفيئة، وموقف العلم ورجال السياسة تجاه الكارثة.



Not That Kind of Girl
Lena Denham
Random House

الكتاب: ليس هذا النوع من البنات
المؤلف: لينا دنهام
الناشر: راندوم هاوس

يقول هذا الكتاب: إن التعبير في نهاية المطاف من نصيب النساء الوديعات والحليمات.



The Boston Girl
Anita Diamant
Scribner

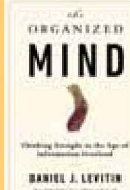
الكتاب: فتاة بوسطن
المؤلف: أنيتا ديامانت
الناشر: إسكربنر

جدة مئوية تحكي لحفيدتها مراحل حياتها الأساسية من الطفولة إلى الشباب حتى بلغت سنّ الرشد في بيئة معادية للنساء والإثنيات بمدينة بوسطن مطلع القرن العشرين.

نيويورك تايمز

The New York Times





The Organized Mind
Daniel Levitin
Dutton

الكتاب: العقل المنظّم
المؤلف: دانيال ليفتين
الناشر: دوتون

يعالج الكتاب المشكلات النفسية التي تلمّ بنا في كلّ منعطفات الحياة اليومية.

All The Light
We Can't See
Anthony Doerr
Scribner





الكتاب: كلّ الضياء الذي لا نراه
المؤلف: أنتوني دوار
الناشر: إسكربنر

قصة امرأة فرنسية عمياء تلتقي شاباً ألمانياً في أثناء الحرب خلال عملها حارسةً في متحف التاريخ الطبيعي بباريس.

Sharp Objects
Gillian Flynn
Barnes and Noble

الكتاب: أشياء حادة
المؤلف: جيليان فلين
الناشر: بارنز ونوبل

بعد سنوات طويلة قضتها في مصحة عقلية تعود كاميل إلى بلدتها للتحقيق في مقتل فتاتين، لكن عليها أن تلتقي قبل ذلك والدتها العصابية، وأختها غير الشقيقة التي لا تعرف عنها شيئاً.



A Portriat of My Father
George W. Bush
Crown Publishing Group

الكتاب: صورة والدي
المؤلف: جورج دبليو بوش
الناشر: كراون جروب

سيرة الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية بقلم ابنه جورج دبليو بوش الرئيس الثالث والأربعين.



الصورة

فكّر إن كانت هذه هي الساعة المواتية، كان يضمّ ساقيه إحداهما إلى الأخرى في حركة العقدة المعهودة التي لم يتدرّب عليها كثيراً، كانت وراثة تكاد تكون وزِّعت بالتساوي على أفراد العائلة كلهم. وبعد وفاة والديه كان باستطاعته أن يتأكد أن لا أحد سيطالبه بها، إضافةً إلى صورتين تذكاريتين، واحدة لوجه جده العجوز في شبابه وهو يلفّ رأسه بالكوفية، ومن كوّتين صغيرتين تبزغ عيناه النسريتان، فتبدو الصورة كأنها وزّعت بغُبن واضح بين البياض الضئيل والسواد الشاسع، والثانية لوالده بقامته المديدة؛ كشجرة نخيل ثابت في مكانه أكثر مما يحتمله الورق المقوّى الذي طُبعت عليه الصورة، ويشدّ إلى يمينه بندقية إنجليزية الصنع.

عندما اختار هاتين الصورتين وتهامس الجميع؛ أخوه الوحيد، وشقيقاته الأربع، كان ينقّل نظراته بين الخط الأسود المرسوم تحت أنف والده وبين ما ظهر من البندقية؛ علّه يجد علامةً ما تشي بهويتها. لقد أراد أن يشكّ أنها من النوع الألماني، وقال ذلك بصوت مرتفع للجميع؛ علّهم يقنعونه بخطئه، لكنهم لم يلتفتوا إليه، كانوا ما زالوا يتهامسون، ولم يتوقف عن البحث وهو في طريقه إلى البيت: غرفة صغيرة مستأجرة في الطابق الأرضي لإحدى العمارات المبنية على كتف الجبل من المدينة بإطلالتها الشمالية الشرقية، كانت تلك الغرفة تجمع بين مجموعة من المزايا؛ فهي تُفضي إلى ساحة صغيرة، فيها شجرة كينا وارفة، وشجرتا سرو متفاوتتا الطول، ومساحة كافية لزراعة مشتل من النعنع، كما أنها تحظى بمدخل بعيد من بوابة العمارة، وهو ما جعله يتمتع بفضيلة عدم مواجهة سكان العمارة إلا بعض الزوّار الضالّين، والأطفال الذين يُضيّعون كراتهم، وربات البيوت الباحثات عن قطع الغسيل التي تسقط من الطوابق العُلوية في الأيام العاصفة.

ظلّ يعتقد أن هناك صورة ثالثة كان يجب عليه أن يُحضرها معه من ذلك الاجتماع الأخير؛ لهيبة ما اجتمعوا لتصفيته، ووضع نقطة النهاية له: الماضي. لم يعرف أكان هناك شخص ما قد التقط تلك الصورة ولا يعرف -لو كان أحدهم فعل ذلك- أنه يستطيع أن يجدها بين مقتنيات المخزن المعتم، الذي تفوح منه رائحة العفونة، وتتكدس الأغبرة على كل ما يتراكم فيه بعضه فوق بعض، وبعضه داخل بعض. منذ ذلك اليوم حلّت تلك الصورة المجهولة وسكنت رأسه، وعلى مدار سنوات تربّت ونمت وهرمت، فكان باستطاعته -أحياناً- أن يتحسّسها، وفي أحيانٍ أُخرى كان يستطيع أن يغير في ملامح وجه صاحبها، وكلما احتاج إلى أحد يتكلم معه في وَحْدته الطويلة على كتف ذلك الجبل خرج منها ذلك الآخر، فسحب، وهو يعدّل ياقة قميصه، إحدى كراسي المطبخ، وجلس عليها بساقين معقودتين إحداهما فوق الأخرى، وتكلم إليه، وفي مرات كثيرة كان يحصل أن يتبادلا الأدوار، فيجلس هو على حافَة الإطار، عاقداً ساقيه إحداهما فوق الأخرى، بينما يجلس الآخر مقابله، ويبدأ يبثّ شكواه، وأحياناً يبكي، وقد صرخ في مرات كثيرة، حتى إنه اضطر إلى أن يطالبه بأن يخفض صوته قليلاً، فأياً كان المكان منزوياً فإن الصوت يجد طريقه إلى أذن ما، وأذن واحدة كانت تكفي لأنْ تفتعل الفوضى، خصوصاً أن طرف البناية مفتوح على خلاء ممتد، ينخفض ليحطّ في فم الوادي الذي تنفض المدينة فيه فضلات سكانها، وإلى تلك اللحظة لم تكن ثمة مخاوف من أن يظلّ شخص ما على اتصال بما ينفصل عنه قد تكوّنت لديه.

في مرات كهذه كان يحدث أن يختلط الأمر على كليهما، فيعود هو إلى الصورة، ويبقى الشخص الآخر في الخارج، ينام مكانه في السرير، يتوسد مخدته، ويستعمل في الصباح فرشاة أسنانه، وشفرة الحلاقة ومعجونها الخاصين به. لقد عرف ذلك، بل تأكد منه، وإلا لماذا أخذت تلك البثور فجأة تنمو في ذقنه؟!. إن الرجل في الصورة يعاني حساسيةً في بشرته، وإن كان باستطاعته أن يُخفي علاماتها في وجهه عندما يغير لونه من اللون الحنطي إلى الأسود، فهذا الأمر يعود إلى أسباب فنيّة، بتواطؤ واضح من المصوّر العامل في الأستوديو الذي الْتقط له الصورة قبل سنوات، لكن الحقيقة واضحة في وجهه، وقد دفعته إلى أن يستشير صاحب الصيدلية، التي تقع في مواجهة مطعم الفلافل، فيشتري من عنده تلك الدهون، كان عليه أن يواظب على وضع الدهون على ذقنه، ليس أقلّ من أسبوع، وألاّ يسمح للآخرين باستعمال شفرته الشخصية ثانية، حتى إن كان شخصاً قريباً إلى ذلك الحد.

كان إلى تلك اللحظة لا يعتقد أن هناك ما يثير الريب؛ فحياته تسير على نحو مطمئن، يصل إلى عمله قبل الموعد المحدد بنصف ساعة، يصنع فنجان قهوته بيديه، يحرّك رأسه بضع مرات، يحرك يديه بضع مرات، ينظر من النافذة مرتين، يذهب إلى الحمام مرة واحدة، لا يُطيل الحديث مع أي زميل أكثر من خمس دقائق، يصعد الدرج درجةً درجةً، وهو ما جعل الموظفين يغبطونه كلما تعطل المصعد. كان كلّ شيء يسير على النحو ذاته، حتى إنه في ذلك اليوم كان من المُقرّر أن يأكل وجبة مكونة من الفاصولياء الصفراء بأوقية من لحم الخروف، إلى جانبها صحن من الأرز المصري الذي لم يغيّره إلى أيّ نوع آخر من الأرز أياً كانت الظروف، وتحت أيّ من الأسماء؛ مثل أن تكون مناسبة عائلية؛ ففي بيت كل واحدة من أخواته ظلّ كيس صغير من الأرز المصري متروكاً لحين زيارته، يضطرهن الوقت إلى أن ينقينه من الدُّود الصغير الذي لا يمنع الملح الذي يخلطنه مع الأرز من أن ينمو فيه. كان يجلس إلى الطاولة عاقداً ساقيه كأنه في جلسة عمل، ويأكل بمتعة متفردة، كان له نوعه الخاص من الأرز الذي يؤكد باستمرار أنه -على الأقل- بتلك المزية لا يشبه كل من يشاركونه الطعام.

لقد اعتاد أن يفعل ما يتوقعه من نفسه لا ما يتوقعه منه الآخرون، وهو بذلك لم يكن -على الأقل- أسيراً للخجل الذي ينشأ عليه معظم الناس من قول: لا. وهكذا عرفه الجميع، وإن كانت تلك المعرفة حصلت على توصيفات متباينة، وربما وصلت إلى الجمع بين النقيض والنقيض؛ فهو عند بعض الناس جريء، وعند آخرين وقح، ولدى مجموعة ثالثة موضوعي؛ فقد ظلّ شخصاً مقبولاً، مثيراً للريبة، صادقاً، لا يمكن التعويل عليه في

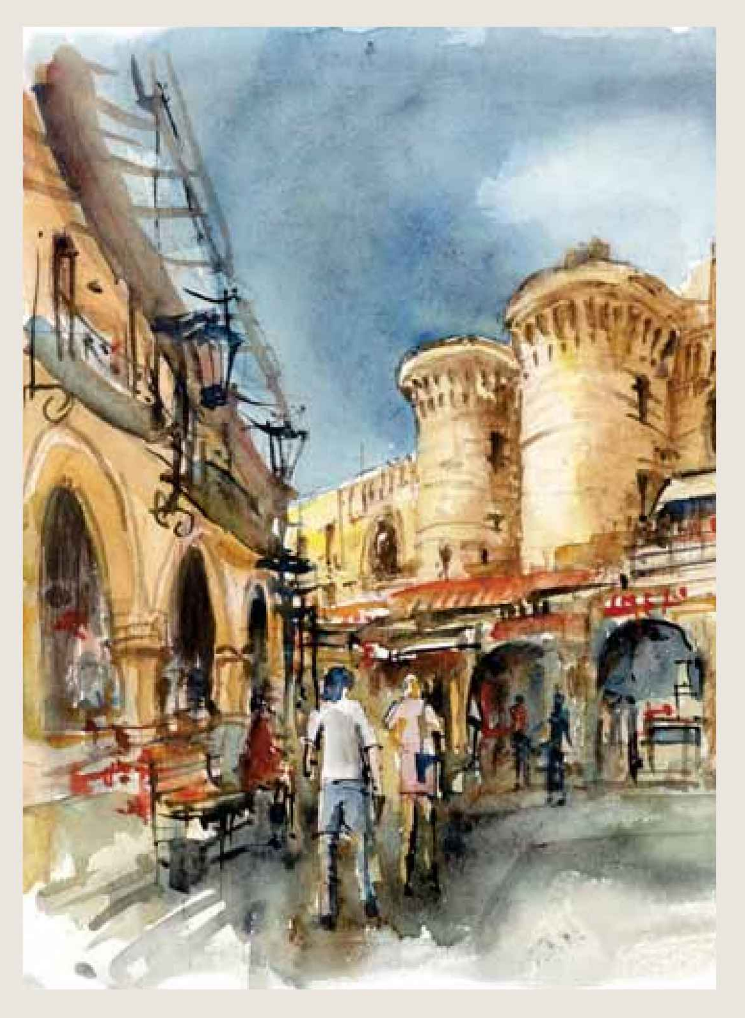
الكوارث الكبرى؛ كالحروب التي تحدث في المنطقة، والشجار بين جارين من جيرانه، أو تبادل الشتائم بين سائق تاكسي عمومي وآخر مالك لسيارة خاصة، وهو -إضافةً إلى ذلك- كان يختار الكرسي الجانبي من الصف الأول؛ ليجلس عليه تلك الجِلسة بساقيه المعقودتين، حتى إن بعض الناس فسَّر تلك الوضعيَّة بأنها محاولة للبقاء على خط الظهور في الحياة والامّحاء منها. وهكذا ظلّ يظهر في الصور، في الأنشطة العامة والمناسبات الاجتماعية، يشيح برأسه إلى الوراء، أو يلقي به على صدره، فظهرت رجلاه المعقودتان دائماً لتؤكّدا أنه هو هو، لا شخص آخر.

تحسّس وجه جده، ونظر إلى عينيه، ومسح على الخط الأسود تحت أنف والده، وحاول أن يمدّ يده داخل الزجاج؛ ليقبض على مقبض البندقية، ولم يكن التخاذل هو ما منعه من مواصلة محاولته، بل ما فكّر فيه دائماً، وما بدا له في تلك اللحظة ممكن الحدوث. دخل الحمام واغتسل، سكب كمية كبيرة من الشامبو المعطر بالليمون على جسمه، حتى غمرت رائحة الليمون غرفته الصغيرة، وفركه جيداً، فاحمرَّ جلده، وعندما وضع شامبو الشعر على رأسه فرك جلدة رأسه برؤوس أصابعه التي تحولت إلى محراث قوي بعَشْر أسنان، وكان كل ما يدور في رأسه هو ألاّ يدع مجالاً لتلك القشرة البيضاء أن تتكون على فروة رأسه، فتتساقط بسهولة على قميصه فيما لو تعرض للاهتزاز؛ بسبب يد غير رحيمة تنظف الغبار استعداداً للعيد، أو شخص لا يُقدِّر الماضي فيمد يده العابثة لتهز صورته، أو هزة أرضية تناولتها نظريات الجغرافيا بالتنبؤ، أو صاروخ سيطلقه طرف على آخر في محاولة للدفاع عن الحياة أو قتلها.

طلب سيارة أجرة، وعندما أخبره صاحب المكتب أن عليه الانتظار خمس دقائق إضافية مشى نحو الشارع الرئيس، وهناك أشار بيده إلى السيارات العابرة التي تشير لافتة صغيرة فوقها أنها للنقل الخاص، مدّ يده إلى محفظته، وأخرج خمسة عشر شيكلاً وضعها في يد السائق، وهبط من السيارة متجهاً إلى غايته. لم يبدِ خياره ارتداء قميص أبيض خاطئاً؛ فقد كانت فكرة البياض الذي ينزوي بغبن في الصورة تاركاً المساحة في أغلبها للون الأسود غير مرضية له، ولم يكن يريد أن يترك فرصاً لأخطاء المصورين، أو حتى لتعاطفهم، ولا لأذواقهم الشخصية، ولا للزمن الذي يطرح بين حين وآخر نظريات جديدة حول الجمال، وهو ما قاده في النهاية إلى ارتداء بنطلون أبيض، لم تكن فرصة عثوره عليه بالأمر السهل؛ فقد احتاج الأمر إلى شهرين، حتى وصلت شحنة جديدة من الثياب إلى البلاد، ولأن الاحتلال حجزها في الميناء كل تلك المدة فقد اضطر إلى أن يشغل نفسه بأشياء أخرى غير التفكير فيما كان قد قرره مراراً من دون أن يتقدم إلى تنفيذه؛ كأن ينشغل بالحياة؛ لأنها تعنيه بكلّ تلك الرتابة وذلك البرود اللذين يظهرانه على أنه إنسان عادي يحيا حياة عادية.

تسلل في الظلمة بين الروائح القديمة، وكان الماضي منزوياً وساكناً بهدوء، مدّ يديه وتحسس الأغبرة المتراكمة على كل شيء؛ من كتب، وملابس، وأوانٍ، وقطع أثاث، وأحذية، وأغطية، واستطاع أن يتحسس أشباحاً تتحرك في المكان، تعبر من جدار إلى آخر، تهزّ ثيابها البيضاء وهي ترقص، ثم تختفي؛ أشباح صغيرة جداً كأنها نقاط غبار، وأخرى شائخة محنية الظهر، وأشباح فتيَّة وسريعة، كان يتحسس كل ذلك، وبدأت عيناه تمضيان بعيداً منه كأنهما تصعدان قارباً، وتهيئان جلستهما على ظهره ثم ترحلان. لقد أصبح بعد وقت قصير أعمى، ولم تكن الأتربة والأغبرة هما ما جعلتاه كذلك، بل رغبته في أن يصير قطعة أثاث قديمة، أو حذاء بالياً، أو شبحاً هرماً يعبر بسرعة من الحضور إلى الغياب، من الحاضر إلى الماضي.

لقد عرف ذلك دائماً، وربما هذه هي الساعة المواتية التي كان سيحدث فيها هذا الشيء، الذي يحدث مع كل شخص، فيقابله بمفرده، وثمة آخرون يجلسون بالقرب منه، أو يشدون على يديه، أو يحتضنونه؛ إنه ما نسميه: مصيره، إنه كذلك إذاً، ولم يكن الأمر مُهماً الآن، ويده تتعرف مقبض البندقية المدفون في الماضي إلى يمين والده، صاحب الخط الأسود المرسوم تحت أنفه، الواقف مثل نخلة، وتحملها، ثم ترفعها إلى مسار موازٍ لرأسه، ثم تطلق النار؛ لتمرّ رصاصة قديمة وصدئة من إحدى أذنيه إلى الأُخرى، وهو كما يظهر في الصورة المعلَّقة على جدار تلك الغرفة الصغيرة، المنزوية على طرف المدينة، بقميص أبيض على صدره بقعة كبيرة حمراء، وعيناه مغمضتان، لا يمكن قراءتهما بمعزِل عما تُخفيه تلك الجِلسة التي قد يفسرها بعض من لا يعرفون أيّ شيء عن تَركة العائلة بأنها صورة لرجل معقود الساقين، يمثّل دور إنسان ميت، يرتدي بنطلوناً أبيض اللون.





كايل مور

تفوق الطفل البريطاني كايل مور - البالغ من العمر ١٥ عاماً من مدينة سوفولك- على مصورين محترفين، فحاز المركز الأول في مسابقة متخصصة نظّمتها جمعية الطبيعة والحياة البرية.

يقول كايل: إنه ذهب إلى الغابة صباح يوم غطّى فيه الثلج الغابة، وهو ينوي تصوير السناجب في ذلك الطقس، فكان من حسن حظه أن وقف أحد السناجب متجمداً مدة دقيقة واحدة، وهذا ما أتاح له الانبطاح أرضاً ليلتقط تلك الصورة المعبِّرة.





Kyle Moore



ناجورو اليابانية..
وادي الدمى

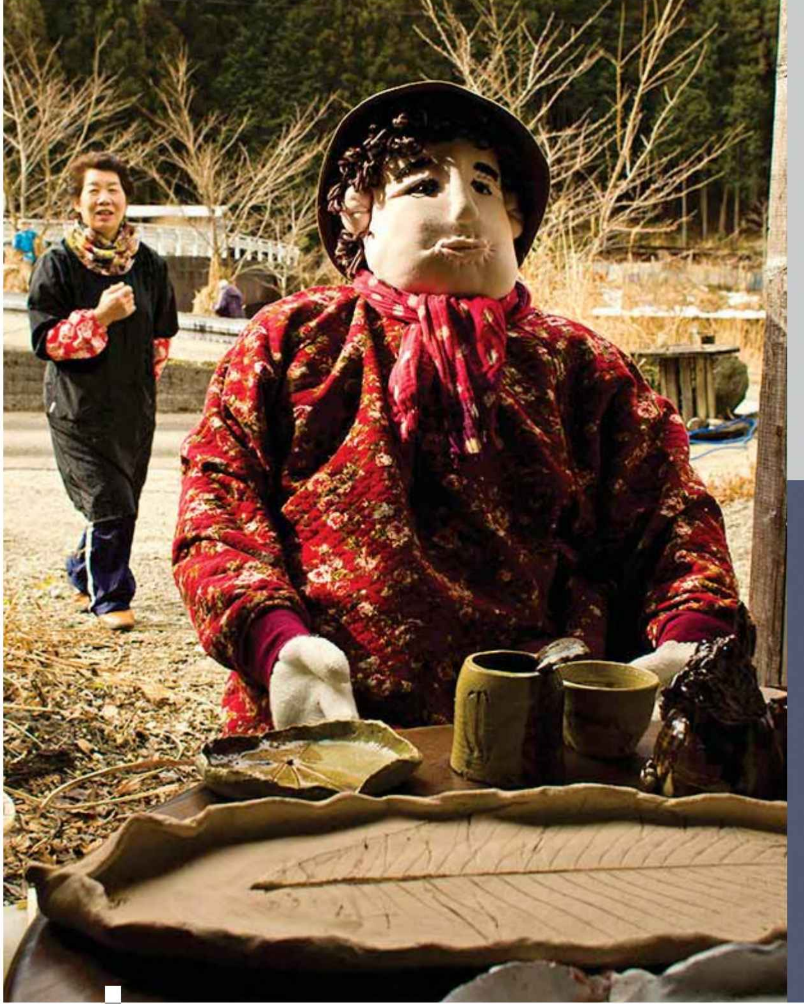
ناجورو قرية يابانية تستحقّ لقب (أغرب قرية في العالم)؛ لأن سكّانها ليسوا بشراً، وإنما دُمًى تمارس ما كان يمارسه سكان هذه القرية قبل أن يهجروها متّجهين إلى المدن للعمل أو السكن حيث الحياة تبدو أسهل، وأكثر مدنيةً، أو قبل أن يغادروا الدنيا. هذه القرية أعادت إليها الحياة واحدة من سكانها، تُوصف -مع أنها تجاوزت الخامسة والستين- بأنها أصغر أهل القرية.

اسم هذه القروية، التي هجرت قريتها كغيرها من السكان، أيانو تسوكيمي، وقد عادت إلى مسقط رأسها وكلها حنين إلى الأجواء التي ألفتها صبيةً وشابةً، لكنها وجدت القرية مهجورةً، وخاويةً على عروشها، وشقّ عليها أن تكون نهاية قريتها على هذا النحو. وعلى مدى عشر سنوات كانت تشعر خلالها بالوحدة القاتلة بدأت بصناعة دُمًى بأحجام طبيعية تمثّل مواطني القرية، الذين عهدتهم وعاشت بينهم؛ لعلها تؤنس وحدتها، وتعيد بعض الحياة التي فقدتها.

٣٥٠ دمية

بلغ عدد الدمى ٣٥٠ دمية، وزّعتها تسوكيمي في أمكنة مختلفة، وهذه الدمى تمارس حياة من تمثّلهم؛ فهناك دُمًى تنتشر في أرجاء مزرعتها، وفي طرقات القرية، وحقولها، وفي الدكان، ومحطة الحافلات، وأخرى تتسلّق الأشجار، وأسوار القرية، بل هناك مدرسة كاملة تمثّل فيها الدمى أدوار المدرسين والطلاب.

ظلّت تسوكيمي تستحضر الوجوه التي ألفتها في القرية، وتملأ أرجاءها بسكّان افتراضيين؛ فجذبت تجربتها السياح



ناجورو قرية يابانية تستحقّ لقب «أغرب قرية في العالم»؛ لأن سـكّانها ليسـوا بشـراً، وإنمـا دُمًى تمـارس ما كان يمارسه سكان هذه القرية قبل أن يهجروها



كان التفكير في هذه الدمى نتيجة حاجة تسوكيمي إلى حماية ما تزرعه من حبوب وخضراوات، وذلك بصنع فزّاعات لتخويف الغربان؛ حتى لا تأتي على الإنتاج، وكانت الفزاعة الأولى تشابه أباها، البالغ من العمر أكثر من ٨٣ عاماً. وتصنع تسوكيمي الدمى من القشّ، والنسيج، والملابس القديمة، وتقوم باستمرار بصنع الجديد ليحلّ محلّ البالي منها.

فلم وثائقي

تجد تسوكيمي صعوبات في صناعة هذه الدمى؛ فهي تبلى سريعاً؛ بسبب عوامل الطقس، وعليها تجديد الدمية كلّ ثلاث سنوات، كما أنها تعاني بُعد المسافة بين قريتها والمدينة حيث يقع أقرب مستشفى على بعد ٩٠ دقيقة من القرية، ومع هذا لا تزال تتمسّك بالعيش فيها.

تحدثت تسوكيمي عن تجربتها في فلم وثائقي تمّ إنتاجه عن قريتها، فقالت: أصابتني صدمة كبيرة عندما عُدْتُ إلى قريتي، فوجدتها خاليةً، لا حركة فيها، ولم أجد كثيراً من أصدقائي ومعارفي وجيراني، بل إن المحلات والمدارس أغلقت أبوابها بعد أن رحل كلّ الناس. وأضافت: انتابني الخوف في البداية، لكن بالحنين الفطري إلى المكان، والشوق إلى ذكريات الماضي، استطعتُ التغلب على مخاوفي، وتشجّعتُ على

على زيارة القرية، وتعرّف هذه التجربة المثيرة، وهي لا تملّ من ترديدها بصيغ مختلفة، وتجد التعاطف منهم، وتقول: لولا هذه الدمى لمرّ هؤلاء على القرية مرور الكرام من غير توقف، أما الآن فإنهم يأتون إليها خصيصى، ويجدون المتعة في التجوال في أركانها.

الفلم الوثائقي الذي تمّ إنتاجه عن القرية ومشروعها يحمل عنوان: (وادي الدمى)، وقد أسهم في التعريف بصاحبة التجربة، وقريتها التي لا يزيد عدد سكانها على ٣٧ شخصاً، والتي تقع في أودية جزيرة شيكوكو اليابانية. وتصرّ هذه الفنانة على البقاء وحيدةً في هذه القرية، بينما يعيش زوجها وابنتهما في أوساكا، التي عادت منها شوقاً إلى قريتها.

هذه القرية واحدة من ١٠ آلاف قرية ومدينة في اليابان تعاني بسبب انخفاض نسبة المواليد، وزحف الشيخوخة إلى سكانها، ومفارقة كثيرين منهم الحياة، مع عدم وجود من يحلّ محلهم. ويتناقص عدد سكان اليابان باستمرار؛ فقد بلغوا نحو ١٢٨ مليون في عام ٢٠١٠م، ووفقاً لمعدلات المواليد الحالية يُتوقَّع أن ينخفض العدد إلى ١٠٨ ملايين في عام ٢٠٥٠م، وإلى ٨٧ مليوناً بحلول عام ٢٠٦٠م.



الفلـم الوثائقي الذي تمّ إنتاجه عن قرية ناجورو

أسـهم في التعريـف بصاحبة التجربة، وقريتهـا التي لا يزيد عدد سكانها على ٣٧ شخصاً



البقاء. حاولت في البداية زرع الحقول، لكن -وأسفاه- حتى النباتات لم تنمُ، فقمتُ بصناعة فزّاعة، ووضعتها وسط الحقل، وكانت الفزاعة تشبه والدي، ومن هنا راودتني فكرة صناعة الدمى على هيئة أشخاص غادروا القرية إلى أمكنة أخرى، أو ودّعوا الحياة، وأقوم بتوزيعها على أمكنة القرية وشوارعها في مشهد سينمائي واقعي جداً؛ من أجل تشجيع الناس على العودة، وزيارة القرية. ولم تنسَ تسوكيمي نفسها؛ فقد صنعت دميةً تشبهها.



قرية سياحية

ظلّت تسوكيمي تستحضر الوجوه التي ألفتها في القرية، وتملأ أرجاءها بسكّان افتراضيين؛ فجذبت تجربتها السياح، الذين أصبحوا يحرصون

حسن بن محمد | تونس

برايل.. أعمى أنار الدروب

وُلد لويس برايل عام ١٨٠٩م في قرية صغيرة تبعد نحو ٤٠٠ ميل من العاصمة الفرنسية باريس، وفقد بصره وهو لا يزال طفلاً صغيراً نتيجة حادث منزلي تمثّل في أنه ذات مرة بينما كان والده منهمكاً في عمله في حياكة الجلود غافله وأخذ منه إبرةً كبيرةً ومطرقةً وقطعةً من الجلد، ووضع قطعة الجلد على الأرض، وثبّت عليها الإبرة، وأخذ يطرق عليها محاولاً إدخالها في القطعة مثلما كان يفعل أبوه، لكن الإبرة أفلتت من يده، وصدمت عينه، وجرحتها جرحاً عميقاً تسبّب له في التهاب العصب البصري، فقد على إثره البصر في عينه اليسرى، ولما بلغ سنّ الثالثة عشرة من عمره امتد الالتهاب إلى عينه الأخرى، وبذلك أصبح كفيفاً تماماً. لكن هذا الأمر لم يكن عائقاً أمامه للمضيّ في طريق العلوم والمعرفة والاكتشافات.



الصحف والمجلات ساندت لويس برايل، وأيّدته ودعمت طريقته، وكان من نتيجة هذه الدعاية الصحفية المكثفة أن اعترفت الحكومة الفرنسية باكتشافه

التفكير في طريقة أيسر

تلقّى برايل دراسته في المعهد القومي للمكفوفين في باريس، الذي كانت أوضاعه غير جيّدة؛ إذ كان الطلاب يحصلون في العادة على الخبز والماء للطعام، بل أحياناً كانت تُساء معاملتهم نوعاً من العقاب. ومع ذلك كان برايل طالباً متفوّقاً في المعهد في عدة علوم؛ مثل: الرياضيات، والعلوم، والجغرافيا، والموسيقا، وكانت طريقة القراءة المتّبعة في ذلك المعهد تعتمد أساساً على لمس حروف كبيرة من المعدن، ورأى برايل أن هذه الطريقة المتعبة تأخذ كثيراً من الوقت والجهد؛ بسبب طول الحروف وثقلها؛ لذلك ظلّ مدةً طويلةً يفكّر في كيفية التوصل إلى طريقة بديلة تكون أكثر يسراً وبساطةً.

ولما بلغ سن العشرين من عمره تمّ تعيينه مدرساً في المعهد الذي تعلّم فيه، وفي أحد الأيام تصادف أن سمع شخصاً يقول: إن أحد ضباط الجيش الفرنسي اكتشف طريقةً للاتصال الصامت بالجنود التابعين لوحدته من خلال استعماله رموزاً اتّفق عليها معهم مسبقاً.

شدّت الفكرة برايل، وسعى إلى مقابلة هذا الضابط، واسمه شارل باربيار؛ ليسأله عن الطريقة الصامتة التي اعتمدها في التواصل مع جنوده، وبالفعل وصل إليه، فأخبره الضابط أنه يمكن صنع علامات معيّنة باستخدام الضغط على قطعة من الورق؛ فمثلاً: نقطة واحدة تعني (تقدّم)، ونقطتان تعنيان (تراجع)، وهكذا. بدأ برايل عمله لتطوير هذه الفكرة، وكان مصراً على أن يصل إلى هدفه، وأن يستخدم في ذلك أقلّ عدد ممكن من النقاط؛ بغية تسهيل إتقانها من جميع المتعلمين. وفي عام ١٨٢٩م نجح في تكوين حروف الكتابة باستخدام ستّ نقاط فقط، وأخذ يجرّبها ويعلّمها في المعهد، وفي عام ١٨٣٩م نشر طريقته حتى يطّلع العالم عليها، وعلى الرغم من مقاومة كثيرين، واعتراضهم على هذا الاختراع الجديد، إلا أنه لم يستسلم، وظلّ مصراً على تعليم هذه الطريقة الجديدة لتلاميذه.

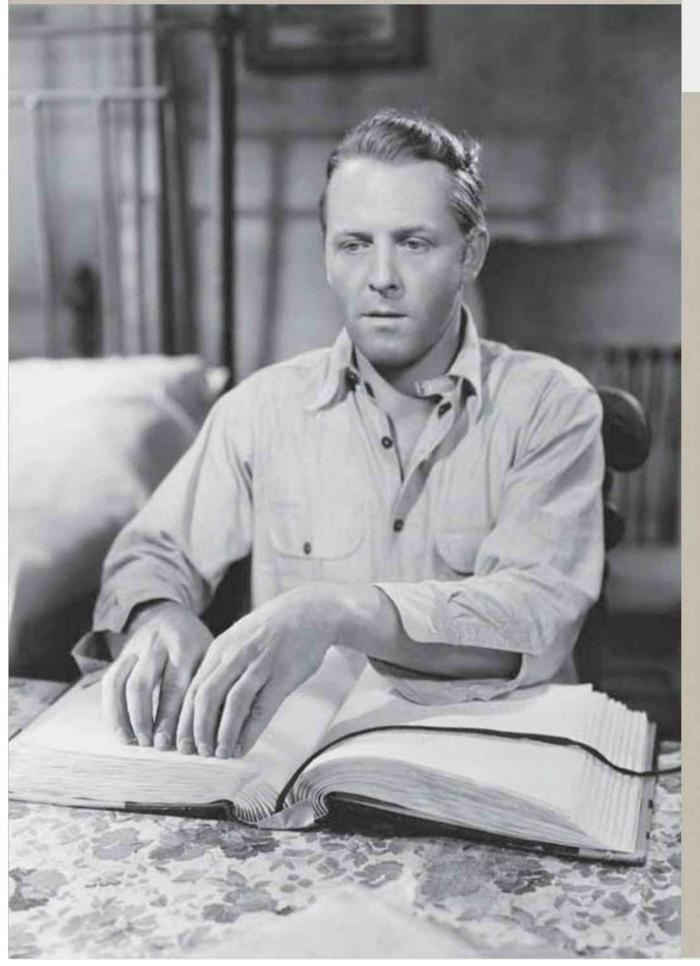
حياته لم تذهب هباءً

ساندت الصحف والمجلات لويس برايل، وأيّدته ودعمت طريقته، وكان من نتيجة هذه الدعاية الصحفية المكثفة أن اعترفت الحكومة الفرنسية باكتشافه، وعندما سمع برايل هذه الأخبار الجميلة قال والدموع تملأ عينيه: «لقد بكيتُ ثلاث مرات في حياتي: الأولى عندما فقدتُ بصري، والثانية عندما اكتشفتُ طريقتي، وهذه هي المرة الثالثة، وهذا الأمر يعني أن حياتي لم تذهب هباءً».

وتقوم كتابة برايل في الأساس على ستّ نقاط أساسية: ثلاث منها على اليمين، وثلاث أخرى على اليسار، ومن هذه النقاط الستّ تتشكّل جميع الأحرف والاختصارات والرموز. أما طريقة قراءة هذه الأحرف، فإنها تتم من اليسار إلى اليمين؛ فالنقطة العليا إلى اليسار تسمى رقم (١)، والتي تحتها رقم (٢)، والتي تحتها رقم (٣)، ثم ننتقل إلى الصف الثاني؛ فالنقطة العليا تسمى رقم (٤)، والتي تحتها رقم (٥)، والتي تحتها رقم (٦).

وفي أحد الأيام، كانت إحدى تلميذات برايل تعزف على (البيانو) في أحد أكبر مسارح باريس، ولما انتهت صفّق لها الحاضرون بإعجاب، فاقتربت من الجمهور وقالت: «لستُ أنا من يستحقّ هذا التقدير، بل الرجل الذي علّمني عن طريق اكتشافه الخارق، وهو الآن يرقد في فراش المرض وحيداً».

شدّت فكرة الاتصال الصامت برايل، وسعى إلى مقابلة الضابط صاحب الاكتشاف، واسمه شارل باربيار، وبالفعل وصل إليه



BRAILLE ALPHABET

a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z

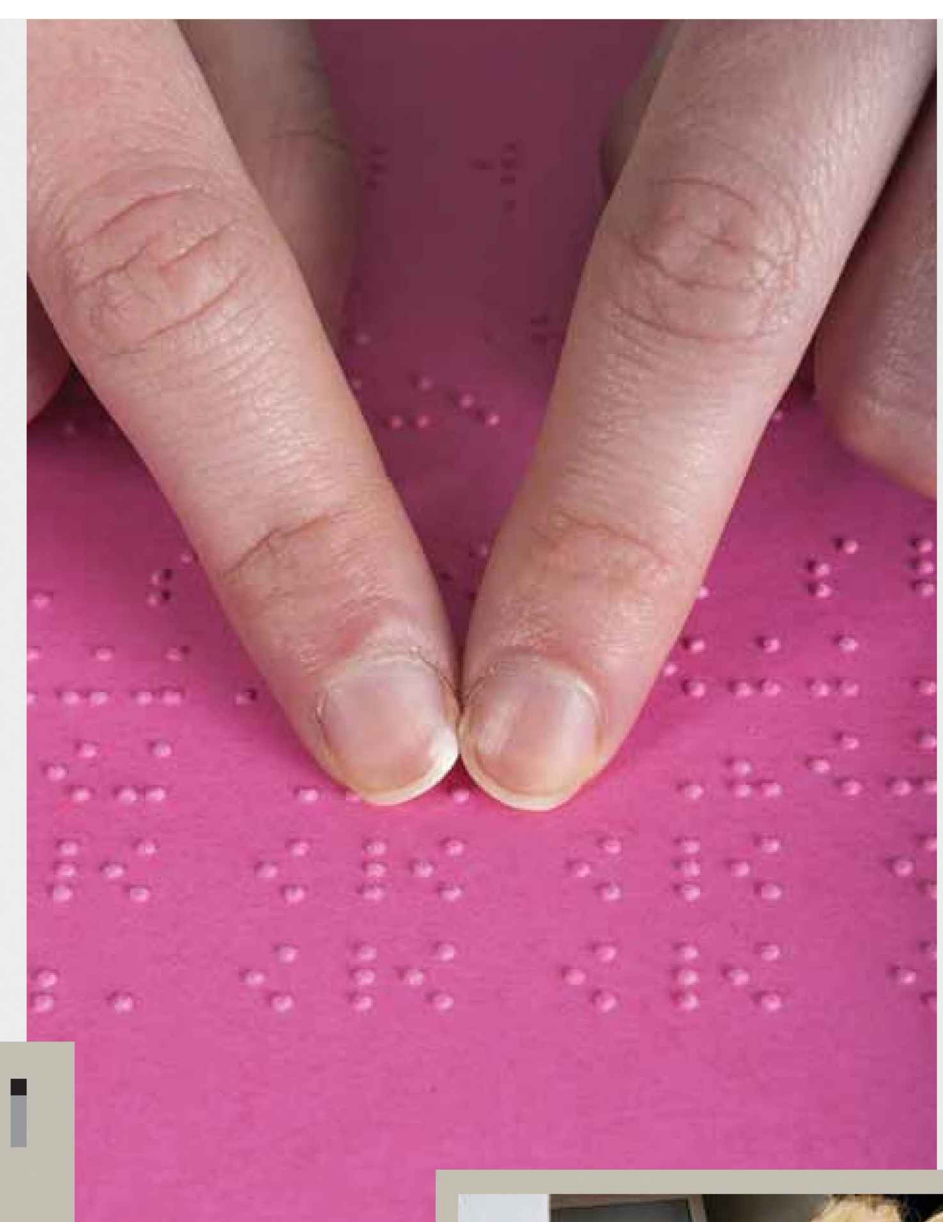
1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

Capital letter follows — Number follows — Question mark ? — Exclamation mark !

Period . — Comma , — Apostrophe ' — Opening quotation mark " — Opening parenthesis (

Hyphen - — Colon : — Semicolon ; — Closing quotation mark " — Closing parenthesis)

1 2 3 4 5
6 7 8 9 0



معاناة وتكريم

كان برايل يعاني مرضاً في الجهاز التنفسي منذ طفولته، وظلّت صحّته تسوء مع مرور الزمن، وهو ما اضطرّه إلى الاستقالة من وظيفته مع اشتداد المرض عليه. وعندما وصل مرضه إلى مرحلة متأخرة لاذ ببيت عائلته في كوبفراي، وتُوفّي في ٦ يناير عام ١٨٥٢م بعد يومين من بلوغه سنّ الـ٤٣. وفي عام ١٩٢٩م؛ أي: بعد مئة سنة من توصّله إلى اختراع هذه الطريقة، احتفلت فرنسا بذكراه، وأقامت له تمثالاً في مدينته الصغيرة، وعندما أُزيح الستار عن التمثال أصبح في استطاعة مئات المكفوفين أن يرفعوا أياديهم ليتمكّنوا من لمس وجه الرجل الذي أنار لهم الطريق.

يبقى لويس برايل واحداً من الذين عانوا نقصاً كبيراً ومؤرقاً في حياتهم، لكنه لم يستسلم، وكافح من أجل تجاوز كلّ الصعوبات والعراقيل التي تحول دون أن يمارس حياته بشكل طبيعي، فحقّق نجاحاً باهراً أضاء له طريقه، وأنار دروب الآخرين، وخلّد اسمه عبر التاريخ في قائمة المشاهير.

في عام ١٩٢٩م؛ أي: بعد مئة سنة من توصّل برايل إلى اختراع هذه الطريقة، احتفلت فرنسا بذكراه، وأقامت له تمثالاً في مدينته الصغيرة



ذاكرة الوقت

عقرب
يلدغُ أوراقي
يتنفّس حبري
كلُّ يوم يأتي بدونه
غير آت.

لحظة
تنام داخل وسادتي
تفيق
تداعبُ رمشي
تتسلّلُ بين أصابعي
تطيرُ عمَّا قليل.

ثانية
مُرةٌ أنتِ
تعبُرين..
تسرقين..
تشربين ماء وقتي
كم لئيمةٌ أنتِ!!

دقيقة
يا شقية
جدران القلب ضاقتْ بك
كفاكِ تبعثرين الدقائقَ!!

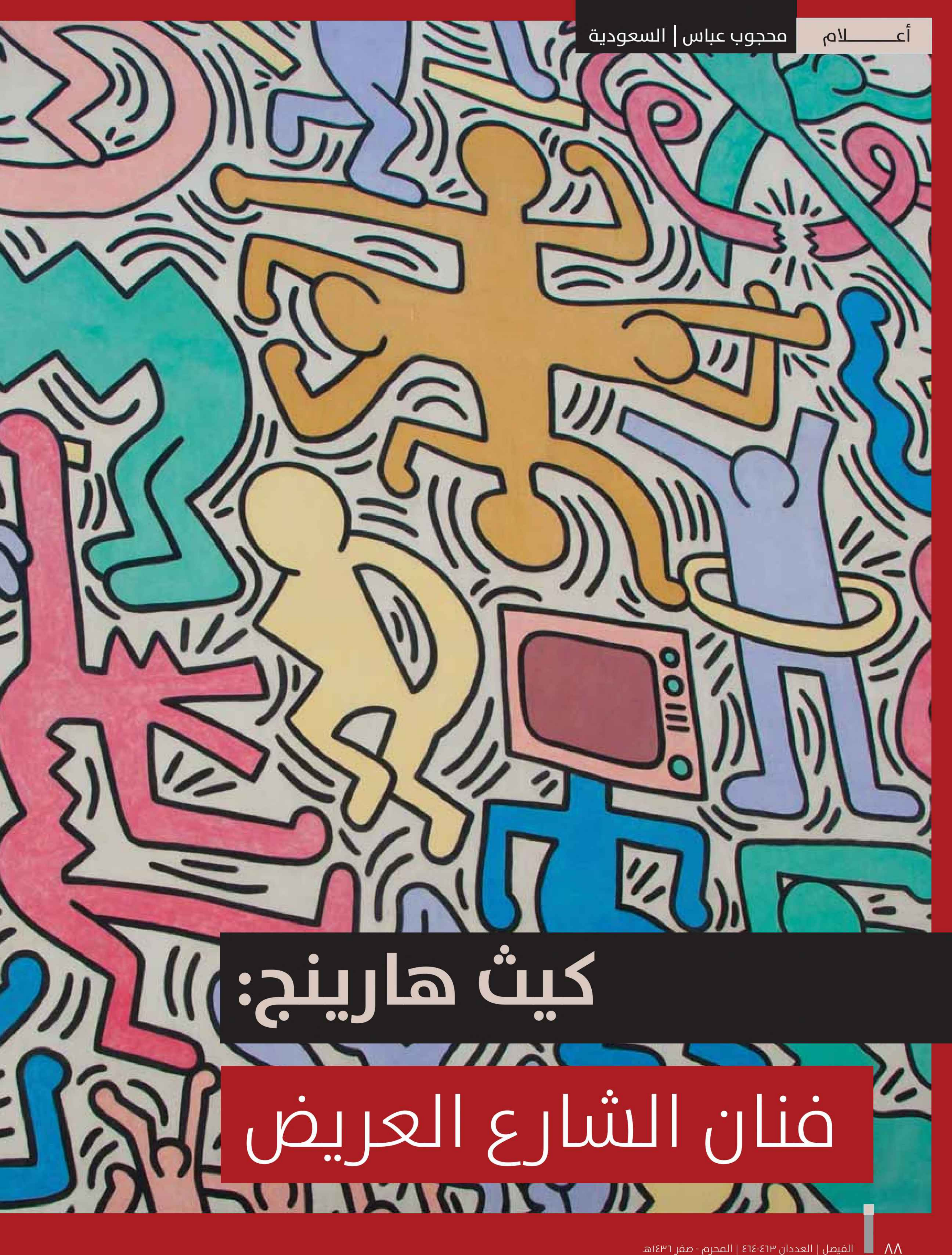
ساعة
تعالَيْ
دقات قلبِك
بطيئة.. سريعة
في فمي ألف حكايةٍ
قبلةٌ
وسؤال.

منتصف الظلام
يصيبُني الدُّوار
كلّما لاحَ ظلّ الثانية عشرة قمراً
أتبدأ اليومَ بحكمةٍ
وَتُنهِيه بإعصار؟!

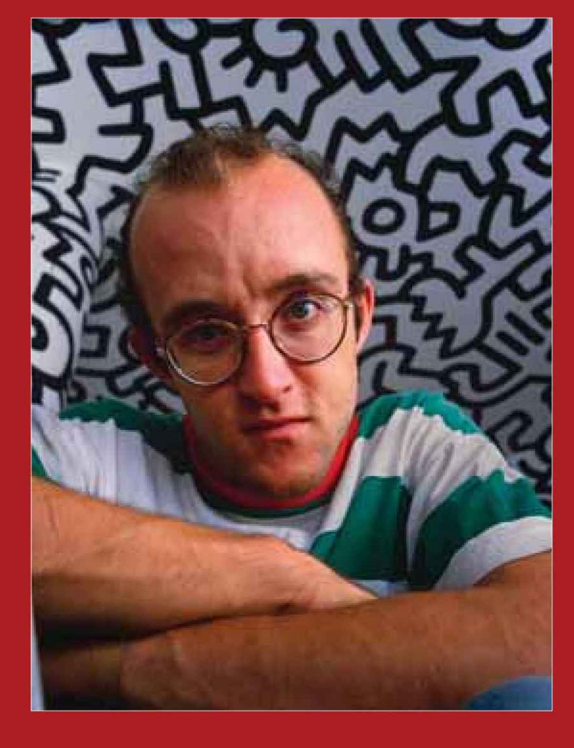
يوم
يومٌ يؤثِّث ليومٍ آخر
يسدل الستار
لا أحدَ يراه
عينانِ نائمتان
وفمٌ متعب.



اللوحة بريشة الشاعرة



كيث هارينج:
فنان الشارع العريض



كيث هارينج فنان أمريكي وناشط اجتماعي طالت شهرته الآفاق، وُلد عام ١٩٥٨م في ولاية بنسلفانيا لعائلة من الطبقة المتوسطة، ومات في مقتبل العمر عام ١٩٩٠م وهو في سنّ الحادية والثلاثين، وهو أحد أهم فناني البوب آرت، أو الفن الشعبي، داخل أمريكا وخارجها. كان ميالاً إلى الرسم في سنّ مبكرة متأثراً بأفلام ديزني الكرتونية ورسومات دكتور سوس. وقضى عامين بعد تخرّجه في الثانوية في مدرسة الفنون الحرفية بمدينة بتسبرج، ثم واصل دراسته الفنية عام ١٩٧٨م في مدرسة الفنون البصرية في نيويورك. وكانت المدينة تشهد في ذلك الوقت مولد تيار فني جديد عُرف باسم (فن الشارع)، وكانت من أهم عناصره أعمال الجرافيتي والرسم في محطات مترو الأنفاق، والساحات الكبيرة، وواجهات المباني، والمعالم الرئيسة لمدينة نيويورك. نفّذ كيث أول رسوماته بالطباشير في محطات المترو، متأثراً بأصدقائه من ناشئي الفنانين، من أمثال: كجان باسكويت، وكين إسكارف، وسرعان ما جذب الأنظار إليه بأسلوبه المشعّ المفعم بالحياة، وخطوطه القوية التي لا نظير لها في حينه. وعن تلك الحقبة قال تسنج كونجشي أحد أهم نقّاده ورُعاته: تعامل كيث مع مدينة نيويورك كما لو كانت قطعةً من القماش أو غطاء (الباش)، يرسم فيها تصميماته الجرافيتية كيفما شاء.



هارينج تعامل مع مدينة نيويورك كما لو كانت قطعةً من القماش أو غطاء (الباش) يرسم فيها تصميماته الجرافيتية كيفما شاء

الرؤية ومصادر الإلهام

تعامل هارينج مع مدينة نيويورك ومترو الأنفاق والساحات الكبرى كما لو كانت رقعة أو قطعة قماش أو ورقاً ينفّذ فيه رسوماته، وكانت بصمته الفنية الأساسية في بداية عهده الطفل الذي يشعّ ضياءً وحبوراً، أو الكلب الذي ينبح شيئاً غامضاً في النجوم، أو طبقاً طائراً، أو قلوباً كبيرة، أو شخوصاً لهم رؤوس تشبه أجهزة التلفاز. وقد شدّت رسومات الجرافيتي هذه انتباه مستخدمي المترو، وسلطات مدينة نيويورك، فاعتقل هارينج عدة مرات بتهمة التخريب والاعتداء على الممتلكات العامة.

الأعمال الأولى لكيث هارينج هي تلك التي خلّدها المصور تسنج كونجشي، وهي صور للرسومات الكثيرة والمعارض الفنية الفردية والجماعية التي ساهم فيها كيث في أندية أو معارض ميدانية؛ كمعرض التايمز إسكوير. وأول مرة خلال مسيرته الفنية عرض كيث في التايمز إسكوير وجوهاً لحيوانات، وأخرى لبشر. وفي عام ١٩٨١م، صمّم أوّل رسومات الطباشير على ورق أسود، وعلى المعادن، والبلاستيك، والأشياء الصناعية والطبيعية ذات الطابع الجمالي.

من مترو الأنفاق إلى العالمية

منذ عام ١٩٨٢م، وبتشجيع من أصدقائه الفنانين؛ كمادونا، وفوتورا، وباسكويت، نفّذ هارينج أعمالا جداريةً وعامةً في أكثر من خمسين مدينة أمريكية وأجنبية، ويمكن مشاهدة جداريته الضخمة (كراك في واك) من أيّ نقطة في طريق روزفلت. وصادق هارينج كذلك الفنان المعروف أندي وارول Andy Warhol، وكان موضوع كثير من لوحاته، من أشهرها (فأر أندي)، وكان لهذه الصداقة دور كبير في شهرة هارينج، خصوصاً بعد وفاة الاثنين. وفي عام ٢٠٠٧م اكتشف أحد الصحفيين أحد أهم رسومات هارينج في ساحة مصنع نسيج بحي تريبيكا في نيويورك، وقيل: إن الرسم يعود إلى عام ١٩٧٩م.

رسـومات هارينـج الجرافيتية شـدّت انتباه مسـتخدمي المترو وسـلطات مدينــة نيويـورك، وقـد اعتقـل عـدة مرات بتهمة التخريب والاعتداء على الممتلكات العامة











هارينـج: مؤسسـتي الفنيـة هـي مجرّد امتداد لما كنت أفعله في محطات المترو، ورسـالتي الكبرى هي تحطيـم الحواجز الوهمية التي أقيمت بين الفن الشعبي العادي والفن العالي

بيانات شخصية

الاسم: كيث ألين هارينج.

الوظيفة: فنان وناشط اجتماعي.

تاريخ الميلاد: ٩ مايو عام ١٩٥٨م.

تاريخ الوفاة: ١٦ فبراير عام ١٩٩٠م.

التعليم: خرّيج مدرسة الفنون الحرفية في مدينة بتسبرج، وخرّيج مدرسة الفنون البصرية في نيويورك.

دُعي هارينج إلى زيارة أستراليا عام ١٩٨٤م؛ فنفّذ جداريات في ملبورن، وسدني، والمتحف الوطني في فيكتوريا، والمركز الأسترالي للفنون المعاصرة، ونفّذ كذلك عقوداً في ريو دي جانيرو، وباريس، ومينابولس، ومانهاتن. ومن ضمن الأعمال التي صمّمها المعطف أو السترة التي ارتدتها المغنية مادونا في برنامج الرقص الشهير (الذهب الصافي). وعندما سُئل هارينج مرةً عن التوظيف التجاري لموهبته وأعماله قال: «بوسعي كسب كثير من المال لو رسمتُ أشياء بعينها، ثم عرضتُها بأسعار ضخمة، لكن مؤسستي الفنية هي مجرّد امتداد لما كنتُ أفعله في محطات المترو. إن رسالتي الكبرى هي تحطيم الحواجز الوهمية التي أقيمت بين الفن الشعبي العادي low art والفن العالي High art». وبحلول مرحلة المتجر الشعبي Pop Shop في منتصف الثمانينيات اكتسبت أعمال هارينج أبعاداً اجتماعيةً وسياسيةً جديدةً؛ كمعاداة التفرقة العنصرية في جنوب إفريقية، وحملات التنوير بمرض الإيدز ومخاطر المخدرات. وفي عام ١٩٨٧م أقام هارينج معارض فردية خاصة في هلسنكي، وأنتويرب، وأمستردام، وبرلين، التي أكمل فيها لوحةً جداريةً لدى بوابة براندنبرج، وأخريات داخل مستشفيات ودور علاج فرنسية وأمريكية؛ كتلك التي تحتلّ واجهة مستشفى نيكر المعروف في فرنسا.

فنّ الشارع (ستريت آرت)، أو الفن الشعبي (بوب آرت)، هو الإضافة أو المساهمة الأساسية لهذا الفنان الذي اختار الشارع والجدران ومحطات المترو والساحات العامة وسيلةً للتعبير وإشاعة الفن، وجعل اللوحة في متناول الجميع، بل فرضها عليهم؛ ليتأمّلها من شاء، وينصرف عنها من شاء. إنه الفنّ المبذول للجميع من دون مقابل، والمنتقل بكلّ بساطة من شرنقة الذات الفردية المحدودة إلى رحاب الآخر والفضاء المحلي والكوني الذي يسع الجميع.

اتّضح في عام ١٩٨٨م أن هارينج مصاب بالإيدز، وفي عام ١٩٨٩م أسّس هارينج مؤسسةً باسمه لمكافحة هذا المرض، ورعاية المصابين به ودعم جمعيات رعاية الأطفال المرضى عن طريق التنازل لها عن امتيازات أعماله ومعارضه ومطبوعاته وحقوقها. تُوفّي هارينج في فبراير عام ١٩٩٠م، وهو في الحادية والثلاثين من عمره. وقد زادت شهرته بعد وفاته، وأُودعت أهم أعماله في متحف الفن الحديث بنيويورك، ومتحف وتني الشهير، ومتاحف لوس أنجلوس وميامي وأمستردام.

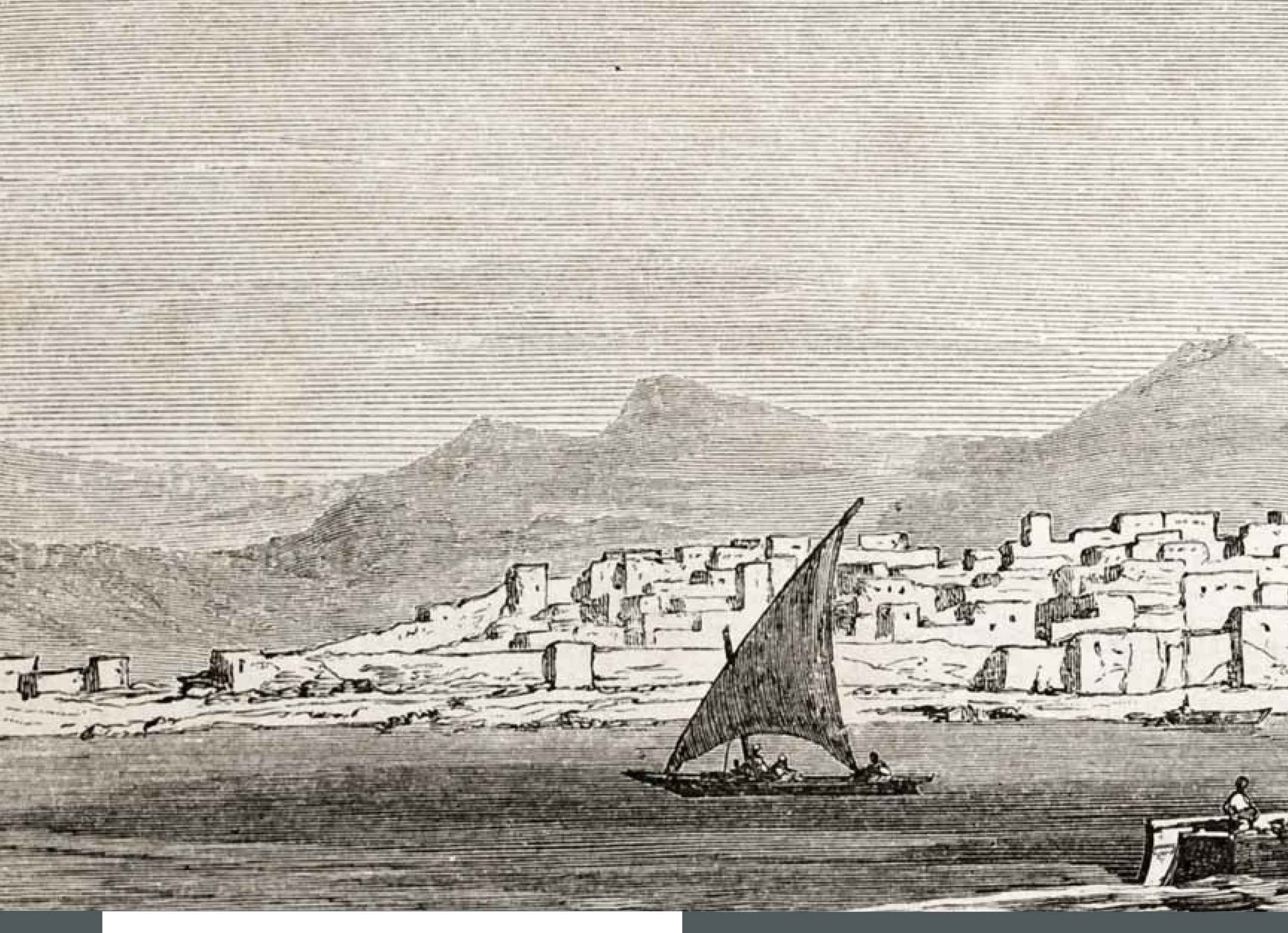
خلف أحمد أبو زيد | مصر



جواز السفر

في الحضارة الإسلامية

قـد يظـنّ بعض الناس أن جواز السـفر الحالـي من مبتكـرات العصور الحديثة، ومسـتنبطات المدنيـة المعاصرة. والحقيقة هي غير ذلك تماماً؛ فقد كان جواز السفر من الأمور التي سبق إليها المسلمون منذ قرون طويلة؛
إذ كان يُعـرف لديهـم بنظـام: جـواز المرور، أو جواز السـفر، أو بطاقة الطريق، وذلك في تلك العصور الزاهرة، التي شـهدت اتّسـاع رقعة الدولة الإسـلامية، حتى لجأ المسـلمون إلى ابتكار جواز السـفر بهدف مواجهة تسلّل الغرباء من جواسيس وقطّاع طرق؛ من أجل الحفاظ على أمن البلاد وسـلامتها، وجعلـوه مـن الوسـائل الضرورية، يحملـه كلّ من يدخل بلـداً، أو يجتاز حدود دولة إلى دولة أخرى، سـواء في مهمة رسـمية من قبل دولته أو في مهمة غير رسـمية كالعمل والتجارة والسـياحة، وغير ذلك من شـؤون السـفر. ونعيش في هذه السـطور مع رحلة جواز السفر في الحضارة الإسـلامية؛ لنرى كيف أن المسـلمين قد حدّدوا خلاله صفة حامله، وهيئته، وما يحمله معه من نقود وأمتعة، في صورة مبسّـطة دقيقة تدلّ على مدى رقيّهم وتقدّمهم في تلك العصور التي شـهدت ازدهار الحضارة الإسـلامية.



ذكـر النـووي فـي كتابـه «بسـتان العارفيـن» أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع السفر إلى أرجاء الدولة إلا بإذن منه لمدة معينة، وبوثيقة موقّعة بخطّ يده

ظهور جواز السفر في الحضارة الإسلامية

تذكر المصادر التاريخية أن جواز السفر من الأمور التي سبق إليها المسلمون؛ فقد ذكر النووي في كتابه (بستان العارفين) أن «أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع السفر إلى أرجاء الدولة إلا بإذن منه لمدة معينة، وبوثيقة موقّعة بخطّ يده؛ إذ رأى أن الدسائس والفتن بدأت تدخل على المسلمين»[١]. لكن بعض الباحثين يرجع بدايات اتّخاذ جواز السفر عند المسلمين إلى أوائل المئة الثانية للهجرة في ديار المشرق في مصر والشام والعراق. ومما يدعم هذا الرأي العثور على وثيقة لجواز سفر كان معمولاً بها خلال تلك المدة، أوردها المستشرق جروهمان في كتابه (أوراق البردي العربية)، ونصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله بن عبيدالله، عامل الأمير عبدالله بن الحبحاب على أهل أشمون لقسطنطين، شاب أبط، بخدّه أثر، وبعنقه خالان، سبط، من أهل بسقنون من أعلى أشمون، إني أذنتُ له أن يعمل بأسفل أشمون؛ لوفاء جزيته، والتماس معيشته، وأجّلته شهرين من مستهلّ ذي الحجة إلى انسلاخ المحرم سنة ستّ عشرة ومئة، فمن لقيه من عمال الأمير أو غيرهم فلا يتعرّض له في ذلك الأجل إلا بخير، والسلام على من اتبع الهدى، وكتب طليق في مستهل ذي الحجة تمام سنة عشرة ومئة»[٢].



بلـغ الاهتمـام بجـواز السـفر فـي عهـد الدولـة الطولونية مبلغاً عظيماً؛ إذ كان لا يجوز لرجل أن يخرج من مصر على عهدهم إلا بجواز

في العصـر المملوكي وُضع نظام دقيـق لجوازات المـرور التـي كانـت تُعرف فـي ذلك العهد بـأوراق الطريق؛ فلم يكن أحد يستطيع مغادرة الناحية التي يقيم بها إلى ناحية أخرى من دون إذن وليّ الأمر

صيغة أول جواز سفر في العصر الإسلامي

• أن يكون طالب الجواز حسن السيرة والسلوك، وأن تكون ذمّته بريئةً من الضرائب، وذلك قبل إعطائه الجواز.

• كتابة العلامات المميزة والفارقة في جسـم حامل هذا الجواز بأنه شـاب أبط؛ أي: حسـن الخلق، وسـبط؛ أي: مستقيم الجسم، وفـي خـدّه وعنقه فوارق يتميّـز بها من غيره؛ لتسـهيل العثور عليه في حالة إخلاله بالمدة المحددة، وكذلك وسيلة من وسائل التحقّق من الشـخصية قبل ظهور التصوير، الذي سـهّل كثيراً من الأمور في طريقة تعرّف الشخص المراد.

• إعطاؤه مدة معلومة (شهرين)، وأنه لا يُعطى الجواز من مدينة داخـل البلاد إلـى أخرى داخلها، وهذا أمر لـم يُعهد في المدنية المعاصـرة إلا في حالة سـمّوها فـي عصرنا: حالة الطـوارئ، بألا يرخّـص لأحد بالإقامـة ببلد داخل بلاده إلا بإذن خـاصّ، حالة الدخول وحالـة الخـروج، عدا التوصيـة بحامل الجـواز كما هو الشـأن في جوازات السفر في أيامنا.

جواز السفر في العصور الإسلامية المختلفة

إذا تتبّعنا مسيرة جواز السفر في العصور الإسلامية المختلفة نجد أن الاهتمام به بلغ في عهد الدولة الطولونية مبلغاً عظيماً؛ إذ كان «لا يجوز لرجل أن يخرج من مصر على عهدهم إلا بجواز»[٣]، وفي بلاد الشام وأطرافها يرجع صدور أول جواز سفر إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وتحديداً سنة ٢٤٢هـ في أثناء حكم المعتضد بالله العباسي، الذي جاء في سيرته أنه «كان شهماً عاقلاً، ظاهر الجبروت، وليّ الخلافة والدنيا خراب، والثغور مهملة، فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته، وكثرت الأموال، وضُبطت الثغور، وحُرِّرت أجوزة السفر للخارجين منها والداخلين عليها»[٤]. وفي عهد عضد الدولة البويهي أحدث أول مرة نظام مراقبة الأبواب في عاصمة بلاده شيراز، حتى قال المقدسي البشاري في حقّها: «منع الخارج منها إلا بجواز، وحبس الداخل والمجتاز»[٥]. وفي العصر المملوكي وُضع نظام دقيق لجوازات المرور التي كانت تُعرف في ذلك العهد بأوراق الطريق؛ فلم يكن أحد يستطيع مغادرة الناحية التي يقيم بها إلى ناحية أخرى من دون إذن وليّ الأمر؛ إذ كان يُقبض على مَن وُجد مسافراً

بلاد الأندلس ومراكش لم تعرف هذه الأنظمة المتعلقة بإصدار جوازات السفر على النحو الذي كان منتشراً في المشرق الإسلامي سوى مرات قليلة

اعتماد جواز السفر

أما عن اعتماد الجواز السفر، وإمضائه، وختمه، فكان يتمّ بأحد أمور ثلاثة: خطّ كاتب السر، وهو الأغلب، أو رسالة الدوادار، وهو كثير أيضاً، أو إشارة نائب السلطان إن كان، وهو نادر؛ فإن كان بخطّ كاتب السر كُتب على الهامش من الجانب الأيمن سطر واحد يكون آخره يقابل السطر الأول الذي هو (رسم بالأمر الشريف)، وهو: حسب المرسوم الشريف. وإن كان بإشارة النائب كُتب سطران على الهامش المذكور آخرهما أيضاً يقابل أول السطر الأول بالإشارة العالية، وفي هاتين الحالتين لا يُكتب في ذيلهما بعد التاريخ سوى الحسبلة لا غير. وإن كان برسالة الدوادار كُتب على الهامش: «حسب المرسوم الشريف» فقط، وكُتب تحت التاريخ سطران، هما: «رسالة المجلس العالي الأمير الفلاني، فلان الدوادار المنصوري، أدام الله تعالى نعمته، ثم الحسبلة»[*]؛ أي: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(*) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، الجزء السابع، ص٢٣١، الناشر: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

الوصل الثاني بأربعة أصابع مطبوقة بغير بسملة: «رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني في الملكي الفلاني، أعلاه الله تعالى وشرّفه، وأنفذه وصرفه، أن يمكّن فلان الفلاني، وتُذكر ألقابه إن كان أميراً، أو متعمّماً كبيراً، وممّن له قدر، وله ألقاب معهودة، أو غير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، من التوجّه إلى جهة قصده والعود، وإذا كان هذا المسافر أميراً أو عالي المقام كُتب: ويُعامل بالإكرام والاحترام، وإن كان غير ذلك كُتب بدله: مع الوصية به ورعايته ونحو ذلك، وإن رُسم له بنفقة كتب فيه: ويُصرف له من النفقة في كلّ يوم كذا درهماً»[٧]، وهو يشبه إلى حدٍّ ما ما يُطلق عليه اليوم بدل السفر والمبيت والإعاشة ونحو ذلك.

تسجيل البيانات

تذكر المصادر التاريخية أنه كان يقوم بأمر الجواز، وتسجيل البيانات المطلوبة، شخص يُطلق عليه (متولّي الجواز). ففي بغداد عُثر على خبر شخص كان يتولّى أمر الجوازات في بغداد ذكره ابن الساعي في جملة من توفّي من الأعيان في سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م: «كان يُعرف بيوسف بن القابني، حاجب السور متولي الجواز، توفّي في عاشر المحرم، وكان مشكوراً»[٨]. وكان متولي الجواز هذا يسجّل بالجواز اسم الشخص، واسم من معه، وكم عمره، وعمر من معه، ومن أيّ بلد، وما معه من مال ومتاع، وإذا كان الشخص آتياً من مكان آخر كتب عليه: ورد علينا فلان الفلاني في يوم كذا من شهر كذا سنة كذا، وكان معه كذا؛ لئلاّ يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شيء ضياعاً، فمتى ذُهب منه بشيء أو مات علم كيف ذهب، وردّ عليه أو على ورثته من بعده.

ظلّ جواز السفر يتقلّب في التاريخ، ويدور مع الزمان، حتى وصل إلى الصورة التي هو عليها الآن؛ ليذكّرنا مع هذا التقلّب والدوران بعظم حضارتنا الإسلامية، التي لم تغفل شاردةً أو واردةً تهدف إلى تنظيم حياة المجتمع والرقيّ به؛ دعماً للأمن والاستقرار في ربوع البلاد الإسلامية.

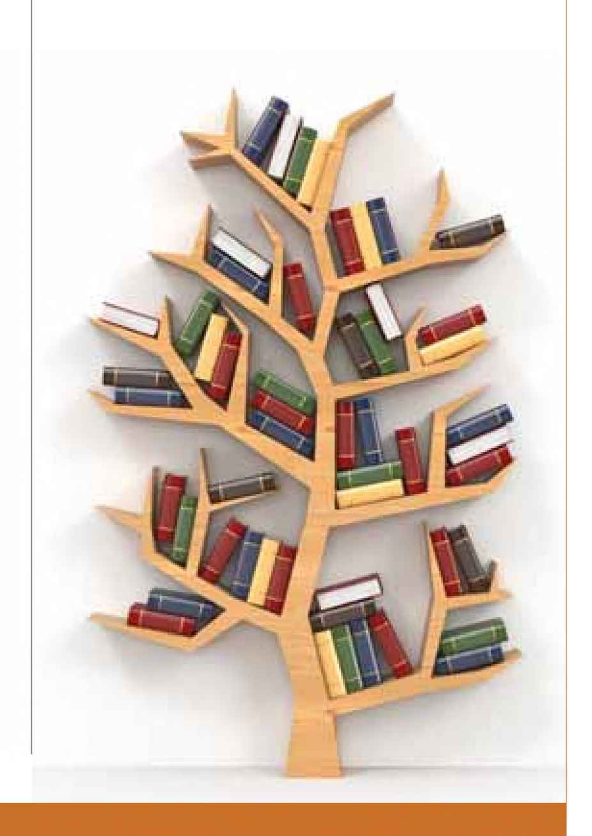
ومتنقلا من مكان إلى آخر غير مسجل؛ أي: بجواز. ومما يؤكّد ذلك الرواية التي أوردها ابن سعيد المغربي المتوفّى عام ١٢٨٦م، وجاء فيها: «كان لا بد من جواز للخروج من مصر، ولا بد أن يُدرج في هذا الجواز كلّ الذين يرافقون المسافر، حتى ولو كانوا عبيده»[٦]. وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عُني بإصدار جوازات المرور للتجار الذين وفّر لهم الطمأنينة في أسفارهم. وإذا انتقلنا إلى بلاد الأندلس ومراكش فلم تصلنا مثل هذه الأنظمة المتعلقة بإصدار جوازات السفر على النحو الذي كان منتشراً في المشرق الإسلامي سوى مرات قليلة كانت تُراقب السابلة في سفرها عند قيام الحروب بين العرب والإفرنج.

شكل جواز السفر وصيغته

أما عن شكل جواز السفر، أو أوراق الطريق كما كان يُطلق عليها في تلك العصور، فكانت ثلاثة أوصال في قطع العادة (أي: القطع الصغير)، يُكتب في أعلاها سطر واحد صيغته: ورقة طريق على يد فلان بن فلان الفلاني لا غير، ثم يُخلى بين العلامة تقدير شبر، ويكتب في بقية ذلك الوصل قبل

المراجع

(١) تقدّم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا، عبدالله بن العباس الجراري، نقلا عن موقع: الإسلام بين الماضي والحاضر.
(٢) مجلة تاريخ العرب والعالم، عبدالرؤوف المصري أبو رزق، عدد رجب سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
(٣) من حضارة الإسلام، مجاهد توفيق الجندي، مجلة الأزهر، عدد جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ/ نوفمبر عام ١٩٩٢م.
(٤) المرجع السابق.
(٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، طبعة دي خويه في ليدن، ص٤٢٩.
(٦) المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: زكي حسن، وشوقي ضيف، الجزء الأول، دار الفكر العربي بالقاهرة، عام ١٩٥٣م، ص٥٣.
(٧) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، الجزء الثاني، ص٤٧٦، الناشر: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
(٨) صورة مشرقة من حضارة العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة العراقية، عام ١٩٨١م، ص١٢٦.



تفاصيل

عبدالله الكويليت

- الظلام: ضجيج الصمت!
- النزوة والرغبة ضفتان لنهر واحد.
- عندما تَصْنَع للتخلف أجنحة سيسقط على رأسك عند محاولته الطيران.
- لا يتكبر التمني حين نتسول على بابه!.
- من يرمم نثار هذا اليقين الذي هشَّمته الأسئلة؟
- نعلِّم أبناءنا الأمل في حين نجلس على كرسي ساخنٍ في شرفةٍ تطل على ضباب غامض لا حدَّ له!!
- الأمل طائر جميل من دون أرجل يحلق عالياً بأجنحة زاهية وريش ملون، لكنه لا يستطيع الهبوط!
- على حافة من أمل تدليت.
- ظلي أكثر نزوعاً إلى الحرية مني؛ فهو لا يقبل السكون وإن وقفت!
- كم أنا صاخب حين أكون وحيداً!
- الأماني: قطعان مشتتة، تملكها أرواح شتى، ويرعاها راعٍ وحيد، اسمه: الموت!
- عظمة الفلسفة أنها تفتح أبواباً كثيرة كانت مغلقة أمامك، ومشكلتها أنها لا تعيد إغلاق أيّ منها!
- على حافة الهاوية يمد لي اليقين يداً ملساء معروقة!
- الموت أشد عرياً منا لولا تدثره بعباءة المجهول!
- الأحلام: بيوض لرغبات لم تفقس..
- بين كُلفة وعيه الحاد وكُلفة الجهل والاستبداد، يمضي الإنسان الواعي يتيماً ووحيداً كصقرٍ مقصوص الجناح يطل من رابية عالية..
- الوعي الناقص عبء زائد..
- على حافة الذات يكبر القلق، وتكثر الأسئلة؛ فالأجوبة مشروع مخاتل يتوسل طمأنينة زائفة!
- ضيّق كالفضاء.. شاسع كالقلق!
- غامضة محطات الرحلة ومتعددة؛ وحدها محطة الغياب الأخيرة التي ترفع اللافتة بكل سخرية وثقة!
- كيف أنزع عن روحي تلك القشرة التي يبستها الأسئلة؟
- نركض في طرق الأبدية الزائفة، هرباً من وحش الغياب الحقيقي!
- لماذا تحزن؟؛ لأن الأمل فرَّ إلى الخارج!
- نحن أمة تحرس مُتحف الخرافة!
- أنا يأس يمشي عارياً في تخوم الأمل..



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨



Disabled Children's Association





